

الْجُمْهُورِيَّةُ الْجَزَائِرِيَّةُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ
رِئَاسَةُ الْجُمْهُورِيَّةِ
الْمَجْلِسُ الْأَعْلَى لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ



اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

بَيْنَ اللِّسَانِيَّاتِ الرَّتَابِيَّةِ الْحَاسُوْبِيَّةِ
وَاللِّسَانِيَّاتِ الْعَرْفَانِيَّةِ
فِي الْجَامِعَاتِ الْجَزَائِرِيَّةِ

أَعْمَالُ النَّدْوَةِ الْوَطْنِيَّةِ : 24 - 25 دِيْسَمْبَر 2019
الْمَكْتَبَةُ الْوَطْنِيَّةُ الْحَامَّةُ - الْجَزَائِرُ

الْجُزْءُ الثَّانِي

مَنْشُورَاتُ الْمَجْلِسِ
2019

الفهرس

- 9 مشكلات معالجة اللسان العربيّ لأغراض البرمجة الحاسوبي
أ. باهي فتحي
ج. الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
- 23 البرمجة الآليّة في العلاج الآلي للكلام العربيّ
أ. راي علي
ج. الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله-
- 45 التعرف الآلي على اللغات المكتوبة بالحرف العربي
صديق بسو
هشام حميدة
لبنى خياري
جامعة فرحات عباس، سطيف-1
- 59 المعالجة الآليّة للغة العربيّة: المرتجى والمؤمل
أ. عيسى تومي
ج. محمد خيضر بسكرة. الجزائر
- 73 المعجميّة الحاسوبية العربيّة واقع وآفاق قراءة في مشروع معجم الدوحة
التاريخي للغة العربيّة.
أ. عبد الناصر درغوم
جامعة باجي مختار عنابة
- 91 فاعلية الكتاب الإلكتروني التفاعلي ودوره في إنشاء تصورات ذهنية عن
النحو العربيّ.....
أ. بعجي إسمهان
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربي

- 111 الاستعارة التّصوّرِيّة في الخطاب العلميّ للنّصوص التّعليميّة
نموذج تطبيقي مختار.....
- أ. روضة جديوي
- ج. باجي مختار عنابة
- 127 الاستعارة التّصوّرِيّة في رواية "حوبة" لعز الدين جلاوي
مقاربة عرفانية لنماذج مختارة.....
- أ. د عمر لحسن
- أ. عبد الله أوريسي
- ج. باجي مختار -عنابة-
- 161 الاستعارة التّصوّرِيّة وآليات اشتغالها عرفانيّا (نماذج خطابية مختارة)....
- د. أسماء حمائدة
- ج. 8 ماي 1945 / قالمة
- 185 الاستعارة التّصوّرِيّة القاعدية في مقابل الاستعارة الشعرية وعلاقتهما
بالاستعارة الحاسوبية.....
- د. نادية سعدوني.
- المركز الجامعي عبد الله مرسلّي/تبيّازة.
- 209 الاستعارة المفهومية تمثّلاتها الفكرية وقدراتها الإنجازيّة.....
- د. عبد القادر حمراني
- ج. حسية بن بو علي بالشلف
- 229 الاستعارة من البلاغة العربيّة إلى اللّسانيّات العرفانيّة.....
- د. نور الدين مناع
- أ. د. مباركة خمقاني
- ج. قاصدي مرباح ورقلة

- الأفضيّة الذهنيّة وتشكل الرّوابط العرفانيّة في نظام اللّغة.....
- 57 أ. فاسخ فضيلة
- ج. الشّيخ العربي التبسي
- 267 النموّ اللّغوي والتّطور الدّماغي من منظور اللّسانيّات العصبيّة.....
- د. نورية بن عدّي
- المركز الجامعي مغنية-تلمسان.
- 295 علم الدّلالة العرفانيّ ارهاصات التّأسيس ومحطّات التشكل.....
- أ. حسين ميهوبي
- ج. أحمد دراية أدرار
- قضايا الدلالة في المنظور اللّساني العرفانيّ.....
- 09 أ. نصيرة قياسية
- ج. باجي مختار، عنابة، الجزائر
- 329 مقارنة المعنى في علم الدّلالة العرفانيّ.....
- د. هشام فرّوم.
- د. محمد رضا بركاني.
- ج. الشاذلي بن جديد الطارف.
- 351 نظريّة الاستعارة التّصوريّة (المفهوميّة) في الخطاب السّياسيّ الإعلاميّ.
- أ. لامية قداش
- ج. أمحمد بوقرة بومرداس
- 373 المعالجة الآليّة لمنظومة الصرف العربيّ - دراسة وصفية لمحلل الخليل
- الصرفيّ أنموذجاً.....
- أ. أحلام سعيدي
- جامعة الجزائر 2
- أ. فتحي بوقفطان
- جامعة تيزي وزو
- 389 تقرير الورشة الثّانية.....

مشكلات معالجة اللّسان العربيّ لأغراض البرمجة الحاسوبية.

أ. باهي فتحي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

fethi0707@gmail.com

مقدمة:

في إطار المعلوماتيّة تزداد أهمية معالجة اللّسان العربي من خلال الحاسوب، كي نواكب ركب الحضارة، ولما كان الحاسوب مولدا غير عربي اللّسان - فهو إنجليزي المولد - فقد اتّخذت تقنيات الحاسوب ونظم المعلومات اللّسان الإنجليزي أساسا لها وفرض هذا الأساس الإنجليزي قيودا تقنيّة على اللّسان الأخرى، وكلما اتسع التّباين بين الإنجليزيّة وبين اللّسان الأخرى ازدادت حدة هذه القيود.

ويمثّل اللّسان العربي واللّسان الإنجليزي من وجهة نظر الحاسوب طرفي نقيض ومن هنا كانت العقبات الصّعبة أمام تعريب الحاسوب وأصبح حاجز اللغة من أشقّ الحواجز على المستخدم العربي وقد نجح العرب في تعريب جزء من الحاسوب على مستوى اللغة المكتوبة، لكن مازال أمر اللغة المنطوقة يحتاج لشروط طویل من التّعريب.

الأمر الثّاني أنّ تغذية الحاسوب فيما عُرّب فيه لم تتم بالشّكل المطلوب في إطار المعجميّة الحديثة والمستويات الدّلاليّة والصّرفيّة والتركيبيّة للسان العربي، وتحتاج لجهود مشترك من طرف اللّسانيين والحاسوبيين.

ستتركز مداخلتنا على عرض بعض المشاكل التي تعترض برمجة اللسان العربي حاسوبيا على عدة مستويات: الصّرفي والدّلالي والصّوتي والتركيبى والمعجمي مع أمثلة على ذلك.

1. التّكامل المعرفي بين اللغة والحاسوب:

لا يعرف البحث في العلوم الانسانية اليوم حدودا ولا يعترف بها بل أصبح لزاما عليه قبول التجاذبات الجديدة وعلى رأسها التّكامل والثقافة رغبة في الاستفادة من نتائج كلّ تخصص والتي يمكن أن تضيف بصمة جديدة ونوعية على أي حقل معرفي ومثال ذلك اللّسانيّات الحاسوبية هذا العلم الذي يجمع بين اللّسانيّات التي تدرس اللغة دراسة علمية ولبن الحاسوب ممثلة في عقله الحاسوبي الذي يقوم بعمليات تكاد تكون مشابهة للعمليات العقلية البشرية والتي تحضر فيها بعض أشكال الفهم، التحليل، الحدس...[1]

2. مجالات البحث في المعالجة الحاسوبية للغات الطّبيعية:

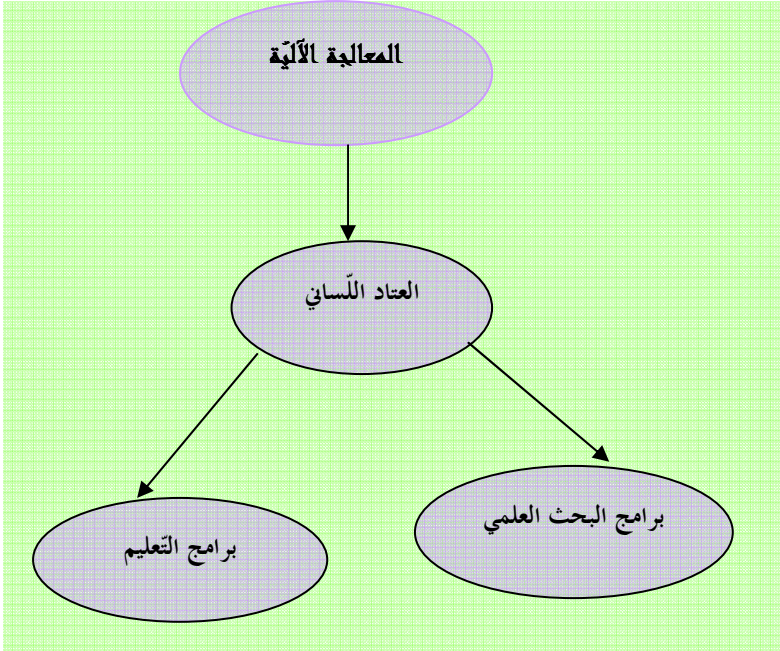
- تنقسم إلى ثلاثة مجالات أساسية:

الأول: مجال مشترك، ونقصد به بناء العناد اللّساني

الثاني: برامج بحثية

الثالث: برامج تعليمية

يبين الشّكل التّالي العلاقة بين هذه المجالات [2]:



العتاد اللّساني

- توليد المحارف العربيّة
- المعاجم الإلكترونيّة المتكاملة (أصوات صرف تركيب)
- مولد ومحلل صرفيّان
- مولد ومحلل نحويّان
- المدقّق الإملائي والنّحوي
- المشكل الآلي

البحث العلمي:

- التّعريف البصري على الحروف سواء منها المطبوع أو المكتوب باليد

- لترجمة الآلية والترجمة المسعفة بالحاسوب
- التوليف الصوتي
- التوثيق الآلي
- الفهم الآلي للنصوص

التعليم

- تصميم برامج تعليمية على عتاد إلكتروني
- تصميم برامج على الإنترنت: برامج عالمية
- أما برامج العرض مثل Power Point و Blackboard و WebCT وما شابه فلا يدخل في مجال البحث في اللسانيات الحاسوبية بأي شكل من الأشكال المحارف العربية من المعلوم أن الحاسوب صنع أساسا بلغات غربية إنجليزية بالأساس، ولما أصبح تقنية معتمدة في كتابة النصوص باللغة العربية اضطر المبرمجون إلى تصميم برامج تمكن المستخدم العربي من استغلال هذه التقنية باللغة العربية، وفي مقدمتها صناعة الحرف العربي آليا وتنميط لوحة المفاتيح.

الموضوع إذن ذو شقين:

الأول: يتعلق برسم الحرف العربي على الحاسوب، ويتم ذلك وفق خوارزميات التحكم تضع الحرف في سلمية تسير في الاتجاهين العديدين: التصاعدي والتنازلي تمكن المستخدم من التحكم في حجم البنط، كما تمكنه من تغيير البنط الذي يرغب في الكتابة به.

الثاني: ويتعلق بتوحيد لوحة المفاتيح العربية بين مختلف الدول العربية، تيسيرا لنقل البيانات بين الحواسيب باللغة العربية ونشرها وعرضها وتبادلها، كما ييسر

عملية حفظ الوثائق باللغة العربية المدخلة إلى الحاسوب سواء باليد أو بالماسح الضوئي واسترجاعها وفرزها وتبادلها بين المستخدمين من جميع الدول العربية.

ومنذ دخول الحاسوب إلى الدول العربية قامت منظمة عربية عرفت بمنظمة المواصفات والمقاييس بوضع شفرات المحارف الخاصة بتميط لوحات المفاتيح الحاسوبية ووضعها في الجهاز رهن إشارة المستخدم العربي، إلا أن المشكل الذي طرح هو تعدد الجهات التي تولت هذه المهمة، كل جهة تسوق لوحة المفاتيح بطريقتها الخاصة، ويذكر المستخدم العربي أول برنامج للتعريب تحت اسم نافذة، وبعده توالى برامج التعريب التي كانت تختلف في تحديد قيمة الأزرار العددية التي تلائم توزيع الحروف على لوحة المفاتيح، ويكفي أن نشير إلى الفرق بين الماكنتوش وأ.ب.م. في أواسط الثمانينات، وقد بقي نقل البيانات بين الجهازين مستحيلا إلا بعد أن تم توقيع اتفاقية شراكة بين الشركتين في نظام الاستغلال مما أدى إلى الاتفاق حول توحيد لوحة المفاتيح في أواسط التسعينات من القرن الماضي.

وقد زاد الأمر تعقيدا مع انتشار الإنترنت، حيث أصبح من الضروري التعامل مع البيانات العربية بشكل موحد، مما دفع الباحثين إلى تطوير لوحة موحدة تحت اسم Unicode (16 غزوما و 32 عزوما) التي تستوعب جميع الحروف والأشكال العربية وغيرها، فقامت بديلا عن شفرات المحارف العربية القديمة المعروفة باسم:

ASMO بمختلف أرقامها: ISO: 449, 449, 646, 708 .. [3]

بفضل هذه الجهود التي شارك فيها خبراء لسانيون متخصصون في البرمجة العربية أصبح في إمكان المستخدم العربي اليوم تبادل المعلومات باللغة العربية بين جميع أنواع الحواسيب في العالم، شرط أن يكون قد أضاف إلى بيئة وندوز في

حاسوبه شفرة المحارف العربيّة سواء كانت إحدى إصدارات أسمى المشار إليها أو اليونيكود الذي يستوعب معظم لغات العالم.

المعاجم الإلكترونيّة

المقصود بالمعجم الإلكتروني قاعدة البيانات اللغويّة المشفرة، تشمل جميع المستويات اللّسانيّة: الأصوات والصّرف والتّركيب، بالإضافة إلى بناء معاجم إلكترونيّة للدلالة، على الأقل في مستواها الصّوري الذي يحدد العلاقات المنطقيّة بين مختلف مكونات المتواليات اللّسانيّة المقبولة في وجهيها الحقيقي والمجازي.

والرّسم التّالي يبيّن الخطوات المتبعة في بناء المعاجم الإلكترونيّة، كما يبيّن ما تحقق منها في مختلف مراكز البحث اللّساني الحاسوبي في العالم، مع ذكر الأرقام التي توافرت لدينا عن كلّ مستوى، مع التّركيز الشّديد على المستويات الثلاثة الرّئيسيّة في البحث اللّساني الحاسوبي: الأصوات والصّرف والتّركيب

3. وصف المستوى الصّوتي للّسان العربي لأغراض البرمجة الحاسوبيّة :

• أوّلاً: وصف المستوى الصّوتي (الفوناتيكي):

يؤوّل اللّسان العربي في نظامه الصّوتي إلى أربعة وثلاثين فونيمًا، ثمانية وعشرين صامتًا تتمثّل في الحروف الأبجديّة له، وستة صوائت تمثلها الحركات الثّلاثة القصيرة الفتحة والكسرة والضّمة، والحركات الثّلاثة الطويلة حروف المد، ويعني في الجانب الصّوتي وصف تلك الأصوات آحادًا على المستوى الأكوسستيكي الفيزيائي بحيث يكون لكل صوت صورة طيفيّة مرئيّة ذات ثلاثة أبعاد: بعد أفقي يمثّل الوقت وبعد عمودي يمثّل التّردد، وبعد ثالث يمثّل درجة الشّدة، يظهر في شكل سواد على ورق خاص.

والبادي أن وصف الأصوات المنفردة على هذا النحو سيفضي إلى نتائج دقيقة لا تقبل اللبس، وأن حدودا فاصلة قاطعة تمثلها أرقام رياضية حاسمة ستميز كل صوت عن بقية الأصوات، وهو واقع الأمر الذي أكدته التجارب المعمّلة على المستوى الصوتي إلى حد كبير، غير أن التجربة أيضا تؤكد رصد حالات تباين نسبي

في أداء الناطقين بتلك الأصوات تمثل -أحيانا- صعوبة حقيقية عند تمثيل الأصوات للحاسوب، بل إن أداء الفرد الواحد قد يتباين تبعا لحالته الصحية والنفسية [4].

ويزداد أثر التباين بين الأفراد لدى التعامل مع الصّوائت للاتفاق الواقع بين كل صائت قصير ومثيله الطويل الذي لا يفترق عنه إلا في الوقت الذي يستغرقه، فقد يكون في أداء العجلان من نطق الصّوائت الطويلة ما يلتبس على الحاسوب بكونه صائتا قصيرا، وقد يوهم الأداء المتأني للصّوائت القصيرة استيعاب الحاسوب لها على أنها طويلة.

إن ابن اللغة في تمييزه لتلك الأصوات - استيعابا وإنتاجا - لا يصدر عن وصف فيزيائي ذي مخرجات رقمية رياضية، والعقل البشري لا يستطيع أن يمايز بين تلك الأصوات على تباينها النسبي بين الأفراد، وقد لا يستعين ابن اللغة في الأغلب الأعم بما قدمه علماء الصوتيات من صفات للأصوات ومخارجها وخصائصها [5].

وفي المقابل فإن الحاسوب لا يمتلك تلك المقدرة الفطرية لدى ابن اللغة، وقد ينبهم لديه ما يتلفاه من أصوات لا يوجد لها مقابل مستدخل في ذاكرته، لذا يتحتم أن نقدم للحاسوب وصفا رقميا دقيقا للمستوى الصوتي للسان العربي ينبئ عن ماهية الأصوات التي يتلقاها، ويختلف هذا الوصف بالضرورة عن الوصف الذي رسمه علماء الأصوات لابن اللغة وللناطقين بغيرها.

و على الرَّغم من أنَّ النَّاطقين باللسان العربي يتباينون في نطق بعض الأصوات تبعاً لانتماؤاتهم اللّهجيّة، كنطق أهل الشّام الجيم معطشة، ونطق أهل الجزيرة لها قليلة التّعطش، ونطقها لدى المصريين على نحو ما عرف بالجيم القاهريّة، إلّا أنَّ ذلك لا يعد عائقاً في سبيل الوصف، و قد يغنينا عن الخوض في جدل أفصحها قبولها جميعاً بوصفها تنوعات صوتيّة لفونيم واحد يقابلها جرافيم (رمز كتابي) واحد [6].

• ثانياً : وصف المستوى الصّوتي الوظيفي (الفونولوجي):

تخضع فونيمات اللسان العربي لقواعد فونولوجيّة تحكم تتابعها في سياق الكلمة أو الجملة، وقد يطرأ على الفونيم تغيير في صفته تأثراً بما يسبقه أو ما يليه من الفونيمات ويعني ذلك أنَّ الوصف الفوناتيكي لأصوات اللسان العربي لا يكفي لوحده ليتمكن الحاسوب من تمييز الفونيمات، وأنّه يحتاج إلى وصف آخر لما يعتري فونيمات اللسان العربي - في سياقها الوظيفي - من تغييرات تحكمها القواعد الفونولوجيّة على مستوى التشكيل الصّوتي، فالحرف المضعف مثلاً تزيد المدة التي تستغرق نطقه، والذال في (أردت) تنطق تاء بسبب التأثير الرجعي، والباء في (سبت) يصيبها من أثر التاء المهموسة ما يزيل عنها صفة الجهر، ولفظ الجلالة (الله) بعد غير الكسر تكون فيه اللام مفخمة من قبيل التّوَع الصّوتي، وكلمتا (سوط - صوت) قد يتطابقان في سياق الأداء النّطقي، ولام (ال) لا تنطق إذا تلتها إحدى الحروف الشّمسيّة [7].

إنّ تصميم برنامج حاسوبي يستدخل الحدث الكلامي المنطوق ويحوّله إلى نص مكتوب يتطلّب الوقوف على تلك المواضيع التي تتغيّر فيها صفات الفونيمات تأثراً بما يجاورها على مستوى الكلمة، وإذا ما انتقلنا إلى مستوى الجملة لزمنا الانتباه إلى ما ينطق من الفونيمات ولا يكتب، كالتّوين والمد في (هذا وأخوتها - الله - لكن)،

وكذلك ينبغي التّحرز من الفونيمات التي تكتب ولا تنطق كهمزة الوصل والسّلام الشمسيّة وألف (مائة) والتّاء المربوطة عند الوقف والألف الفارقة بعد واو الجماعة، وسنفيذ بالطّبع من المخرجات ذاتها وإذا ما أردنا تصميم برنامج يتعرّف المكتوب ويقرؤه، ويلزمنا عندئذ شرط إضافي يقيد النّص المستدخل ضبطاً تاماً بالشّكل ؛ لكن افترض أن يكون النّص المكتوب خالياً من حركات المبني وعلامات الإعراب غير مشكول- كما هو الحال في معظم النّصوص العربيّة - يحتم علينا اللجوء إلى تثبيت منطوق يودع في ذاكرة الحاسوب يجعل إزاء كلّ مادة معجميّة مقابلاً منطوقاً للالتلاف مع ما يعترضه من اللّواصق القبليّة والبعديّة، ويكون اللّفظ المحتمل لأكثر من وجه مقابلات منطوقة (بدائل) يمثل أكثرها وروداً للخيار الافتراضي، ثم يترك المحددات والأدلة السياقيّة الشّكليّة تعين إحدى تلك البدائل، وأما علامات الإعراب فيعوزها برنامج حاسوبي آخر تتكامل فيه النّظم المورفولوجيّة والنّسقيّة على نحو ما يسرد في وصف الجانب الإعرابي للّسان العربي[8].

وحقيق بالذّكر هنا الإشارة إلى ما يواجه الحاسوبيين في استدخال النّصوص المطبوعة عبر الماسح الضوئي (scanner)، وأنّه ثمة حروفاً يشكّل على الحاسوب معرفتها، ويلجأ الحاسوبيون من أجل معالجة تلك المشكلات آلياً إلى تزويد الحاسوب بثبت لما يتقارب من الحروف رسماً، وثبت آخر يرصد تتابع الحروف الأكثر شيوعاً مرتبة حسب النّسب المئويّة لدرجة الشّيوع.

أمّا إذا كان مطلبنا تمكين الحاسوب من تحديد الأخطاء الإملائيّة والطّباعيّة وتصويبها، أو تقديم بدائل لها فسيضعفنا في ذلك ما تمخضت عنه الدّراسات الإحصائيّة لما لا يتألف من الحروف العربيّة، ويعيننا كذلك استقراء ما توصلت إليه الدّراسات اللّغويّة من الأخطاء الإملائيّة الشّائعة لدى من يكتبون بالعربيّة لتكون مرجعاً هادياً في التصويب الآلي[9].

4. مشكلات معالجة اللسان العربي حاسوبيا:

في المستوى الصوتي:

الثنائيات الصوتية في اللسان العربي، مثل:

ت ← ط ← ذ ← ز

د ← ض ← ث

س ... الخ

ومما لا شك فيه أنّ تحديد القيمة الصوتية بدقة ووضوح لكل وحدة صوتية أمر مهم للغاية، كي نتفادى الاختلاط الحادث عند كثير من المتكلمين بين هذه الأصوات المتشابهة والتي يوجد بينها فارق صوتي بالتفخيم أو الترقيق.

أيضا هناك مشكل الكلمات ذات النهايات الصوتية الواحدة في حين يختلف الحرف الأخير من كلمة لأخرى، مثل: عصا، منى، هدى، سعى، دعا.. الخ فينبغي تحديد الزمن الصوتي الذي يميز مبنى متشابهها مع مبنى آخر [10].

في المستوى الصرفي:

على مستوى الصرف، ليس هنالك ترتيب معهود ينظم الأفعال والأسماء، والمجرد والمزيد... إلخ في ترتيب وتنظيم يخرجنا من عشوائية عرض كلمات المادة الواحدة في اللسان العربي، اللهم في بعض المحاولات المعاصرة.

إنّ ضبط هذا العنصر يعد خطوة في تيسير اللسان العربي للتعامل مع الحاسوب.

في المستوى التركيبي:

يشمل هذا المستوى التراكيب الصغرى في اللسان العربي التي لا تكون جملة مثل: المضاف، والمضاف إليه، والصفة والموصوف.. إلخ

كما يشمل أيضا التراكيب الكبرى التي تكون جملة (فعليّة أو اسميّة)، ومسألة الوجوه المختلفة للإعراب ينبغي تقنيّتها بشكل محدد، كذلك ضبط أنماط الجملة في اللسان العربي ضبطاً يقوم على اعتبار الواقع، ويتسم بالدقة والوضوح كي ننجح في تيسير وتطوير اللسان العربي للحاسوب[11].

في المستوى الدلالي:

أمّا المستوى الدلالي فيعد من أعقد الأنظمة اللغويّة، وأشدّها تعصياً على جهاز الحاسوب؛ وذلك عائد إلى أنّ الدلالة من أقلّ المستويات اللغويّة فيما يخصّ التّباين اللّغوي - كما يقول الدكتور نبيل علي، كما أنّه يشيع فيها عدة ظواهر تخرجها من واقع الاستخدام اللّغوي وحقيقته إلى المجاز، كالاستعارة، والكنائيّة، والتّشبيه، وهذا أمر يتطلّب تحديد تلك التّعابير غير الحقيقة وتصنيفها دلاليا بما يساعد النظام الحاسوبي على تمثيلها، ومن ثمّ معالجتها آلياً[12].

ويمثل المعنى مشكلة كبرى بالنسبة للنظم الآليّة، فتعدد المعنى للكلمة الواحدة وحساسيّة السياق في تحديد دلالة الكلمة واختلاف الدلالة باختلاف التّقافات...، كلّ ذلك يجعل المعالجة الآليّة للدلالة تتطوي على مفارقات يصعب بسببها تمثيل هذا المستوى حاسوبياً، وبسبب هذا تجاوزت أول دراسة صادرة عن اللسانيّات الحاسوبية العربيّة الحديث عن المعالجة الآليّة لعنصر الدلالة في العربيّة.

علماً أنّ هذا لا يعني أنّ المعالجة الآليّة لجانب الدلالة في اللسان العربي قد أغفلت تماماً، بل كان لها حضورها ضمن المستويات اللغويّة الأخرى، كالمستوى

الصّوتي، والصّرّفي والتّركيبي والمعجمي، وضمن قضايا لغويّة ذات صلة وثقى بالدّلالة، كالترجمة الآليّة، وهذا ما نلمسه في الجهود التي بذلت لتغطية هذا الجانب من اللّسانيّات الحاسوبية، سواء كان ذلك في صورة بحوث نظريّة، أو برامج تطبيقية [13].

في المستوى المعجمي:

إنّ العمل المعجمي شاق ومرهق لاسيما في مجال اللّسان العربي لأسباب كثيرة ولسنا الآن بصدد الحديث عن روعة أساليبه ودقة معانيه وتعدد ألفاظه، ومن ثم كان من الصّعب أن يقوم بالعمل المعجمي فرد واحد أو مجموعة من الأشخاص، إنّ معجم عصر المعلوماتيّة لا يصفه اللّغويون فحسب، وإنما يصفه العلماء في اللغة والمتخصصون في علوم كثيرة، لذلك يجب تكوين فرق عمل من تخصصات المختلفة "فريق لغوي" وفريق منطقي وفريق بلاغي وفريق هندسي وفريق فلسفي... الخ متعاونين مع أفراد يتقن الواحد منهم ضربا من الفنّ الذي لا بد منه لإخراج معجم يرضي أساطين اللغة، وغيرهم من العلماء، ويفيد الطّلاب وسائر القراء. إنّ هذا الفرق يجب أن تعمل من خلال هيئة حكوميّة متخصصة ترصد المبالغ اللاّزمة لإتمام ذلك المعجم فأهميّة اللّسان العربي، واكتشاف مكنوناته والاستفادة منها والحفاظ عليها لا تقل أهميّة عن أيّة ثروة ماديّة أخرى مثل الذّهب والبتّرول، هذه الثّروات مآلها للنّفاذ يوما ما بعكس اللّسان العربي الذي سيظل محتفظا بمكانته دائما وعلى الرّغم من صعوبة هذا العمل والمشاكل التي تحول دون حوسبة المستوى المعجمي أو صناعة المعجم اللّغوي الحاسوبي أو تعيقه كظاهرة التّرادف والتّضاد والاشتراك أو المشترك اللفظي، ودقته فلن يحول حائل بين إمكانيّة صناعة المعجم الحاسوبي أو حوسبة المستوى المعجمي إن تضافرت جهود فرق العمل من تخصصات مختلفة.

الخاتمة

إنّ التّطوّر التّكنولوجي الذي لا يتوقف بل تزداد سرعته يوماً بعد يوم ويتضاعف التّحدي أمام الأكاديميين في هذه الأُمّة لإيجاد وسائل تواكب ظاهرة التّسريع التي وسمت هذا العصر واللّسانيّات الحاسوبية وسيلة مهمة جداً في الاستجابة الحضاريّة لمستجدات وما تزال بحاجة إلى جهود كبيرة لتنميتها وتوظيفها في خدمة العربيّة وأهلها وعلومها.

المراجع والهوامش:

- [1] محمد يونسى ,اسهامات نبيل علي الحاسوبية في كتابة اللغة العربيّة، ملتقى اللّسانيّات الحاسوبية ودورها في تدريس مناهج اللغة العربيّة المدرسة العليا للاساتذة افريل 2019
- [2] محمد محمد الحناش اللغة العربيّة والحاسوب (قراءة سريعة في الهندسة اللّسانية العربيّة) أكتوبر 2002
- [3] المرجع السّابق محمد محمد الحناش اللغة العربيّة والحاسوب
- [4] أ. عيسى مومني، ببليوغرافيا اللّسانيّات. ط د ت. ص 10.
- [5] د. وجدان محمد صالح كنالي، اللّسانيّات الحاسوبية العربيّة الإطار والمنهج ص 10.
- [6] د. وجدان محمد صالح كنالي، اللّسانيّات الحاسوبية العربيّة الإطار والمنهج ص 10-11.
- [7] د. وجدان محمد صالح كنالي، المرجع السّابق، ص 12.
- [8] د. وجدان محمد صالح كنالي، المرجع السّابق، ص 277.
- [9] د. محمد داود، العربيّة وعلم اللغة الحديث، دار غريب، 2001، ص 277 278.

[10] د. عبد الرحمن بن حسن العارف، مقال توظيف اللّسانيّات الحاسوبية في خدمة الدّراسات

اللغوية العربية، جهود ونتائج، جامعة أم القرى

[11] د. سلوى حماده، المعالجة الآلية للغة العربية، المشاكل والحلول، دار غريب، 2009، 14-19.

[12] د. عبد الرحمن بن حسن العارف، مقال توظيف اللّسانيّات الحاسوبية في خدمة الدّراسات

اللغوية العربية، جهود ونتائج، جامعة أم القرى

[13] د. سلوى حماده، المعالجة الآلية للغة العربية، المشاكل والحلول، دار غريب، 2009، 14-19.

البرمجة الآلية في العلاج الآلي للكلام العربي

أ. راي علي

جامعة الجزائر2-أبو القاسم سعد الله -

ms.ali.rai@gmail.com

مقدمة:

إنّ التطوّر التكنولوجي الكبير واستخدام الحواسيب على نطاق واسع وفي مختلف مجالات الحياة، غدت الحاجة ماسة إلى البرمجة الآلية في علاج الآلي للكلام العربي من أجل تنظيم هذا الفيض المعلوماتي الهائل وتحقيق أكبر استفادة منه في أقل وقت وجهد وكلفة ولم تكن اللغة العربية بمعزل عن هذه الثورة، ولا عن التطور السريع في مجال اللسانيات الحاسوبية، فقد خضعت لعدد من المعالجات الآلية على اختلاف مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والنصية والدلالية ويبدو ذلك واضحا في التقنيات مثل المعالجة الآلية والتشكيل الآلي والحوسبة الآلية في علاج الآلي للكلام العربي، ينحصر الهدف من هذه التعريف بالإمكانات التي يقدمها البرمجة الآلية في معالجة الكلام العربي بوصفها لغة الآلية ويتضمن قضايا العلاج الآلي للكلام العربي وصعوباته وأهم التطبيقات الرائدة في هذا المجال كما يتعرض للطريقة التي يجب اتباعها لإدخال لغة الكلام العربي في البرمجة الآلية يتعلق الأمر بتطوير نظام يتعرف الكلام والهدف منه إكساب الحاسوب مهارة قراءتها قراءة صحيحة، تستخدم هذه التقنية عددا كبيرا من خوارزميات التعرف تدخل في مجملها في مجال تقنية معالجة الأصوات.

إنّ مجالات استخدام البرمجة الآليّة متعددة وهي قابلة للتوسع والدخول في مجالات أخرى أما أهم المجالات التي تستخدم فيها اليوم فهي:

1-المعالجة الآليّة:

والتي تعتمد على الحاسوب في المعالجة من لغة إلى أخرى وقد وصلت إلى مستوى متطور في هذه الأيام.

2-الحوسبة الآليّة على الكلمات المنفصلة.

1-الحوسبة الآليّة على الكلمات.

2-الحوسبة الآليّة على الكلام المستمر.

يعيش العالم المعاصر تسارعا في شتى الميادين نظرا لما تميز به عصرنا من تطوّر تكنولوجي عجيب، وفي هذا الصّدّد حققت الحوسبة الآليّة إنجازات عظيمة على المستوى النظري والتطبيقي وتعالقت مع العلوم الإنسانيّة والطبيعيّة والتّقنيّة فنتج من هذا التّعالق فروع لسانیّة كثيرة منها الأدبيّة والعصبية والفيزيائيّة والمرضيّة والحاسوبيّة، وغيرها.

ولعلّ الحوسبة الآليّة تكون أحدث فروع اللسانيات، وبهذا تكون أهم الفروع جميعا في عصر المعلومات وقد استفادت اللّغة العربيّة من اللسانيات الحاسوبيّة في مجالات مختلفة وهذا أدى إلى تطوّر اللّغة العربيّة وأصبحت مواكبة العصر والمنظومة التّربويّة ليست بمنأى عن ذلك فدخل إلى قاموسها الكثير من المصطلحات الحديثة ذات العلاقة بالاختراعات الحديثة منها: الحاسوب والحوسبة الآليّة والحاسوبيّة ولكن هذه المصطلحات وإن شاع استعمالها فهي في حاجة إلى توضيح وتفسير لما لها من علاقة وطيدة بعلاج الالي للكلام العربي ومن خلال ما سبق نطرح التساؤل الآتي: كيف تساهم البرمجة الآليّة في معالجة الكلام العربي؟

تقوم اللسانيات الحاسوبية على تصوّر نظري يتخيّل الحاسوب عقلا بشريا محاولة إدراكها ولكنها استكناه العمليات العقلية التي يقوم بها العقل الإنساني لإنتاج اللغة وفهمها وتستدرك الحاسوب على أنّه جهاز أصم لا يستعمل إلاّ وفق البرنامج الذي صمّمه الإنسان له. ولذلك ينبغي توصيف المواد اللغوية توصيفا دقيقا يستنفذ كل الإشكالات التي يستطيع الإنسان إدراكها، أما الحاسوب فإنه يقصد من توصيف اللغات للحاسوب أن نصل إلى مرتبة الكفاية في اللغات الحية .

فالسانيات الحاسوبية علم واسع له عدة تطبيقات، فيمكن أن يحول بعض المهام اللغوية إلى أعمال آلية المعالجة الآلية لجميع المستويات (صوتي، صرفي، نحوي دلالي معجمي)، والإصلاح الآلي للأخطاء المطبعية، وتعليم اللغات باستخدام الحاسوب، والعمل الوثائقي الآلي، وتطبيق الآلات بالتركيب الاصطناعي للأصوات اللغوية... فهو علم شامل.

2- دور اللسانيات الحاسوبية في الاستثمار الآلي للغة العربية:

إنّ الحديث عن دور اللسانيات الحاسوبية في الاستثمار الآلي للغة العربية هو حديث في قضية التعريب العلمي ويتجلى هذا في مجال المعلوماتية والإعلام الآلي في ميدان استغلال الرياضيات باعتبار أنّ اللغة نظام غاية في التعقيد يحتاج من أجل تحليله وفهم أدائه واستغلاله وتحسينه إلى فهم أوتوماتي هندسي، لأن الهندسة هي فنّ السيطرة على النظم المعقدة . ومن المعلوم أنّ اللغة العربية نظام عام يتكوّن من عدة أنظمة نحوية، دلالية، معجمية وصرفية، ولعل هذا الأخير يبرز بشكل واضح نظاميّة اللغة، ذلك أن الصّرف نظام يحكمه القياس والسّماع؛ أما السّماع فهو ما سمع من لسان العرب لا قاعدة له، وأما القياس فتحكمه أوزان وفق نظام معين «ألا وهو الميزان الصّرفي . وتستهدف اللسانيات الحاسوبية تمكين التّعامل مع الآليات بلغاتها الطّبيعية باستعمال التحليل اللغوي الذي يمكن من استخلاص المعلومات المحمولة من طرف

الإشارات التي تكون النص والتي تخضع في تركيبها إلى قواعد اللغة كما تعمل على أداة التوليد التي تعمل على إنشاء النصوص ضمن لغة معينة انطلاقاً من المعرفة المتمثلة في عناصر مربوطة بعلاقات مختلفة قد تكون لها بنية تشكيليّة مجردة ومستقلة عن كل تطبيق معين ومن هنا فلسنا بحاجة إلى التأكيد على أهميّة اللسانيات الحاسوبية التي تعمل على (20) مكننة اللغات، وهي القدرة على إعطاء الوصف الصحيح لنظام اللغة وهي الوحيدة التي تلاحق العملية الإبداعية التي تبنى عليها القواعد الصورية للغة. هذا المفهوم فاللسانيات الحاسوبية ضرورية لمكننة اللغة العربية وتتجلى هذه الضرورة في برمجتها وتحليل أنظمتها ألياً لأنها الوحيدة التي تستطيع ضبط قواعد اللغة العربية من نحو وصرف وفق أنظمة معينة تسهل عملية تشكيلها وحصرها في مجالات معينة "مجال النحو، مجال الصرف..." ومن هنا وجب علينا التحدث عن تلك الوثبات العلمية التي تحققت في ميادين علوم الحاسوب وبخاصة النظريات الآلية في تصميم لغة البرمجة ونظم التشغيل؛ هذا الكم المعقد يدخل في ظاهرة انفجار المعلومات وتضاعف معدلات تدفقها مما خلق ضرورة استحداث وسائل بالغة الكفاءة لتنظيم هذا الفيض المتزايد من المعلومات المتنوعة وزيادة كفاءة تخزينها واسترجاعها وحالة توظيفها. من المهم هنا أن نشير إلى الفرق بين تخزين المعلومات وبين استرجاعها وحالة توظيفها حيث نقصد بالأولى وضع المعلومات كما هي في قواعد بيانية ومعرفية دون تحليلها. أما الثانية فالمقصود بها تحويل القاعدة اللغوية إلى قاعدة بيانية بإجراء دراسات على هذه القواعد وتشكيلها بصورة يفهمها المبرمج وآلة البرمجة "الحاسوب" واسترجاعها مرة أخرى في هيئة قواعد أو صيغ لغوية ومع ظهور النظم الآلية الخبيرة، وظهور اللسانيات الحديثة وعلوم الحاسوب والرياضيات وعلوم المنطق أثرت في العديد من اللغويين كما استغلت في نماذج لغوية أكبر مفجر للتكنولوجيا اللغوية بدءاً من سنة 1957، وكان تشومسكي وطلابه وأتباعه مزيداً من تقييس اللغة ومعالجة قضاياها السطحية والعميقة. وأمام ما حققته اللسانيات الحاسوبية تعالت أصوات تدعو

إلى العمل على تمثيل هذه النظم في العربية بترسيم المعارف اللغوية في شكل أنظمة آلية لتتعامل بها الآلة باستعمال اللغة العربية وهذا في ضوء ما يسمى ببرمجة اللغة العربية أو تعريب الحاسوب لكن هذا ليس بالأمر الهين أو السهل، لأنه قد تواجه المبرمج مشاكل وعراقيل عديدة ترتبط بنظام العام للغة العربية ولعل أهم مشكل يطرح على هذا المستوى هو النظام الصوتي أو الدلالي للغة العربية والذي لا يخفى على أي دارس للغة العربية هو أن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة التي تفهم لكي تقرأ عكس باقي اللغات التي تقرأ لكي تفهم وللأسف ما زال مشكل الدلالة في العربية مطروحا على مستوى البرمجة.

3. مفهوم البرمجة (1)

إنّ التواصل الإنساني سلوك طبيعي ومألوف تقره العقول وتعترف به النفوس ويقبله المنطق، لكن تعامل عقل بشري مع عقل إلكتروني ليس بالأمر المستحيل، ولكنه ليس بالأمر الهين كذلك إذا أدركنا تعقيدات وصعوبات الأعمال الداخلية للكمبيوتر التي تجعل التعامل معه مباشرة أمرا مستحيلا دون المرور بواسطة تساعد مستعمله في الوصول إلى أهدافه ورغباته وتعد هذه الوساطة همزة وصل بين المستعمل والآلة وهذا ما نقوم به فعلا أنظمة التشغيل فلولا نظام التشغيل لأصبح الجهاز عبارة عن آلة صماء فنظام التشغيل (windows) هو عبارة عن مجموعة من البرامج صممت خصيصا للكمبيوتر لإدارة نفسه من جهة وإنشاء بيئة تعامل واتصال وتبادل وتجاوز بينه وبين مستعمله من جهة أخرى، كما يتجلى من خلاله الصورة الآتية:



الشكل 1: صورة تبين دور وساطة نظام التشغيل في التعامل

والتحاور المتبادلين بين الكمبيوتر ومستعمله programs Systems إن البرامج التي يتكون منها نظام التشغيل لإدارة الكمبيوتر تسمى برامج النظام أما البرامج التي يقوم بإنجازها المختصون المستعملون والمجتهدون لحل مشاكلهم وتسيير مشاريعهم المختلفة تسمى "برامج التطبيقات (programs Application) " حتى يستطيع هذا الأخير فهمها، وتنفيذها على الوجه الذي أمر به - وكما أشرنا سابقا - إن دور نظام التشغيل هو إخبار وإدخال أوامر وتعليمات المستخدم إلى الكمبيوتر فالهدف من هذه البرامج، إدارة الكمبيوتر ولواحقه. والكمبيوتر لا يستعمل إلا البرامج المكتوبة بلغة الآلة: (LANGUAGE MACHINE) وهي عبارة عن رموز لا يفهمها المستعمل إلا بصعوبة كبيرة، إذ يصعب عليه كتابة برامجها بها، ولإزالة هذا العائق كان لازما علينا إيجاد لغة مشتركة مفهومة من الطرفين يتعامل بها مع جهازه، وتكون قبلة للتحويل إلى لغة الآلة، وهذه تعتمد على نبضات كهربائية تتألف من 0، 1 . فالواحد 1 يمثل وجود النبضات الكهربائية بينما يمثل الصفر 0 عدم وجودها، وجميع المعلومات من أرقام وحروف system Binary وحتى الصور، والأشكال تتحول إلى نظام الآلة الثنائي وذلك ليتمكن الكمبيوتر من استعمالها على شكل نبضات كهربائية وعندما ينتهي من تنسيقها وترتيبها وتخزينها ومعالجتها يعود مرة أخرى فيحولها من نظام الآلة إلى لغة يفهمها المستعمل، بعبارة أخرى فالبرمجة في أبسط تعريف لها: هي تحويل لغة المستعمل إلى لغة الآلة ثم ترجمتها إلى لغة المستعمل مرة أخرى. ومثال ما نقوم به في بحثنا هذا، تحويل القاعدة اللغوية لصيغ الاشتقاق " لغة يفهمها المستعمل" إلى لغة الآلة (0، 1) وبعد أن ننهي تنسيقها وترتيبها وتخزينها ثم معالجتها

"وقد توصلت بحوث الذكاء الاصطناعي إلى أن الوظيفة الأساسية للعقل البشري التي تميزه عن العقل الحيواني، هي قدرته على إنتاج الأنظمة الرمزية

واستعمالها، وعلى رأسها النظام الرّمزي اللغوي المستعمل في : التّواصل، وتمثيل المعلومة، وتخزين المعرفة، ونقلها، فقامت برامج الحاسوب على هذا الأساس."

وتختلف البرمجة الآليّة عن نظيرتها العامة في نقاط عديدة، وهي -على سبيل الذّكر لا الحصر -كما يلي:

أولاً: البرمجة الآليّة فرع تطبيقي اهتم بالتّقنيات المعلوماتيّة والاتّصاليّة.

ثانيًا: تقوم على التخطيط والتنظيم والبرمجة.

ثالثًا: إنّ المهتم بالحوسبة الآليّة يفتح على العلوم الحديثة والتّطورات التّكنولوجيّة والعلميّة.

وعموماً، فإنّ الحوسبة الآليّة تسعى إلى الدّراسة العلميّة للغات الطّبيعيّة باعتماد أنظمة وبرامج متقدمة ومنطوية، واللّغة العربيّة من بين تلك اللّغات، وبهذا الاعتبار فإنّها تحويل كل ما يتصل باللّغة من صرف ونحو وغيرها إلى صورة رقميّة فرضتها التّقافة وصفيّة الحديثة، وعليه، يكون المنشغل بهذا المجال العلمي الوصفي الحديث يروم إلى صياغة نماذج وصفي تحاكي اشتغال المَلَكَة اللّغويّة لدى الفرد.

4. النّشأة والتّطور:

ترجع البدايّة الأولى للسانيات الحاسوبيّة إلى فترة ظهور الحاسوب عام 1948م؛ إذ شكّل أداة مُسخرة لكل المعارف والمعالجات، لتكون اللّغة العربيّة من اللّغات الموجهة إلى المعالجة الآليّة، وفي هذه الفترة، تم تحقيق ترجمة آليّة باعتماد الحاسوب من لغة مصدر إلى أخرى هدف، وقد مثّلت اللّغة الإنجليزيّة المحطة الأولى للمعالجات الحاسوبيّة، لكن هذه التّرجمة لم تحقّق الأهداف المتوخاة منها

نظراً لغياب العتاد اللساني القادر على استيعاب خصائص النقل من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن هذه البادرة الأولى قام بها الغرب، أما عن نصيب العرب من العملية، فلم يتأت إلا عام 1971م، حين تم اعتماد الحاسوب قصد الدراسة الإحصائية للألفاظ، وهي عملية لا يمكن اعتبارها معالجة آلية، وإنما إحصاء لغوي باعتماد الحاسب.

5. اللسانيات الحاسوبية والمعالجة الآلية للغة:

1.5. المعالجة الآلية للغة:

تهتم المعالجة الآلية للغة بدراسة الجوانب الحاسوبية للغة والمشاكل اللسانية والحاسوبية التي تواجه هذه المعالجة سواء أكانت هذه اللغة منطوقة أم مكتوبة. وبناء نظام معالجة اللغة العربية مهمة معقدة وصعبة، ولك لصعوبة إدماج المعارف الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في هذا النظام⁽²⁾.

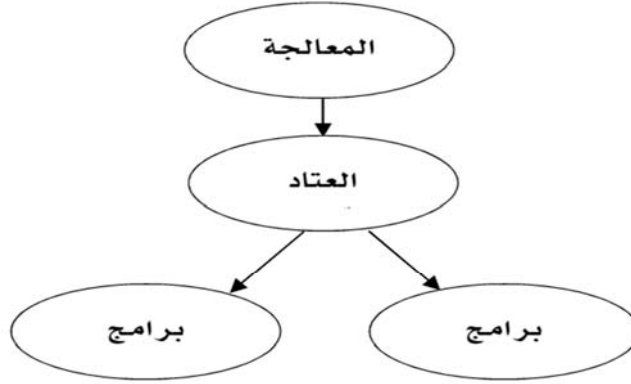
2.5. تعريف بالمعالجة الآلية:

المعالجة: هي التطبيق الآلي على مجموعة من نصوص اللغة وذلك بتغييرها وتحويلها، وإبداع شيء جديد اعتماداً عليها، ويتم ذلك باستعمال تقنيات وأدوات من علوم اللسانيات والإعلام الآلي والنمذجة، ويجب التفرقة بين وصف المعارف التي هي من وظيفة اللسانيات والتعبير عن هذه المعارف في نماذج باستخدام تقنيات واستراتيجيات فعالة مستمدة من علم الحاسوب، وهي وظيفة علم اللغة الحاسوبي⁽³⁾

الآلية: العمليات الآلية هي التي تجرى عن طريق الآلة، والتي تقابلها العمليات التي تجري بواسطة الإنسان والحاسوب هو الآلة التي تستعمل في معالجة اللغة

الذي اخترع إجراء العمليات الحسابية، ووجب تطوره لمعالجة المعلومات ذات الصلة بالطبيعة اللسانية؛ حيث أن المعالجة الآلية هي تتابعه حركات حسابية تقوم الآلة وفق تسلسل زمني أي إن برنامج المعالجة الآلية يمكن أن يكون كلياً أو جزئياً حيث إن:

- 1- كلي: يقوم الحاسوب بكل شيء
- 2- جزئي: يتدخل الإنسان في بعض المراحل .



3.5. مجالات البحث في المعالجة الآلية للغة:

تنقسم مجالات البحث في المعالجة الآلية للغة إلى ثلاثة مجالات أساسية

الأول: مجال مشترك وتقصده العتاد اللساني.

الثاني: برامج بحثية

الثالث: برامج تعليمية

1- البحث العلمي:

- التعرف الآلي للعلاج الكلام العربي

- التّرجمة الآليّة والتّرجمة المسعفة بالحاسوب

- التّعرف الآلي للنّصوص

2 - التّعليم⁽⁴⁾

- تصميم برامج تعليميّة على عتاد إلكتروني

- تصميم برامج على الأنترنت برامج عالميّة

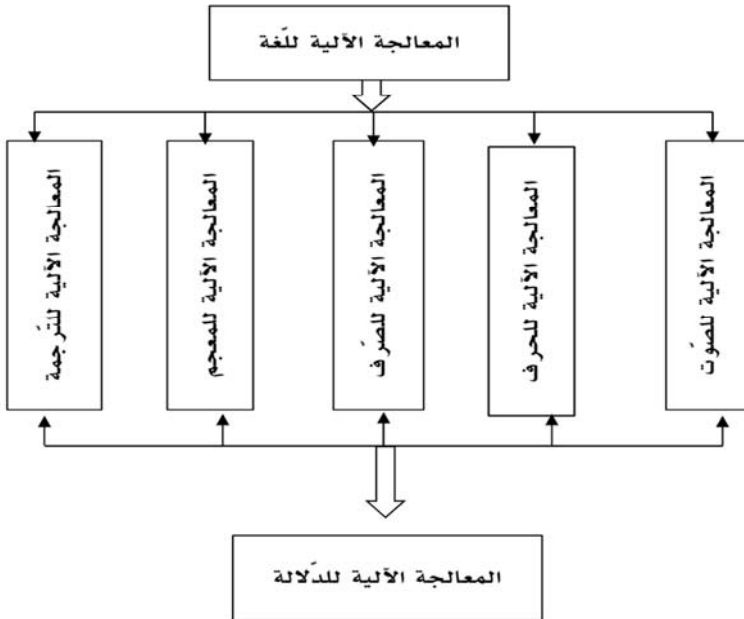
- وإذا خصصنا أي برنامج تعليمي مصمم لأي مرحلة من مراحل التّعليم،

سنجدّه يحصر خبرته في الجانب التّربوي والجانب الحاسوبي وتتّحصر المعالجة

الآليّة في عدة مستويات وهي:

6. حوسبة اللّغة العربيّة:

1.6. أهمّ البحوث والدّراسات اللّسانية التي عنيت بحوسبة اللّغة العربيّة :



لقد أقيمت بحوث كثيرة وندوات تعنى بحوسبة اللغة العربية، فعلى سبيل المثال نذكر: الندوة التي عقدها المركز القومي للتنسيق والتخطيط والبحث العلمي والتقني في المغرب بالتعاون مع معهد الدّراسات والأبحاث لشؤون التعريب بالمغرب. وقد جمعت أبحاث هذه الندوة في كتاب سمي "اللسانيات العربية التطبيقية والمعالجة الإشارية والمعلوماتية"⁽⁵⁾

وقد تعرض الكتاب إلى مشكلة تنوع الأداء المنطوق، كما أشار إلى تقنيات تأليف الكلام وتمييزه، كما تحدث عن دور الحاسوب في الترجمة، وأهم المشاكل التي تعيق طريق هذه التقنيات الواعدة. إضافة إلى ذلك تناولت ندوة استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي، التي عقدت في الكويت، (مباحث عربية حاسوبية في اتجاه تمثيل النظام الصوتي للغة العربية حاسوبيا، ومن ضمن بحوث هذه الندوة بحث الدكتور محمد مرياتي بعنوان "معالجة الكلام اللغوي آليا، تطبيق على اللغة العربية آليا". كذلك الملتقى الدولي ال اربع للسانيات، الذي عقده مركز الدّراسات الاجتماعية والاقتصادية بالجامعة التونسية عام 1987. فقد اتخذ له موضوعا عنوانه "اللغة العربية والإعلامية"، حيث تناول الملتقى دواعي حوسبة اللغة العربية وعوائدها وعوائقها، كما تناول جملة من وجوه المعالجة الآلية للغة في تأليف الكلام وفهمه وقد عرض الباحث محمد مرياتي في أحد بحوث هذا الملتقى، نظاما لاشتقاق الكلمة العربية بالحاسوب، حيث هدف إلى استعمال الحاسوب في إيجاد المشتقات والمتازيدات من الكلمة العربية المجردة. كما انعقد مؤتمر آخر في الكويت للحاسوب تناول فيه يحي هلال التحليل الصرفي للغة العربية، وسبيل معالجته آليا وذلك في بحثه "العلاج الآلي للعربية وتطبيقاته"، وكذلك عرض الباحث محمد الحناش مشروعا لبناء معجم عربي، تركيبى، إلكتروني، وذلك في بحثه المعجم الإلكتروني للغة العربية

أما فيما يخص الكتب المتخصصة ببحث حوسبة اللغة العربية، نجد كتاب اللغة العربية والحاسوب لنبيل علي، الذي صدر عن دار تعريب بالرباط عام 1988 يمثل هذا الكتاب دراسة بحثية لقضية اللغة (قمة علوم اللسانيات)، كما أنّ هناك كتاب الحاسوب واللغة العربية لمؤلفه عبد ذياب العجيلي، الذي صدر عن جامعة اليرموك عام 1996م. وقد عرض الباحث في كتابه هذا معالجة، مسائل متنوعة من اللغة العربية، إذ يعتبر جهدا حميدا يتوج تحت اتجاه الدّراسات البيئية المتعلقة باللغة العربية والحاسوب.

2.6. فوائد حوسبة اللغة العربية

إنّ لحوسبة اللغة العربية فوائد جمة، فيكفي أن نشير إنها ستساعد كثيرا في تعليم اللغات، اعلّى مستوى اللغة الأمّ أو اللغة الأجنبية، ذلك لما للحاسوب من مزايا عرض متعدّدة ومختلفة، وطرق منهجية تعليمية تساعد على تجسير الفجوة بين اللغة ومتعلّمها، ونميز أنّ "هناك أبحاث جادة من قبل اللغويين ومهندسي الحاسوب من أجل إدخال الحوسبة إلى الترجمة بما يعرف بالترجمة الآلية Translation Machine MT. أو بمفهومها الآخر بشيء من الاختلاف في درجة استخدام الحاسوب في الترجمة⁽⁶⁾. وهذا أمر يعتمد على عدة عوامل، الأمر الأوّل هو تطوير جهاز الحاسوب إلى درجة تمكنه من التّعامل مع اللغات في هذا المجال. الأمر الثّاني فهو إعداد اللغات بشكل يتيح للحاسوب التّعامل معها، وتشكل الترجمة أكبر التّحديات للحاسوب في مجال اللغات البشرية، وذلك لسبب بسيط هو أن التّعامل مع اللغة البشرية، يعتمد على الملكة العقلية للبشر، وهذه ليست عملا آليا كما هو الشّأن في الأمور الأخرى، كعمليات التّصنيع التي أظهر الحاسوب قدرة هائلة عليها.

ومن بين فوائد الحوسبة ما يعرف بالوصول إلى درجة محاورة الآلة والتّخاطب مع الآلة وهذا موضوع شائق استهوى بحثه عقل المهندسين واللغويين

لعقود خلت حيث تمثل مسألة مخاطبة الآلة تحدياً لمقدرتنا على فهم عمليات إدراك الكلام وإنتاج برمجيات تقدّم بعض المعرفة بلغة الإنسان مسألة سيكون لها تأثير كبير على الكيفية التي تدار بها شؤون ناس وأعمالهم، فالحواسيب وتعلمها، وإذا ما أردنا أن يعم استعمال الحواسيب بشمل كافة فئات الشعب، فإننا بحاجة إلى تحقيق مزيد من التّقدّم في التّقنيات اللّغات.

ويطمح الباحثون في تقنيّة اللّغات، إلى الحصول على أكبر رصيد من المعلومات. فالمعلومات والخدمات يمكن الحصول عليها في هذه الأيام بسهولة وتطوير نظم للتّواصل مع الآلة سيساعد عمّة النّاس على التّفاهم مع الحاسوب دون أن تكون لهم مهارات خاصة باستعماله أو تدريب مسبق لهذا الغرض.

أمّا عن الغايّة من حوسبة اللّغة العربيّة أم، فتتمثل في تقديم توصيف شامل ودقيق للنّظام اللّغوي يمكنه من مضاهاة الإنسان في كفايته وأدائه اللّغويين، فيصبح قادراً على تركيب اللّغة وتحليلها، يمثل الرّسم الكتابي ما ظهر منها وما بطن فيكشف الأخطاء الإملائيّة، ويبيني الصّيغ الصّرفيّة ويتعرّفها في سياق الكلام وينشئ الجمل الصّحيحة، ويعرب كما يعرب الإنسان ويصحح النّطق إذا عثر به اللّسان. فإذا ورد مثلاً عبارة (صوت مجعز يحولها إلى صوت مزعج، وتغيّير صفاته إذا سمع قائلاً يقول (سباح الخير) بدلاً من (صباح الخير ...))، وما مشاريع المصحح الإملائي و(المحلل الصّرفي) إلّا نماذج لمحاكاة ما يخترنه الإنسان من أدلة الكفايّة اللّغويّة ونماذج وتطبيقات تمثّل اللّغة للحاسوب.

7. مجالات السّانيات الحاسوبية:

إنّ مجالات استخدام اللسانيات الحاسوبية متعدّدة وهي قابلة للتّوسع والدّخول في مجالات أخرى أما أهم المجالات التي تستخدم فيها اليوم فهي:

1.7 تحليل النصوص آليا: إن الكم الهائل من النصوص اللغوية يستدعي استخدام برمجيات متخصصة في النصوص، ومن أهم هذه البرمجيات الكلمات المتوافقة وتعمل هذه البرمجيات على إنجاز المهام التالية:

- الإحصاء العددي وتتضمن استخراج النسبة المئوية لتكرار كلمة معينة في النص
- البحث عن الشيء ويشمل هذا الأمر إيجاد كلمة معينة أو معرفة معانيها.
- تصنيف الكلمات أي ترتيبها وتبويبها في فئات نحوية كالأسماء والأفعال والصفات.
- السياق الذي ترد فيه الكلمة في النص: وتشمل الإحصاء العددي لكلمات النص اللغوي غير معالج الخطوات التالية:

- إحصاء العدد الإجمالي للكلمات في النص.
- إحصاء مقدار تكرار الكلمة الواحدة في النص
- إحصاء مقدار تكرار كلمة بجوار كلمة أخرى وتسمى هذه الخطوة بالتكرار التوافقي للكلمة.

- إحصاء العدد الإجمالي للجمل في النص.

2.7. الترجمة الآلية:

- **تعريف الترجمة الآلية:** إن المصطلح الترجمة يشير إلى الترجمة بمعناها القديم والشائع أي إلى ما ينبغي أن ندعوه الآن الترجمة البشرية بعد أن ظهر أسلوب جديد في الترجمة وهي الترجمة الآلية وهي من أهم المجالات اللسانية الحاسوبية وإحدى غاياتها الأساسية وهي تفجر معظم مشكلات حوسبة اللغة .

جاء في مصطلحات تعليم الترجمة تحت مادة الترجمة الآلية " وهي الترجمة بواسطة برنامج معلوماتي معدة التحليل النص لتحليل النص المصدر والإنتاج النص

والهدف من غير أي تدخل بشري في الترجمة الآلية ويكون المترجم في خدمة الآلة، فيما تكون الآلة في خدمة المترجم حال اللجوء إلى الترجمة بمساعدة الحاسوب.

وتعتبر الترجمة الآلية أول التطبيقات البحوث ' الذكاء الاصطناعي (والمقصود بالذكاء الاصطناعي يطلق على المحاكاة ذكاء الإنسان وكيفية استخدام خبرته المكتسبة في مجال معين بواسطة الآلة، وخاصة باستخدام أنظمة الحاسبات وتتضمن عملية المحاكاة: التعلم أو الحصول على المعلومات، وقواعد استخدام تلك المعلومات للوصول إلى استنتاجات محددة أو تقريبية وتصحيح الأخطاء ذاتيا، وهي تتطلب معرفة وخبرة في حقلين هما علم الحاسوب وعلم اللغة أو اللسانيات، وتحاول تطبيقات الذكاء الاصطناعي أن تجعل الآلات تفعل أشياء تتطلب إذ ما فعله البشر.

إنّ ذلك يتطلب من الحاسوب تحويل المعنى من اللغة المترجم منها (اللغة المصدر) إلى اللغة المترجم إليها (لغة الهدف)

3.7. الإحصاء اللغوي: ويمكن أن يكون للجذور اللغوية والأسماء والأفعال والمشتقات وغير ذلك.

4.7. التحليل الصرفي الآلي: إن هذه المهمة تقيد جدا الباحثين والدارسين في القرآن والمعاجم والكتب اللغوية وذلك في عمليات الإحصاء للجذور ومشتقاتها واستخلاص نتائج دقيقة تصف أداء المؤلف أسلوبيا.

5.7. دراسات المقارنة والتقابلية: هي من مناهج الدراسات اللسانية والاستفادة من القدرة التخزينية للحواسيب وسرعة المعالجة تقيد جدا في هذا المجال⁽⁷⁾.

6.7. التدقيق الإملائي والنحوي: وهي من أصعب العمليات في إكسابها للحاسوب إذ لا يمكن الاعتماد الكامل على الحاسوب في التدقيق اللغوي ولا بد أن يراجع مختص بعد ذلك⁽⁸⁾.

7.7. **تعليم العربية للناطقين بغيرها:** إن هذا المجال سيفيد كثيرا جدا من نتائج الدراسات التّقابليّة بين اللغات والدراسات المقارنة أيضا مما يجعل تعليم اللّغة أبسط وأسرع.

8.7. **تحويل النصّ إلى كلام والكلام إلى نص:** تعد هذه العمليّة أكثر العمليات نفعا من تطبيقات اللسانيات الحاسوبية لأنها ستكون مجالا للاستخدام من قبل جميع الناس بينما ينتفع بالعمليات الأخرى بعض الفئات دون البعض.

ترتكز دراسة حوسبة اللّغة حول مسارين الأول محاكاة التفكير الإنساني والثاني محاكاة الأداة البشري بإيجاز الجوانب الرئيسيّة لكل منهما:

8. **محاكاة التفكير الإنساني:** في هذا المجال العلماء يحاول العلماء بناء نظام حاسوبي قادر على فهم اللّغة الإنسانيّة وإنتاجها تماما كما يفعل سائر البشر، ولكن هل استطاعوا فعل ذلك ؟ والجواب: لا، لأنهم لم يتمكنوا من تطوير نموذج يحاكي التفكير الإنساني من النّواحي الإدراكيّة والسلوكيّة والسيكولوجيّة على الرّغم من المحاولات المستمرة التي تبذل لحل هذه المشكل المعقّدة عن طريق تجزئتها، وكلها ترتكز على الكيفيّة التي يعمل بها الإدراك الإنساني سعيا للتّوصل إلى نموذج حاسوبي يحاكي التفكير الإنساني

9. محاكاة الأداة البشري:

أمّا الهدف المسار الثّاني للغويات الحاسوبية فهو محاكاة الأداة البشري والقدرة على القيام بالمهام معيّنة أثناء عمليّة استيعاب اللّغة أو إنتاجها ولا تزال هذه المسألة شائكة لا يبدو أن هناك حلا لها على المدى القريب، لنفترض أننا نريد من نظامنا الحاسوبي أن يحاكي أداء رجل بالغ وعاقل هو " أنت " أيها القارئ على سبيل المثال لنرى مدى صعوبة المسألة فأنت تقوم بإنتاج عدد لا محدود من الجمل، وتطبق مماثلا من الطّرف الآخر بمفردتها وأصواتها وتركيبها فحسب بل تعتمد

أيضا على معرفة باللغة ككل، ومن هنا نعرف أن محاكاة القدرات اللغوية والإنسانية أمر بعيد فعليا على سبيل المثال أن نعالج المعرفة الموسوعة السابقة من الثقافة والخبرة والمقدرة على الاستعمال اللغوي في المواقف الاجتماعية المناسبة وأمام هذه المعضلة المعقدة لجأ الباحثون إلى التركيز على النماذج الحاسوبية تعني بمجالات لغوية محددة من الجانب اللغوي وتمت تجزئته إلى أجزاء صغيرة: الصوتيات الفونولوجيا، المورفولوجيا .

10. التّخاطب مع الحاسوب:

التّخاطب مع الحاسوب موضوع شيق استهوى بحثه عقول المهندسين واللّغويين لعقود خلت، فبالنسبة منهم تمثل مسألة مخاطبة الآلة تحديا لمقدرتها على فهم عملية إدراك الكلام وإنتاجه، كما أن مسألة إنتاج البرمجيات تقدم بعض المعرفة للغة الإنسان مسألة سيكون لها تأثير كبير على الكيفية التي تدار بها شؤون الإنسان وفهم لغات الحاسوب وتعلمها إذا ما أردنا أن نعلم استعمال الحواسيب ليشمل كافة فئات الشعب فإننا بحاجة إلى تحقيق مزيد من التّقدم في مجال تقنيات اللّغات.

يتطلّب العمل في هندسة اللّغة العربيّة التّمكن من نوعين متكاملين من المعرفة الحاسوبية ذات الصّلة بمعالجة اللغات الطّبيعية، وخاصة في جانبها البرمجي، وهو ما يعني التّأقلم مع التّفكير المنطقي الذي تقوم عليه الآلة. فالحاسوب منظومة برمجية منطقية قوامها الخوارزميات الصّارمة التي لا تشغل بالظن أو بالنسبية.

ظهر مصطلح تخاطب الإنسان مع الحاسوب (Human Computer Interface) ليصف كيفية التّفاعل والتّخاطب بين الإنسان والحاسوب، ثمة حاليا طيف ضخم من البرامج والأجهزة التي تتطلّب تفاعلا بين البشر والحاسوب، قد يكون هذا التّخاطب والتّفاعل صوتيا أو كتابيا، إن أشهر تقنيات لمعالجة الإشارة الكلامية التي تتيح

تخاطبا نصيا وصوتيا بين الإنسان والحاسوب هي نظم تحويل النصوص إلى كلام (Text to Speech System) ونظم تعرف الكلام (Speech Recognition Systems)

الكلام هو وسيلة الاتصال بين أفراد الجنس البشري، وهو هبة الله للبشر ميزهم بها عن سائر المخلوقات الأخرى، والكلام هو استحداث موجات صوتية بواسطة الحركة الإرادية للتركيب التشريحي في نظام توليد الكلام لدى الإنسان لتتقل المعلومات من المتكلم إلى السامع، فالكلام هو ديناميكية الإشارة التي تحتوي على المعلومات الأساسية والتي تدعى بالموجة الصوتية، هذه الموجة تنتج خلال عملية الضغط داخل فم المتكلم وهي نتيجة سلسلة حركات متناسقة ومتتالية لتركيب النظام اللفظي لدى الإنسان، وقد تتحول كمدخل إلى نظم معالجة لغوية لاحقة للحصول على فهم الكلام لإعطاء تفسير لهذا الكلام والتصرف على أساسه.

11. حلول مشكلة حوسبة اللغة العربية:

قبل البدء في عرض رؤيتي لحل مشكلة حوسبة اللغة العربية أذكر هنا نموذجاً اقترحه د. وجدان ليكون منهج اللسانيات الحاسوبية.

فيما يلي تفصيل يقدم تصوراً تأسيسياً لمنهجية التناول تتعدد فيه المقاربات تبعا لتباين الأنظمة اللغوية الجزئية التي تتكامل فيما بينها وتشكل تلك الأنظمة مجتمعة النظام الكلي للغة العربية.

أولاً: توصيف النظام الفوناتيكي (9):

تؤول العربية في نظامها الصوتي إلى أربعة وثلاثين فونيماً ثمانية وعشرون صامتاً تتمثل في حروب الأبجدية العربية وستة صوائت تمثلها الحركات الثلاث القصيرة الفتحة والكسرة والضمة والحركات الثلاث الطويلة حروف المد ويعنى في الجانب الفوناتيكي بتوصيف تلك الأصوات آحاداً على المستوى الأكوستيكي

الفيزيائي... والبادي أن توصيف الأصوات منفردة على هذا النحو سيفضي إلى نتائج دقيقة لا تقبل اللبس وأن حدوداً فاصلة قاطعة... ستميز كل صوت عن بقية الأصوات.

ثانياً: توصيف النظام الفونولوجي:

تخضع الفونيمات العربية لقواعد فونولوجية تحكم تتابعها في سياق الكلمة أو الجملة وقد يطرأ على الفونيم تغيير في صفته تأثراً بما يسبقه أو ما يليه من الفونيمات ويعني ذلك أن التوصيف الفوناتيكي لأصوات العربية لا يكفي وحده ليتمكن الحاسوب من تمييز الفونيمات وأنه يحتاج إلى توصيف آخر لما يعتري فونيمات العربية في سياقها الوظيفي (التضعيف - التجانس والإدغام - ال الشمسية).

ثالثاً: توصيف النظام المورفولوجي:

ينبغي ابتداءً أن نلمح إلى أن توصيف النظام المورفولوجي يهدف إلى تمكين الحاسوب من التعامل مع المورفيمات الوحدات الصرفية التي تشكل التراكيب اللغوية المتنوعة وينبغي ونحن في هذا الصدد التمييز بين مطلبين متميزين المطلب الأول المتمثل في القدرة على التوليد أي صوغ الأبنية اللغوية السليمة بخطوات إجرائية محددة على نحو شامل مستقص والمطلب الثاني الذي يمكن الحاسوب من التحليل بتعيين المعاني الصرفية وتفكيك التراكيب اللغوية إلى وحداتها الصرفية الصغرى حين ترد في سياق الجملة أو في سياق النص.

رابعاً: توصيف النظام الإعرابي:

يلزمنا بادئ الأمر تصنيف كلم العربية إلى المبني والمعرب ذلك أن المبني سيتدخل في الحاسوب على هيئة لا تتغير... وسيفضينا ذلك إلى حصر جهدنا على الاسم المعرب والفعل المعرب.

خامساً: توصيف النظام الدلالي:

يمثل توصيف النظام الدلالي للغة العربية نواة المعالجة الآلية وعموده الفقري ذلك أن جل عمليات المعالجة الآلية للتراكيب اللغوية تستند بشكل من الأشكال عليه وتحيل إليه ويعد عند المعنيين باللسانيات الحاسوبية أعسر المباحث تناولاً لتعلق دلالات الألفاظ بداهة بالفهم البعيد المنال عن الحاسوب... ولعل الأولى ونحن في سبيل إنشاء هذا النظام الدلالي أن نستعين ببنك للنصوص العربية الفصيحة يتم اختيار نصوصه سلفاً وفق معايير علمية.

12. الخاتمة

يتمثل الهدف الرئيسي البرمجة الآلية في السرعة والدقة العلمية، ومن ثم الحصول على الترجمات الآلية من اللغة العربية والتصنيف القائم على النحو علمي وسريع جداً يتمشى مع التطورات الحديثة. كما شهدت الدارسات المعنية باللسانيات الحاسوبية العربية تطوراً لافتاً واللسانيات الحاسوبية وسيلة مهمة جداً في الاستجابة الحضارية لمستجدات وما تزال بحاجة إلى جهود كبيرة لتنميتها وتوظيفها في خدمة العربية وأهلها وعلومها إلا أن الاستفادة والجمع بين جهود الجميع من ساهم في هذا المجال وما يقرب منه بما يتناسب مع خصائص العربية وصفات الحاسوب ويبقى الباب مفتوحاً في مجال الحوسبة الآلية، فاتحاً آفاقه لأبحاث قادمة يمكن لها أن تخدم اللغة العربية أمام التطور التكنولوجي الكبير.

المصادر والمراجع:

- (1) توظيف اللّسانيّات الحاسوبية في خدمة الدّراسات اللّغوية العربيّة - جهود ونتائج، د. عبد الرّحمن بن حسن العارف، مجلة مجمع اللّغة العربيّة الأردني، الأردن، عدد 73، 2007، ص 15
- (2) راضية بن عربيّة، جامعة حسية بن بو علي، الشّلف، ص 15
- (3) لمعالجة الآليّة للغة العربيّة، إنشاء نموذج لساني 11 صرفي إعرابي للفعل العربي، فارس شاشة مذكرة ماجستير في علم المكتبات والتّوثيق، جامعة الجزائر، كلبّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، الجزائر 2008، ص: 13
- (4) اللّغة العربيّة الحاسوب، محمد الحناش، ص 24
- (5) وليد ابراهيم الحاج، اللّغة العربيّة ووسائل الاتّصال الحديثة، ط1، دار البداية ناشرون وموزعون عمان، 2011، ص 24.
- (6) سعيد بقطين، من النّص إلى النّص المترابط، ط1، دار النّشر، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء المغرب، 2005، ص 3
- (7) طارق عبد الحكيم امهان، اللّسانيّات الحاسوبية ومشكلة الحوسبة اللّغة العربيّة، ص 11
- (8) توظيف اللّسانيّات الحاسوبية في خدمة الدّراسات اللّغوية العربيّة، جهود ونتائج، د. عبد الرّحمن بن حسن العارف، مجلة مجمع اللّغة العربيّة الأردني، الأردن، عدد 73، 2007، ص 18
- (9) اللّسانيّات الحاسوبية العربيّة، المنهج والإطار، د. وحدان محمد صالح كنالي، بحث قدم في المؤتمر الدّولي الثّاني للغة العربيّة في دبي، 30/ جمادى الآخرة/ 1434، ص 10 وما بعدها.

التعرف الآلي

على اللغات المكتوبة بالحرف العربي

صديق بسّو، هشام حميدة، لبنى خياري

جامعة فرحات عباس، سطيف-1-

bessou.s@univ-setif.dz

ملخص

يعتبر التعرف الآلي على اللغة (ALI) عملية تحديد اللغة الطبيعيّة لنص ما. والتي تعتبر الخطوة الأولى الضرورية لمعالجة المستندات النصيّة لإنشاء أي نظام يعتمد على اللغة.

ينمو التعرف على اللغة (LI) يوما بعد يوم ولديه مجموعة متنوعة من التطبيقات. ويساعد كعملية تمهيدية على الترجمة الآلية، واسترجاع المعلومات وتحليل المشاعر، والتعرف على الأعلام، وتلخيص النصوص، واستخراج الأنطولوجيات، ووسم أجزاء الكلام، والكشف عن الرسائل غير المرغوب فيها وتصنيف مواضيع صفحات الويب الخاصة بالتوصيف والتأليف وغيرها.

في هذا البحث، نستخدم مجموعة من الميزات لتصنيف 6 لغات باستخدام مجموعة أحرف مماثلة (أحرف عربية). يتم تقديم نهج يهدف إلى قياس تشابه اللغة باستخدام 8 ميزات. اللغات المدروسة في هذت البحث هي البلوشية والكشميرية والكردية والمالايو والبنجابية والإيغورية. لا تأخذ النظم الحالية اللغات والأصناف ذات الصلة عن كذب بعين الاعتبار، لهذا يهدف عملنا هذا إلى سد هذه الفجوة من خلال معالجة الميزات اللغوية للتمييز الصّارم بين هذه اللغات. تم استخدام الدقة

والاسترجاع والقياس F1 لتحديد فاعليّة الخوارزمية المقترحة. التجارب التي تتطوي على تحديد اللغة تظهر نتائج جيدة بدقة 94.65%.

الكلمات المفاتيح: تكنولوجيا اللغة، اللسانيات الحاسوبية، الذكاء الاصطناعي التعرف الآلي على اللغات

مقدمة:

التعرف الآلي على اللغة هو عملية تحديد اللغة الطبيعية لنص ما. هذه الخطوة الأولى الضرورية لمعالجة المستندات النصية لإنشاء أي نظام يعتمد على اللغة.

ينمو التعرف الآلي على اللغة يوماً بعد يوم ولديه مجموعة متنوعة من التطبيقات. مثل الترجمة الآلية، استرجاع المعلومات، تحليل المشاعر، والتعرف على الكيان المسمى، التلخيص الآلي، استخراج الأنطولوجيا، وسم أجزاء الكلام الكشف عن الرسائل غير المرغوب فيها، تصنيف مواضيع صفحات الويب، ...

في هذه الورقة، نعمل على الاكتشاف التفائلي للغات الموجودة بنص ما. اللغات المشمولة في هذه الدراسة هي البلوشية والكشميرية والكردية والماليزية والبنجابية والإيغورية. كيف نميز بين هذه اللغات حيث يكون النص مكتوباً بحروف عربية؟

النموذج المقترح:

تحدّد الطريقة المقترحة لغة النصّ المستهدف من خلال الجمع بين عديد الميزات اللغوية.

1-دالة الحروف الخاصة

تعمل هذه الدالة على تحديد اللغة. ومع ذلك، فإن عدد هذه الأحرف صغير أو غير موجود في بعض اللغات، وحتى في حالة وجودها، فإن هذه الحروف قليلة

الظهور، مما يمنع التعرف على النصوص القصيرة والجمال القصيرة، مما يجعلها دالة تغطي بضع لغات. يعرض الجدول الموالي قائمة الأحرف الخاصة بكل لغة.

اليوغور	ڭ, ځ, ځو, ځو
الملايو	ڭ, ځ, ځو
الكردية	ڭ, ځ
الكشميرية	ڭ, ځ

2- دالة الحروف شبه الخاصة

هي حروف خاصة موجودة بأكثر من لغة واحدة. بمجرد أن تلتقي هذه الدالة بأحد الأحرف شبه الخاصة، فإنها ترفع العداد المتعلق بهذه الأحرف في اللغة المطلوب البحث عنها يوضح الجدول الموالي بعض الأمثلة للأحرف شبه الخاصة:

اليوغور	البنجابية	الملايو	الكردية	الكشميرية	البلوشية	
	•			•	•	ڭ
		•	•			ځ
	•			•	•	ځو
	•			•	•	ځو
•			•	•		ځو
			•	•		ځو
			•	•		ځو

3- دالة الكلمات الخاصة

هذه الدالة تشبه دالة الأحرف الخاصة. الكلمات الخاصة مميزة ومتكررة. (الضمائر، حروف الجر، الاقتران، الخ) يعرض الجدول الموالي بعض الكلمات الخاصة في لغات مختلفة.

الكرديّة	لة, بة, كة, بو, ئو, وة, ئم
الملايو	يغ, دان, كيت, دغن, كفد, دالم, مريك
اليوغور	ؤه, بو, بيلمن, بير, ئيبنى, دهب, ئؤ

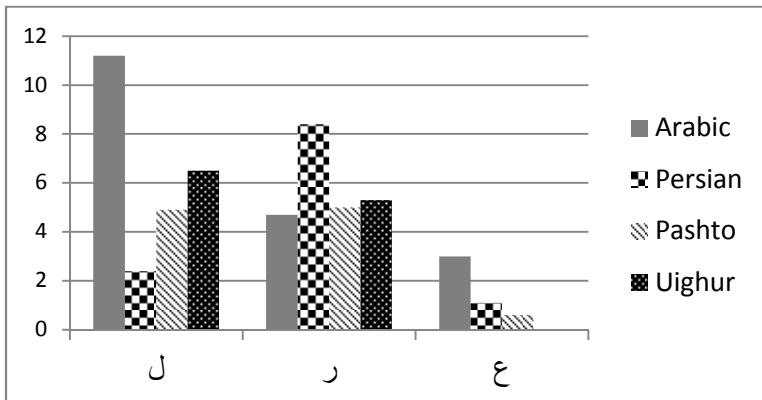
4- دالة الكلمات شبه الخاصة

الكلمات شبه الخاصة هي كلمات خاصة يمكن أن تظهر في أكثر من لغة واحدة. يوضّح الجدول الموالي بعض أمثلة عن الكلمات شبه الخاصة.

	البنجابيّة	الكشميريّة	البلوشيّة
اے	•		•
کہ	•		•
نہ		•	•

5- دالة التحليل الترددي

في هذه الدالة، يتم تحويل كل وثيقة إلى متجه تردد حروف المستند، مما يعني أنّ بعض الأحرف تظهر بتعدد معين. على سبيل المثال، في اللغة العربيّة، حرف (ل) هو الحرف الأكثر تكراراً، وعلى العكس هو قليل التكرار في اللغة الفارسيّة مثلاً.



دالة الأبجدية المستعملة

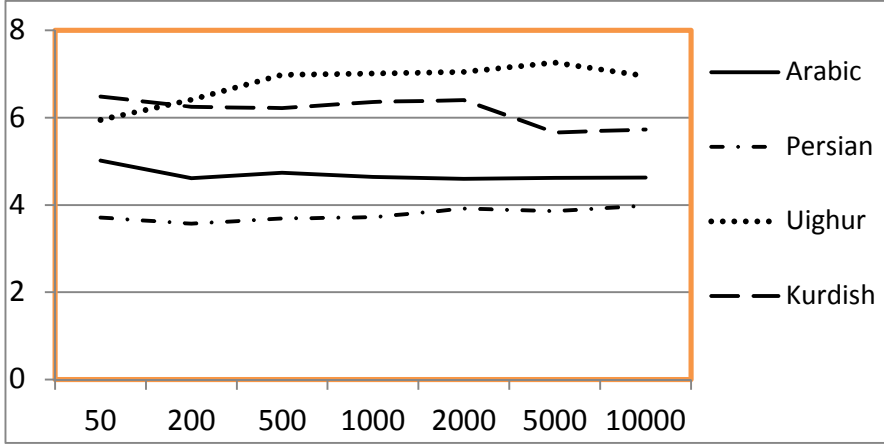
هذه الدالة مفيدة في سياق استخدام اللغة، إذ تقوم بمقارنة الحروف الواردة في النص مع مجموعة الحروف الهجائية للغات المحتملة. تزداد درجة الوظيفة عندما تكون القائمة أقرب إلى أبجدية اللغة.

6- دالة متوسط طول الكلمة

بعد إجراء العديد من العمليات الحسابية على عينة كبيرة من النصوص، حصلنا على متوسط طول الكلمات في كل لغة. يوضح الجدول الموالي أمثلة عن المجالات.

اللغة	أقل طول	أكبر طول
الكردية	5-0	6.5
اليوغور	6.5	8.0
البلوشية	3.45	3.85
الملايو	4.65	5.1

يعرض الشّكل الموالي متوسط أطوال الكلمات من 50 كلمة إلى 10000 كلمة. نلاحظ أنّ اليغور لديها أطول الكلمات والفارسيّة لديها أقصر الكلمات في المجموعة.



7- دالة البيغرام

تتألف من ثنائيات الحروف، ومن ثمّ التّحقّق من وجود هذه الثنائيات في العديد من المدوّات. لغة النّص هي لغة النّص الذي يحتوي على معظم الحروف ثنائية الغرام.

مجموع النّقاط

نربط كل دالة بمعامل وفقاً لأهميتها والدقة التي تقدمها. ثمّ نجمع كل القيم. لكل لغة، نحسب هذه النتيجة الإجمالية بناءً على الدّرجات الفرديّة، ثمّ يتمّ فرز هذه الدّرجات. أعلى درجة تحدد لغة النّص المستهدف.

التّجارب والنتائج

البيانات

نظراً لأنّ العديد من اللّغات منخفضة الموارد، لم يكن هناك أي لغة متاحة بسهولة. ومع ذلك، فقد زاد حجم محتوى الويب. في هذه الدّراسة، قمنا ببناء

مجموعة تضم عددا كبيرا من الكلمات 1074449 كلمة .تحتوي كل مجموعة ما بين 150.000 و 200000 كلمة، جمعناها من خلال (BBC news + UPC Sketch Engine + voice of America news)، ...، تم رسم المدونة يدوياً. يوضح الجدول الموالي أحجام المستندات في مجموعة المستندات. يتم تمثيل اللغات بواسطة أكواد ISO-639-1 ، باستثناء البلوشية فهي ممثلة بـ ISO 639-2.

عدد الكلمات	ISO 639-1	اللغة
185,247	Bal	البلوشية
154,398	Ks	الكشميرية
197,017	Ku	الكردية
162,794	Ms	الملايو
183,772	Pa	البنجابية
191,221	Ug	اليوغور
1.074,449		المجموع

لإجراء التجارب، قسمنا المدونة إلى قسمين. القسم الأول لاستخراج الميزات (95%)، والثاني للاختبار (5%). ينقسم الاختبار إلى ثلاث مجموعات في كل لغة من الأصغر إلى الأكبر؛ لذلك، تم إجراء تقييم جيد كما هو مذكور في الجدول الموالي:

المجموعة	عدد الكلمات في كل مستند في كل لغة	متوسط عدد الكلمات المستعملة في الاختبار لكل لغة
القسم 1	< 10	5×20=100
القسم 2	10-50	30×20=600
القسم 3	>50	100×20=2,000

السبب الرئيس لتقسيم المدونة إلى ثلاث مجموعات هو تقييم كفاءة الخوارزميّة على المستندات القصيرة والمستندات الكبيرة.

النتائج

تعرض الجداول الموالية النتائج التي تم الحصول عليها باستخدام الخوارزميّة المقترحة على بيانات الاختبار. تعرض الجداول المقاييس نفسها لجميع بيانات الاختبار.

المجموعة 1

الاسترجاع	الدقة	اللغة
0.9000	0.7500	البلوشية
0.9500	0.8636	الكشميرية
1.0000	0.7407	الكردية
1.0000	1.0000	الملايو
0.9500	0.9048	البنجابية
1.0000	1.0000	اليوغور
0.9667	0.8765	المتوسط

المجموعة 2

الاسترجاع	الدقة	اللغة
1.0000	1.0000	البلوشية
1.0000	1.0000	الكشميرية
1.0000	1.0000	الكردية
1.0000	1.0000	الملايو
0.9500	0.9500	البنجابية
1.0000	1.0000	اليو غور
0.9917	0.9917	المتوسط

المجموعة 3

الاسترجاع	الدقة	اللغة
1.0000	0.9523	البلوشية
1.0000	1.0000	الكشميرية
1.0000	0.8696	الكردية
1.0000	0.9523	الملايو
0.9500	0.9500	البنجابية
1.0000	1.0000	اليو غور
0.9917	0.9540	المتوسط

مجموعة الاختبار كاملة

اللغة	الدقة	الاسترجاع
البلوشية	0.8923	0.9667
الكشميرية	0.9516	0.9833
الكردية	0.8571	1.0000
الملايو	0.9836	1.0000
البنجابية	0.9344	0.9500
اليوغور	1.0000	1.0000
المتوسط	0.9365	0.9833

تتحسّن الدقة مع زيادة طول عينة الاختبار . نعرض في الجدول الموالي الدقة الكلية والاسترجاع والقياس F والدقة لجميع وثائق الاختبار.

Precision	Recall	F-measure	Accuracy
0.9365	0.9833	0.9593	94.65%

تستخدم العديد من اللغات عدة كلمات من لغات أخرى . هذه الظاهرة تؤدي إلى سوء التصنيف بين اللغات القريبة جدًا . لدراسة هذه الظاهرة في مجموعة اللغات الخاصة بنا، قمنا بتكوين مصفوفة ارتباك كما هو موضح في الجدول الموالي.

True label		Bal	Ks	Ku	Ms	Pa	Ug
	Bal	0.89	0.01	0.00	0.00	0.05	0.00
	Ks	0.00	0.95	0.00	0.00	0.03	0.00
	Ku	0.00	0.00	0.86	0.00	0.00	0.00
	Ms	0.00	0.00	0.00	0.98	0.00	0.00
	Pa	0.00	0.00	0.00	0.00	0.93	0.02
	Ug	0.00	0.00	0.00	0.00	0.00	1.00

نقاش

نلاحظ أن الخوارزمية المقترحة عملت بشكل جيد للغاية في تحديد جميع اللغات التي تمت دراستها. معظم مقاييس الدقة تتراوح بين 86% و 100%. هذه نتيجة جديدة لهذه المجموعة من اللغات التي لم يتم اختبارها من قبل. تؤكد النتائج أننا حققنا أداءً مشابهاً لأحدث ما في لغات النص اللاتيني.

علاوة على ذلك، يتم تحديد النصوص القصيرة مع ارتفاع الأداء. تؤدي زيادة حجم نص الإدخال إلى تحسين أداء الخوارزمية نظراً لوجود إمكانية الوصول إلى مزيد من المعلومات من المجموعة 1 إلى المجموعة 3.

خاتمة

في هذا البحث، قدمنا نظاماً لتعريف لغات النصوص العربيّة استناداً إلى الميزات اللغويّة التي تقيس تشابه اللّغات بين 6 لغات. توافق النّاتج التي تم الحصول عليها على أنّ اللّغات ذات الصّلة الوثيقة لها خصائص نظاميّة يمكن تصميمها لتمييز اللّغات. يمكن تمييز اللّغات المدروسة بنسبة 94.65٪ من الدّقة. نعتقد أنّ هذا النظام يسد فجوة مهمة بين أنظمة التّعرف الآلي الأخرى. تقدّم الخوارزمية أداءً مشابهاً للأنظمة الحاليّة التي لا تأخذ بعين الاعتبار اللّغات والأصناف ذات الصّلة الوثيقة.

يمكن أن تشمل الإضافات المستقبلية لهذا العمل المزيد من الميزات باستخدام الخبرة اللّغويّة، والتي تأخذ بعين الاعتبار المزيد من اللّغات.

المراجع

- [1] Abainia, K., Ouamour, S., & Sayoud, H. (2014). Robust language identification of noisy texts: proposal of hybrid approaches. In *25th International Workshop on Database and Expert Systems Applications (DEXA), 2014* (pp. 228-232). IEEE.
- [2] Adouane, W., Semmar, N., Johansson, R., & Bobicev, V. (2016). Automatic detection of Arabicized Berber and Arabic varieties. In *Proceedings of the Third Workshop on NLP for Similar Languages, Varieties and Dialects (VarDial3)* (pp. 63-72).
- [3] Cavnar, W. B., & Trenkle, J. M. (1994). N-gram-based text categorization. In: *Proceedings of the 3rd Annual Symposium on Document Analysis and Information Retrieval (SDAIR-94)* (pp. 161-175).
- [4] El-Shishiny, H., Troussov, A., McCloskey, D. J., Takeuchi, M., Nevidomsky, A., & Volkov, P. (2004). Word Fragments Based Arabic Language

Identification. In *NEMLAR, Arabic language Resources and Tools Conference, Cairo, Egypt*.

[5] Feinerer, I., Buchta, C., Geiger, W., Rauch, J., Mair, P., & Hornik, K. (2013). The textcat package for n-gram based text categorization in R. *Journal of statistical software*, 52(6), 1-17.

[6] Ibrahim, R., Saeed, S., & Wakil, K. (2017). Plagiarism Detection Techniques for Arabic Script Languages: A Literature Review. *Kurdistan Journal of Applied Research*, 2(3), 106-111.

[7] Jauhainen, T., Lui, M., Zampieri, M., Baldwin, T., & Lindén, K. (2018). Automatic language identification in texts: A survey. *arXiv preprint arXiv:1804.08186*.

[8] Kordestanchi, H., & Naderi, H. (2013). Performance comparison study of language identification tools for identification of Farsi web pages. In *5th Conference on Information and Knowledge Technology (IKT)* (pp. 489-494). IEEE.

[9] Lui, M., & Baldwin, T. (2012). langid. py: An off-the-shelf language identification tool. In *Proceedings of the ACL 2012 system demonstrations* (pp. 25-30). Association for Computational Linguistics.

[10] Lui, M., & Cook, P. (2013). Classifying English documents by national dialect. In *Workshop Proceedings of the Australasian Language Technology Association (ALTA 2013)* (pp. 5-15).

[11] Lui, M., Letcher, N., Adams, O., Duong, L., Cook, P., & Baldwin, T. (2014). Exploring methods and resources for discriminating similar languages. In *Proceedings of the First Workshop on Applying NLP Tools to Similar Languages, Varieties and Dialects* (pp. 129-138).

[12] Malmasi, S., & Dras, M. (2015). Automatic language identification for Persian and Dari texts. In *Proceedings of PACLING* (pp. 59-64).

[13] Malmasi, S., & Zampieri, M. (2017). Arabic dialect identification using iVectors and ASR transcripts. In *Proceedings of the Fourth Workshop on NLP for Similar Languages, Varieties and Dialects (VarDial)* (pp. 178-183).

- [14] Ng, C. C., & Selamat, A. (2009). Improved letter weighting feature selection on arabic script language identification. In *First Asian Conference on Intelligent Information and Database Systems, ACIIDS 2009*. (pp. 150-154). IEEE.
- [15] Ranaivo-Malançon, B. (2006). Automatic identification of close languages-case study: Malay and Indonesian. *ECTI Transactions on Computer and Information Technology (ECTI-CIT)*, 2(2), 126-134.
- [16] Selamat, A., & Ching, N. C. (2008). Arabic script documents language identifications using Fuzzy ART. In *Second Asia International Conference on Modeling & Simulation, AICMS 08*. (pp. 528-533). IEEE.
- [17] Tiedemann, J., & Ljubešić, N. (2012). Efficient discrimination between closely related languages. *Proceedings of COLING 2012*, 2619-2634.
- [18] Zampieri, M., & Gebre, B. G. (2012). Automatic identification of language varieties: The case of Portuguese. In *The 11th Conference on Natural Language Processing, KONVENS 2012*. (pp. 233-237). Österreichischen Gesellschaft für Artificial Intelligende (ÖGAI).
- [19] Zampieri, M., Gebre, B. G., & Diwersy, S. (2013). N-gram Language Models and POS Distribution for the Identification of Spanish Varieties. *Proceedings of TALN 2013 (Volume 2: Short Papers)*, 2, 580-587.

المعالجة الآلية للغة العربية: المرتجى والمؤمل

أ / عيسى تومي

جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر

aissa.toumi2012@gmail.com

تمهيد:

عرفت اللسانيات المعاصرة طفرة نوعية على كافة مستوياتها النظرية والمنهجية وذلك نتيجة تفاعلها مع تخصصات علمية أخرى دقيقة داخل منظومة العلوم المعرفية، التي أضحت نقطة ارتكاز لنقيس كيفية اشتغال العقل البشري في معالجته للمعلومات. كما نالت التطبيقات التكنولوجية التي أخذت تشق طريقها في كل منحنى من مناحي الحياة انتشاراً منقطع النظير، بحيث غدت مقوماً رئيساً وفاعلاً في مجال العلوم الطبيعية والتطبيقية محققةً بذلك نجاحاً؛ جعل منها مفتاحاً يلج من خلاله الإنسان إلى عالم المعرفة.

هذا وتعدُّ المعالجة الآلية للغات الطبيعية أساساً تتبني عليه عمليات البرمجة الآلية؛ التي أصبحت اليوم أمراً مهماً لا حيدة عنه ولا مفر؛ خاصة وأنّ الدراسات الحاسوبية والمعلوماتية - بصفة عامة - راحت تحقق نتائج كبيرة في مجال التعريب والإحصاء اللغوي، وتعليم اللغات، والترجمة الآلية، والتعليم، وغيرها.

في هذا الإطار سنحاول الوقوف على واقع المعالجة الآلية للغة ودورها في تنمية وتطوير استعمال اللغة العربية، وكذا تقديم بعض المقترحات والحلول التي قد تسهم في الرّفع من مكانتها في هذا المجال.

أولاً: اللسانيات الحاسوبية المفهوم والنشأة:

- اللسانيات الحاسوبية (Linguistique Computationnelle) علم واسع متعدّد التطبيقات، يمكنه تحويل كثير من المهمات اللغوية إلى أعمال آلية؛ تتم بواسطة المعالجة الآلية لجميع المستويات اللغوية: (الصوتية المعجمية الصرفية، النحوية الدلالية) بالإضافة إلى الترجمة الآلية، والإصلاح الآلي للأخطاء المطبعية، وتعليم اللغات بواسطة الحاسوب، والتوثيق الآلي وتنطبق الآلات بالتركيب الاصطناعي للأصوات اللغوية، وغيرها... (1)

وتحاول اللسانيات الحاسوبية أن تعالج اللغة الطبيعية آلياً، بوضع عقل آلي قادر على استعمال اللغة مثلما يستعملها الإنسان. وبما أنه علم يجمع بين اللسانيات والحاسوب فإنّ موضوعه اللغة والحاسوب. وهو القيام بترجمة اللغة إلى رموز رياضية يفهمها الحاسوب، أو تهيئة اللغة الطبيعية لتكون لغة تخاطب وتداول مع الحاسوب بما يفرضي إلى أن يؤدّي الحاسوب كثيراً من الأنشطة اللغوية التي يؤدّيها الإنسان مع إقامة الفرق في الوقت والجهد والتكلفة. (2)

وتشير الدراسات إلى أنّ البدايات الأولى لنشأة اللسانيات الحاسوبية تعود إلى فترة ظهور الحاسوب عام 1948 م؛ فقد شكّل هذا الجهاز أداة فعالة تمّ تسخيرها لكثير من المعارف والمعالجات، لتكون اللغة العربية من اللغات الموجهة إلى المعالجة الآلية. وقد تمّ في هذه الفترة تحقيق ترجمة آلية باعتماد الحاسوب من لغة مصدر إلى أخرى هدف، وقد مثّلت اللغة الإنجليزية المحطة الأولى للمعالجات الحاسوبية، لكن هذه الترجمة لم تحقق الأهداف المتوخاة منها؛ نظراً لغياب العتاد اللساني القادر على استيعاب خصائص النقل من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف.

وأما عن نصيب اللغة العربية من هذه العملية، فلم يتأتّ إلا في العام 1971م حين تمّ اعتماد أجهزة الحاسوب قصد الدراسة الإحصائية للألفاظ، وهي عملية لا

يمكن اعتبارها معالجة آليّة للغة، وإنما هي مجردّ عمليّة إحصاء لغوي باستعمال جهاز الحاسوب.

ثانيا: مفهوم المعالجة الآليّة للغة:

هي علم يهتم بمعالجة اللّغة بواسطة الحاسوب بطريقة علميّة تقوم على مبادئ الخوارزميات، وقد عرفت بأنها تزاج بين علمين: علم اللّغة وعلم الحاسوب؛⁽³⁾ حيث لا يقلّ أحدهما أهميّة عن الآخر، وينتمي هذا العلم إلى فئة العلوم الإدراكيّة بتداخله مع الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) (*)، وهو دراسة أنظمة الكمبيوتر لفهم توليد اللّغة الطّبيعيّة وفق المنظور العلمي الحاسوبي.⁽⁴⁾

ثالثا: دور المعالجة الآليّة في الحفاظ على اللّغة العربيّة وتطويرها:

تشكل اللّغة العربيّة تراثا مشتركا للامة العربيّة، وتعدّ مسألة الحفاظ على هذه اللّغة وتطويرها من الضّرورات الملحة والأمور الواجبة على جميع أبنائها لأجل النهوض بها لمواكبة التطور العلمي والتّكنولوجي الذي يشهده عالم اليوم في شتى مجالات الحياة، ولا يمكن القيام بذلك إلا من خلال معالجتها آليا بأحدث الوسائل والتّقنيات ولعلّ من أبرز الطّرق للحفاظ عليها وتطويرها:

1- التّوثيق الآلي للمعلومات:

ويُعرف التّوثيق الآلي للمعلومات بأنه أحد أشكال العمل الببليوغرافي الذي يسهّل الوصول إلى المعلومة عن طريق ترتيب النّصوص وهندستها لغويا؛ بحيث تُسهّل على الباحثين والدارسين الوصول إليها دونما جهد أو عناء عند الحاجة إليها.⁽⁵⁾

ويتمّ خلال عمليّة التّوثيق هذه معالجة النّصوص إلكترونيا، وعمل فهارس كاشفة وتوضيحيّة لها بطريقة مشابهة لطريقة عمل الدّماغ البشري.⁽⁶⁾

ونظرا للأهمية البالغة للتوثيق الآلي فإنه يُتوقع منه معالجة الوثائق والمعلومات بشكل يسهّل على الباحثين الوصول إليها، واستدعاءها عن طريق التّجميع والاستخلاص والنّشر، وذلك كالّ تصنيف الأتوماتيكي للملفات والمؤلفات تبعاً لفهارسها أو مؤلّفيها أو موضوعاتها، ذلك أنّ مع الثّورة التّكنولوجيّة والمعلوماتيّة الهائلة التي يشهدها عالمنا اليوم، سهّل الحاسوب كثيرا من العمليات المتعلّقة بتبادل المعلومات فيما بين الأفراد، كما يسهّل أيضاً عمليات تخزين المعلومات وأرشفتها كيفما كان نوعها، ومهما بلغ حجمها. (7)

2- صناعة المعاجم الإلكترونيّة وتطوير العمل المصطلحي:

يتطلّب بناء المعاجم الإلكترونيّة صياغة المصطلحات وتعميم استعمالها ونشرها وتداولها، إلّا أنّ هذا الصّنف من المعاجم يجب أن يلمّ بجميع مستويات اللّغة؛ ذلك أنّه يعتمد على أدوات مُشفّرة، وقاعدة معطيات مُرمّزة تخصّ مستويات اللّغة؛ نحواً ودلالة، بحيث تخضع المادة المعجميّة فيه لبناء يلمّ إماماً دقيقاً بفروع اللّغة.

ويشترط في المعجم الإلكتروني أن يكون شاملاً وعامّاً؛ لأن البرنامج اللّساني المُعدّ لمعالجة آلياً لا ينبغي أن يفشل في العثور على أيّة معلومة مهما كان نوعها لأنّ أيّ خطأ في المعلومات المُدخلة من شأنه أن يتسرّب إلى باقي مفردات الجملة أو النّص برُمته، ومن ثمة يعرف عمل عمليّة اشتغال البرنامج. (8)

كما يشترط في المعلومات أن تكون في المعجم الإلكتروني واضحة وموافقة للمداخل المعجميّة المراد معالجتها آلياً، ومن هنا يظهر توظيف واستغلال التقنيات المعلوماتيّة في الأعمال التطبيقيّة لصناعة المعاجم المصطلحيّة باعتماد برامج معيّنة لمعالجتها، والتي أصبح كثيرٌ منها متوافراً ومتاحاً للاستعمال على مواقع شبكة الأنترنت. (9)

وهي تُقدم خدمات بحث مجانية في أهم القواميس والمراجع اللغوية العربية كلسان العرب، ومقاييس اللغة، والصّاح في اللغة، والقاموس المحيط والعُباب الزّآخر وغيرها... وتضمّ هذه المواقع الإلكترونية ملايين الكلمات المُستقاة من أهم معاجم اللغة العربية.⁽¹⁰⁾

وتسعى اللسانيات الحاسوبية من خلال المعالجة الآلية للغة إلى إنشاء بنوك للمصطلحات، انطلاقاً من خلال عمليات التخزين المرفقة بمعلومات عن كل مصطلح مفرد، والتي ستقوم بدور المساعد للمترجمين والمحررين والمتعلّمين مع دعم التّرجمة الآلية وبناء المعاجم المختصة ، وتُحوّل البنوك المصطلحية تخزين معطيات دقيقة عن كل مصطلح في ضوء نصوصٍ موثقة، مع ذكر مقابلاته باللغات الأخرى وتوضيح مجالات استخدامه، وأساليب توظيفه، مع الإشارة إلى مرجعه.

3- التّرجمة الآلية (Automatic Traducion):

التّرجمة الآلية هي أحد فروع المعالجة الآلية للغة، وهي تهتم بترجمة نصوصٍ مكتوبة أو خطابات شفوية من لغة طبيعية إلى لغة أخرى أو أكثر باستعمال الحاسوب، والهدف منها تسهيل المهام أمام فئة غير الناطقين بتلك اللغة⁽¹¹⁾ وتعرف التّرجمة الآلية للغة - كذلك - بأنّها: تدخّل الذكاء الاصطناعي لأداء التّرجمة عن طريق الأنماط اللغوية بفعل تراكيب معينة مخزنة مسبقاً في ذاكرة الحاسوب يسترجعها عند الحاجة.⁽¹²⁾

وتتطلب عملية التّرجمة الآلية نقل النصوص والأبحاث والأعمال من لغتها الأصلية (المصدر) إلى لغات أخرى فرعية (الهدف)، وتعد اللغة الإنجليزية اللغة الطبيعية الأولى التي خضعت لهذه العملية، ويتجلى موضوع التّرجمة الآلية في

"تحليل النصّ الأصلي ونقل عناصره من اللّغة التي سيترجم إليها، ثم توليد هذا النصّ اعتمادًا على التحليل والنقل".⁽¹³⁾

وبهذا القول تكون الترجمة هدفها بناء نظريّة في النّقل (نقل المحتوى) من اللّغة (المصدر) إلى اللّغة (الهدف) مع مراعاة خصوصيات النّقل التي تفرضها اللّغة المستهدفة.

ويلعب الحاسوب دورا فاعلا في هذه العمليّة إذ يعمل على تزويد المستخدم بالترجمة المطلوبة إذا كانت مسجلة في ذاكرته، وفي حال غيابها فإنه يقترح عليه مقابلا لها؛ لذلك فإنّ الأمر يتطلب توفير المصطلحات والتراكيب المتقاربة، نظرا لتعدّد معاني ومقاصد الألفاظ في اللّغات الطّبيعيّة، وبخاصّة في اللّغة العربيّة؛ والتي يشترط في ترجمة ألفاظها وتراكيبها معرفة سياقها الاستعمالي التّدولي، ذلك أنّه مهما كانت الترجمة الآليّة للنصّ فإنّه لا بدّ من تدخل الإنسان لإعادة ضبط وتحريّر جمل النصّ وكلماته والتّعابير والمصطلحات الواردة فيه؛ والتي لم يتمكّن الحاسوب من ترجمتها بشكل يتناسب مع السّياق.⁽¹⁴⁾

وتبقى الترجمة الآليّة من وإلى اللّغة العربيّة من أنجع الوسائل في توظيف المعرفة العلميّة والتقنيّة في المجتمع العربي؛ لأنّ قدرا كبيرا من المعرفة قد أُنتج ونُشر وحُفظ باللّغة الإنجليزيّة، وللوصول إليه لا بدّ من تفعيل دور الترجمة ومؤسساتها. وبهذا فإنّ الترجمة الآليّة من اللّغات الأخرى إلى العربيّة أو العكس تعتبر من السّبل الكفيلة بسدّ الفجوة العلميّة الناتجة عن تضخم الإنتاج العلمي والثقافي العالمي قياسا بالإنتاج العربي في هذا المجال.⁽¹⁵⁾

4- الإنتاج الآلي النصوص:

الإنسان كائنٌ مفكر ومنتج، وفي الوقت ذاته يُولّد ويُطوّر ويُعدّل إبداعاته وهو يحتاج في ذلك إلى كثير من الجهد والوقت؛ لذلك كان في أمسّ الحاجة إلى وسيلة

تساعده وتجنبه عناء التصفح والمراجعة الكثيرة والمتكررة للمعلومات فكان جهاز الحاسوب من خلال محاكاته للذهن البشري أحسن بديل عن جهد الإنسان في هذا الشأن، فهو يعتمد على برامج وأنظمة تمكنه من إعادة تصحيح ومراجعة النصوص وتخزينها في ملفات خاصة ، تُفتح كلما دعت الحاجة إليها وبذلك يكون قد وفر على الإنسان إمكانية الإنتاج النصي المتعددة كالمراسلات والدعوات والتعليقات الصحفية والإعلانات الإشهارية، وغيرها... بمعنى أن مثل هذه النصوص التي كان الإنسان يبذل في سبيل صياغتها وإنتاجها كثيرا من الجهد والوقت صارت اليوم - بفضل تخزينها في ذاكرة الحاسوب - متاحة يمكنه استعمالها في الوقت الذي يريد.

5- تعليم وتعلم اللغات:

يُعدّ تعليم وتعلم اللغات من أهمّ مجالات المعالجة الآلية للغة العربية؛ وبخاصّة للمتعلّمين المبتدئين والناطقين بغير العربية، إذ يُعتمد في تحقيق الغايات المرجوة في هذا المجال وبشكل كبير على جهاز الحاسوب؛ باعتباره من أهمّ الوسائط التي تمزج بين الصوت والصورة والكتابة، والهدف الأسمى من هذه العملية هو تجاوز الطرق التعليمية التقليدية المعروفة التي تعتمد بشكل أساسي على أسلوب التلقين والحفظ؛ في نقل المعرفة⁽¹⁶⁾ وإيجاد طرق جديدة وناجعة تُمكن من استغلال قدرات الحاسب من لدن المتعلّمين، الشيء الذي أدى إلى إعداد برامج حاسوبية تعليمية تتماشى مع النظريات البيداغوجية والتعليمية في عصرنا الحاضر.

هذه إذن أهم تطبيقات اللسانيات الحاسوبية التي تشكل حقلا جديدا في اللسانيات التطبيقية والنظرية؛ يعالج اللغات البشرية وبرمجتها عن طريق الحاسوب، وقد أدى تفجر المعلومات في العصر الحالي - نتيجة التطورات السريعة في مجالات العلوم

والتكنولوجيا - إلى ضرورة اللجوء إلى وسائل التقنية الحديثة في سبيل الإسراع بعملية نقلها وتناقلها بين الشعوب المختلفة، ولهذه الغاية عمد معظم الباحثين والمتخصصين في المعلوماتية إلى بناء برامج وأنظمة خاصة متوسلين بالحاسوب والتقنيات المتقدمة لتحطيم الحواجز اللغوية.⁽¹⁷⁾

رابعاً: واقع المعالجة الآلية للغة العربية:

بالرغم من الخدمات الجليلة التي أحدثتها المعالجة الآلية للغة العربية في مختلف المجالات فإنها ما تزال تعاني جملة من المشكلات والصعوبات التقنية بسبب خصوصية اللغة العربية على مستوى كافة مستوياتها؛ وبخاصة في المستوى الدلالي؛ والذي يعدّ من أكثر المستويات اللغوية تعقيداً وأشدّها تعصياً على جهاز الحاسوب ويعود ذلك إلى كون الدلالة من أقلّ المستويات اللغوية فيما يخصّ التباين اللغوي، كما يشيع فيها عدة ظواهر تخرجها من واقع الاستخدام اللغوي وحقيقته إلى المجاز كالاستعارة، والكناية، والتشبيه وهو أمر يتطلب تحديد تلك التعبيرات غير الحقيقية وتصنيفها دلالياً بما يساعد النظام الحاسوبي على تمثيلها، ومن ثمّ معالجتها آلياً. كما أنّ المعنى يمثل مشكلة كبرى للأنظمة الآلية، فتعدد المعنى للكلمة الواحدة، وحساسية السياق في تحديد دلالة الكلمة، واختلاف الدلالة باختلاف الثقافات، ونحو ذلك... كلّه ممّا يجعل المعالجة الآلية للمستوى الدلالي تنطوي على مفارقات يصعب سببها تمثيل هذا المستوى أو توصيفه حاسوبياً، وهذا لا يعني إغفال المعالجة الآلية للجانب الدلالي في اللغة العربية بحال من الأحوال لأنّ حضوره موجود ضمن المستويات اللغوية الأخرى، كالمستوى الصوتي والصرفي، والنحوي والمعجمي وضمن القضايا اللغوية ذات العلاقة بالدلالة كالترجمة الآلية، وهو ما نلمسه في جهود بعض الدارسين والباحثين في هذا المجال.⁽¹⁸⁾

خامسا: الحلول والمقترحات:

أظهرت بعض الدراسات التي أجريت من طرف عدد من الباحثين في هذا المجال أنّ المشكلات اللّغويّة والتّقنيّة النّاجمة عن هذه المعالجة الآليّة للّغة العربيّة كثيرة بالنّظر إلى خصوصياتها من حيثُ ثراء وعراقة تراثها من جهة وأهميّة وضرورة تحديثها لمواكبة مستجدات العصر من جهة ثانية، ومن الحلول المقترحة في هذا الشأن:

- ضرورة تطوير عمل المجامع اللّغويّة لمواجهة كافة التّحديات، والشّروع في البرمجيّات لوضع إطار تقانة المعلومات من منظور اللّغة العربيّة وإقامة النّماذج اللّغويّة وتحليل فروعها المختلفة في ميادين الصّرف الحاسوبي والنّحو الحاسوبي والدّلالة الحاسوبيّة والمعجميّة الحاسوبيّة وعلم النّفس اللّغوي الحاسوبي للمواءمة بين المنظومات البرمجيّة وطبيعة اللّغة العربيّة.⁽¹⁹⁾

- ضرورة تضافر كافة الجهود المبذولة والأعمال المنجزة في مجال اللسانيّات الحاسوبيّة العربيّة من خلال تشكيل فرق عمل متكاملة من المختصّين اللّغويّين والخبراء الحاسوبيّين في أي مشروع علمي يهدف إلى برمجة الأنظمة اللّغويّة للّغة العربيّة وتحليلها ومعالجتها آلياً.⁽²⁰⁾

- ترجمة جميع الأعمال والدراسات العلميّة في مجال اللسانيّات الحاسوبيّة العربيّة من اللّغات الأجنبيّة إلى العربيّة بغرض استثمارها والاستفادة منها.

- توحيد المصطلحات في هذا المجال من خلال إعداد وصناعة معجم موحد للمصطلحات اللّسانيّة الحاسوبيّة بالعربيّة والإنجليزيّة، وفق القواعد المتعارف عليها علميا في هذا النّوع من المعاجم المصطلحيّة.⁽²¹⁾

- الاهتمام بالبرامج الأكاديمية بالجامعات، وبخاصة في أقسام اللغة العربية في مجالات حوسبة اللغة العربية وحوسبة المعاجم العربية والنهوض بتطوير مناهج اللغة العربية.

- الاهتمام بوضع سياسات لغوية وطنية وتوحيد الجهود بين الباحثين في المجال اللغوي والحاسوبي للإفادة من الإنترنت وإعداد مواقع لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على غرار مواقع تعليم اللغة الإنجليزية بحيث تشرف على هذه المواقع أقسام اللغة العربية بالجامعات العربية.

- ضرورة نشر الرسائل العلمية والأبحاث الجامعية التي كتبت باللغة العربية عن قضايا استخدام اللغة العربية في الحاسب الآلي لما لها من إسهامات فاعلة ومعالجة موضوعية وعلمية لكثير من مشكلات تعامل العربية مع الحاسوب.⁽²²⁾

- ضرورة العناية بالفروق الدلالية التي تسعف هندسة اللغة وإثراء حوسبتها بمستويات الدلالة وسياقات تعابيرها المجازية.⁽²³⁾

- ضرورة تفعيل النشر الإلكتروني باللغة العربية، وإثراء محتواه ليكون قاعدة معرفية وثقافية تؤسس لبرامج تعليم العربية لأبنائها وللناطقين بغيرها.⁽²⁴⁾

وخلاصة القول فإنّ اللغة العربية اليوم في أمسّ الحاجة إلى تضافر جهود جميع أبنائها لأجل النهوض بها وترقيتها إلى المكانة التي تليق بها بين بقية اللغات في العالم، ذلك أنّ التحديات التي تواجهها الأمة العربية في مختلف النواحي الثقافية والفكرية والعلمية والتقنية؛ جميعها هي على علاقة وطيدة باللغة. وإنّ التّفاعس اليوم عن خدمة اللغة العربية، وعدم النهوض بها سوف يؤثر سلباً على مستقبل أبنائها من الأجيال القادمة وعلى نهضة الأمة وتقدمها. وما من شك أنّه لا سبيل إلى ذلك إلّا باستثمار واستغلال التقنيات العلمية الحديثة في مجال الحوسبة

والمعالجة الآلية لدعم اللغة العربية حتى تكون لغة التخاطب في مجال التعليم والتعلم، وفي وسائل الاتصال الحديثة، وفي البحث العلمي، وهو ما سيسمح لها بأن تتبنى المشروع الحضاري العربي الذي من شأنه أن يُرسخ الهوية العربية ويؤدي إلى النهضة العلمية والفكرية المرجوة.

الهوامش والإحالات:

(1) ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 230، 231.

(2) ينظر: اللسانيات مجلة علوم اللسان وتكنولوجياته، العددان 14 و 15، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، 2008-2009، ص 84.

(3) ينظر: دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار هومة، الجزائر، د ط، 2009، ص 200.

(*) يُعرف الذكاء الاصطناعي بأنه أحد أحدث علوم الحاسب الآلي، وهو علم يهدف إلى أن يقوم الحاسب الآلي بمحاكاة عمليات الذكاء التي تتم داخل العقل البشري، بحيث تصبح لدى الحاسوب المقدرة على حل المشكلات واتخاذ القرارات بأسلوب منطقي ومرتب وبنفس طريقة العقل البشري. ينظر: الهادي محمد، التعليم الإلكتروني عبر شبكة الانترنت، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، د ط، 2005، ص 15.

(4) ينظر: المعالجة الآلية لغة العربية، كلية الحاسبات والمعلومات، جامعة القاهرة، جوان 2011، ص 01.

(5) ينظر: اليوبي، بلقاسم، اللسانيات الحاسوبية مفهومها و تطوراتها ومجالات تطبيقاتها، استشراف آفاق جديدة لخدمة اللغة العربية وثقافتها، مجلة مكناسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، المغرب، العدد 12 1999م، ص 50.

(6) ينظر: عمر مهديوي، توليد الأسماء من الجذور الثلاثية الصحيحة في اللغة العربية - مقارنة لسانية حاسوبية - الجزء الأول، - عين الشق - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء المغرب، 2008م، ص 2.

(7) ينظر: المرجع نفسه، ص 21.

(8) ينظر: عمر مهديوي، المرجع السابق، ص 90.

- (9) من أشهر المعاجم والقواميس العربية المتاحة على مواقع شبكة الأنترنت: معجم المعاني، موقع (معاجم) موقع (عرب ديكت): والذي يضم قاعدة بيانات لكثير من المعاجم العربية)، موقع الباحث العربي... إلخ.
- (10) ينظر: من أهم القواميس والمعاجم العربية على الأنترنت، على الموقع: <https://www.new-educ.com>
- (11) ينظر: علي حلمي موسى، دراسة إحصائية لجذور اللغة العربية في معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر الهيئة المصرية للكتاب، 1978، ص 11.
- (12) صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، د ط، 2009، ص 202.
- (13) اليوبي، بلقاسم: اللسانيات الحاسوبية مفهومها وتطوراتها ومجالات تطبيقاتها، ص، 52.
- (14) ينظر: راضية بن عريبة، الترجمة الآلية في اللغة العربية، على الموقع <http://mogadishucenter.com> بتاريخ: 17 مارس 2018.
- (15) ينظر: عمر مهديوي، المرجع السابق، ص 36.
- (16) ينظر: السيد، محمود أحمد، اللسانيات وتعليم اللغة، دار المعارف للطباعة والنشر، سلسلة الدراسات والبحوث المعمقة، العدد 9، سوسة، تونس، ط 1، 1998م، ص، 137.
- (17) ينظر: سناء منعم، اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية، المرجع السابق، ص 100.
- (18) ينظر: عبد الرحمن بن حسن العارف، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية - جهود ونتائج، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 73، جمادى الآخرة - ذو الحجة 1428هـ، تموز - كانون الأول 2007م، ص 68.
- (19) حوسبة المعجم العربي وتقنياته - مجلة اللغة العربية المجلس الأعلى للغة العربية... ص 151.
- (20) ينظر: المرجع نفسه، ص 151، وينظر: عبد الرحمن بن حسن العارف، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية، مرجع سابق، ص 75.
- (21) ينظر: عبد الرحمن بن حسن العارف، توظيف اللسانيات الحاسوبية في خدمة الدراسات اللغوية العربية، ص 76.
- (22) ينظر: المرجع نفسه، ص نفسها.

- (23) ينظر: عبد الله أبو هيف، مستقبل اللّغة العربيّة: حوسبة المعجم العربي ومشكلاته اللغويّة والتّقنيّة، مجلة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، العدد 10، 2004، ص 153.
- (24) وليد أحمد العناتي، اللّسانيّات الحاسوبية العربيّة (المفهوم التّطبيقات الجدوى)، مجلة الزّرقاء للبحوث والدراسات، الأردن، المجلد 7، العدد 2، 2005، ص 78.

المعجمية الحاسوبية العربية واقع وآفاق قراءة في مشروع معجم الدوحة التاريخي للغة العربية.

أ. عبد الناصر درغوم
جامعة باجي مختار عنابة
derghoum.abdennassir@gmail.com

الملخص:

تعتبر المعالجة الآلية للمعاجم من أبرز مجالات اللسانيات الحاسوبية؛ وتهدف أساسا لتسخير إمكانيات الحاسوب في دراسة القضايا المعجمية بغية الوصول لنتائج نوعية في مجال حوسبة اللغة العربية.

ولعلّ أبرز المشاريع الواعدة في هذا المجال: مشروع "معجم الدوحة التاريخي للغة العربية" الذي أطلقه "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، وذلك في الخامس والعشرين من شهر ماي 2013، بعد عام ونصف من المناقشات التفصيلية بين نخبة الخبراء في الندوات العلمية.

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على جملة من معالم هذا المشروع النهضوي، بغية الوقوف على أبعاده، وإعطاء نظرة واضحة عنه، على أمل فتح المجال للمساهمة في تطويره وإثرائه مستقبلا.

الكلمات المفتاحية: معجم، معجم الدوحة، معجم تاريخي، معجمية حاسوبية معجمية عربية.

مقدمة:

تعتبر اللسانيات الحاسوبية ملتقى تقاطع حقلين معرفيين مهمين هما: اللسانيات بما تشمله من دراسة علمية للسان البشري، والحقل الثاني علم الحاسوب بما يتضمنه من توظيف لهذه الآلة في تنفيذ المهام المطلوبة بكفاءة وفاعلية.

ونظرا لتعدد مجالات البحث في اللسانيات الحاسوبية؛ فإنّ فروعا أساسية قد برزت لتُنى بالتخصّص في مجال بعينه، كما هو شأن المعجمية الحاسوبية التي تختصّ بدراسة آفاق استثمار القدرات الحاسوبية في معالجة عديد القضايا المعجمية؛ كالرصد الآلي للمداخل المعجمية، ومعالجتها آليا، وإنشاء المعاجم الإلكترونية وتوثيقها في بنوك لغوية، وغير ذلك.

ولعل أبرز المشاريع الواعدة في هذا المجال: مشروع "معجم الدوحة التاريخي للغة العربية" الذي أطلقه "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، وذلك في الخامس والعشرين من شهر ماي 2013، بعد عام ونصف من المناقشات التفصيلية بين نخبة الخبراء في الندوات العلمية.

وعليه نعرض في هذا البحث لتقديم قراءة في هذا المشروع الواعد والطموح، وذلك من خلال التعريف به، وبأهدافه، ورؤاه المستقبلية، وآفاقه، لنصل بعدُ إلى تقويم هذا المجهود في ظل ما تأمله المعجمية العربية.

أولا. الإطار النظري:

1. المعجمية التاريخية العربية:

1.1. تعريف المعجم التاريخي:

إنّ تحديد المفهوم الصحيح والمحدّد للمعجم التاريخي هو أحد الضمانات الأساسية لوضوح الرؤية في التخطيط والإنجاز، وهو ما يمنع من التشتت والاضطراب المؤدّيين لفشل أيّ مشروع من هذا النوع.

وعلى هذا الأساس يعرف المعجم التاريخي للغة العربية على أنه: "معجم يرصد دلالة ألفاظ اللغة العربية في حياتها. أنه المعجم الذي يتضمن ذاكرة كل لفظ من ألفاظ اللغة العربية وهي تسجل -بحسب المتاح من المعلومات- تاريخ ظهوره بدلالته الأولى، وتاريخ تحولاته الدلالية، ومكان ظهوره، ومستعمليه في تطوراته -ما أمكن ذلك- مع توثيق تلك الذاكرة بالنصوص التي تشهد على صحة المعلومات الواردة فيها"⁽¹⁾.

وبهذا التعريف يخرج من حدود المعجم التاريخي كل ما لا يصب في سياق التتبع التاريخي لدلالات اللفظ العربي المعين، وبه يظهر الفارق بينه وبين بقية أنواع المعاجم كالمعاجم اللغوية، والمعاجم الاشتقاقية ومعاجم التخصص، والمعاجم الموسوعية (المعلّمت) وغيرها⁽²⁾، كما يظهر من خلال التعريف التوجه المنهجي للمعالجة اللسانية؛ حيث تم تحديده بالتطورات الدلالية للفظ، حصرا دون بقية المستويات إلا ما كان تبعا في سياق التتبع التاريخي للتطور والاستعمال، وهو تحديد منهجي ضروري لتجنب أية مزالق منهجية أو إجرائية قد تؤدي لانحراف المعجم عن هدفه الذي سطر له.

2.1. دوافع إنجاز معجم تاريخي للغة العربية:

يظهر من التعريف السابق للمعجم التاريخي مدى الأهمية التي يكتسيها، وهو ما حدا بعدد الدول والمؤسسات البحثية إلى السعي في إنجاز معجمات تاريخية للغاتها كما هو الشأن في الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية والإسبانية، والروسية، وما هذا الاهتمام بمثل هذه المشاريع إلا استجابة لدوافع ملحة وموجبات، نستطيع إجمال أهمها في ما يلي⁽³⁾:

-الموجب العلمي: ويتضمن الدوافع الآتية:

• سد ثغرة غياب معجم تاريخي للغة العربية.

• رصد التطور الدلالي للغة العربية عبر عصورها التاريخية.

• فهم التراث المعرفي والعلمي فهما صحيحا بفهم دلالات الألفاظ، ومفاهيم المصطلحات في سياقاتها التاريخية.

• سد الفجوة المعجمية الناتجة عن قصور المعاجم العربية عن مواكبة التطور اللغوي.

• استيعاب ألفاظ اللغة العربية في مدونة معجمية واحدة، وتوفير المادة اللغوية الكامنة للوفاء بحاجات الترجمة والتعريب، وخدمة اللغة العربية في مستوياتها المتعددة.

-الموجب القومي: ويتجسد في:

• حماية تراث الأمة اللغوي والفكري والعلمي.

• المساهمة في توحيد الأمة بتوحيد لغتها.

• خدمة الهوية اللغوية العربية.

-الموجب الحضاري: ويكمن في:

• الارتقاء باللغة العربية إلى مصاف اللغات العالمية الحية.

• عرض الإنجازات الفكرية والعلمية للأمة عبر تطورها التاريخي.

• وصل حاضر الأمة بماضيها وتراثها.

3.1. أهمية المعجم التاريخي للغة العربية:

لا ريب في ضرورة وجود معجم تاريخي للغة العربية، وذلك للأهمية البالغة التي يكتسبها هذا النوع من المعاجم، والتي نستطيع أن نجمل أبرز معالمها في ما يلي⁽⁴⁾:

• تعميق فهمنا للغتنا الضاربة في أعماق التاريخ؛ مما ييسر الفهم الصحيح والواعي لموروثنا العلمي والفكري والحضاري، ووصله بالحاضر في سبيل تطويره في المستقبل.

• توفير الأراضية لإنجاز عدة معاجم فرعية أخرى، تفتقر إليها اللغة العربية حالياً؛ كمعاجم الحضارة، ومعاجم مصطلحات العلوم، والمعاجم الشاملة، والمعاجم اللغوية التعليمية، وغيرها.

• فتح آفاق بحثية مهمة وحيوية؛ كإتاحة فرصة تقويم تراثنا الفكري العلمي، وكذا استثمار البنى القاعدية للمشروع في مشاريع أخرى في النطاق نفسه؛ كالفهرسة الآلية والتحليل الصرفي/النحوي/الدلالي، وكذا التشكيل الآلي، وغيرها من المشاريع التي تهدف إلى تطوير المعالجة الآلية للغة العربية.

2. معجم الدوحة التاريخي للغة العربية:

1.2. التعريف بمعجم الدوحة التاريخي:

معجم الدوحة التاريخي للغة العربية هو أحد مشاريع "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، أطلق في الخامس والعشرين من شهر أيار/مايو 2013، بعد عام ونصف من المناقشات التفصيلية بين نخبة من الباحثين في ندوات الخبراء من عدة دول عربية، ومنذ ذلك الحين والعمل الدؤوب مستمر في تطوير هذا المشروع وتجويد مخرجاته، ونظراً لضخامة العمل فقد تم تقسيمه إلى فترات محددة منهجياً، تم الانتهاء من مرحلتها التأسيسية الأولى الممتدة منذ أقدم نصّ عربي موثق إلى نصوص القرن الثاني للهجرة (200هـ)، وهي المعروضة حالياً عبر البوابة الإلكترونية للمعجم، والتي تحوي زهاء مئة ألف (100.000) مدخل معجمي، فضلاً عن جملة من الخدمات اللغوية والنصية والإحصائية.

وقد حظي هذا المشروع برعاية وتمويل سخي من أمير دولة قطر، ولذا رأت الهيئة التنفيذية للمعجم أن من الوفاء أن يحمل المعجم اسم: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية⁽⁵⁾.

2.2. أهداف معجم الدوحة التاريخي:

إنّ وضوح التّصور عند أصحاب مشروع معجم الدّوحة التاريخي للغة العربيّة سمح لهم بوضع جملة أهداف للوصول إلى غايتهم المنشودة، فتم ترجمة هذه الأهداف إلى خطة مقسّمة على مراحل ليسهل العمل عليها، ولتتاح تقويم المنجزات في كلّ مرحلة ويمكن تلخيص هذه الأهداف في هدف واحد أساس يشكل الغاية الأساسيّة من إنجاز هذا المعجم وهي: "إثبات اللفظ ودلالته الأولى، والتّغيرات الدلاليّة الطارئة عليه على مرّ العصور، معززة بالنصوص الدّالة عليها، موثقة بالمعلومات الضّروريّة"⁽⁶⁾، ويعني ذلك أنّه إذا ظهر لفظ بدلالة واحد اكتفي بإبراده مرة واحدة، وإن ظهر مرتين فيورد مرتين وإن ثلاثا فتلاثا وهكذا، فتكرار اللفظ مرتبط بتغير المعنى المستعمل له، ومثال ذلك لفظ (آمن)، فبالبحث عنه في المعجم التاريخي نجد النتائج التّالية⁽⁷⁾:

المادة: عمن / آمن [متعدّد بالحرف] - ن 202 ق.هـ = 426م آمن بالأمر: صدّق به وَنُؤْمِنُ بِالْإِنْجِيلِ وَالصَّحْفِ النِّي ... بِهَا يَهْتَدِي مَنْ كَانَ لِلْوَحْيِ تَالِيَا منسوب إلى الحارث بن كعب المذحجيّ شعراء منجج: تح: مقبل التّامّ الأحمدي، مَجْمَعُ الْعَرَبِيَّةِ السَّعِيدَةِ، صنعاء، 2014م. 445
المادة: عمن / آمن [متعدّد] - ن 86 ق.هـ = 538م آمن الشيء: جعله آمناً مطمئناً فَمَنْ نَحْنُ نُؤْمِنُهُ بَيْتَ وَهُوَ آمِنٌ ... وَمَنْ لَا نُجْرُهُ يُمَسِّ مِنَّا مَقْرَعَا هشام المرّي شعر قبيلة ذبيان: تح: سلامة السّويدي، جامعة قطر، الدّوحة، 1987م. 484
المادة: عمن / آمن [لازم] - 12 ق.هـ = 610م آمن الشخص: صدّق برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلّم ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَنْدَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ قرآن كريم، القرآن الكريم [المُدثّر: 31]

وأما الأهداف المرحليّة للإنجاز، فقد استوجب تحديدها جملة أسباب منها: المدى الزمّني المديد للمدوّنة المبحوثة المقدّر بثمانيّة عشر (18) قرناً على الأقل، مع الاتّساع الجغرافي لاستعمال اللّغة العربيّة، فضلاً عن ضخامة التّراث المدون بها في المجالات المختلفة العلميّة والمعرفيّة والثّقافيّة والحضاريّة...

وهذا التّقسيم في حقيقته مرحلي إجرائي محض، لا تعلق له باعتبارات سياسيّة أو تاريخيّة أو فكريّة أو غيرها، ذلك أنّه في النّهائيّة ستؤوّل كلّ تلك المنجزات المرحليّة إلى نتيجة واحدة هي: معجم تاريخي للّغة العربيّة.

وقد تمّ تحديد الإطار الزمّني لإنجاز المعجم في خمسة مراحل، كلّ مرحلة منها تعالج فترة معيّنة، وتمتدّ مدة الإنجاز فيها إلى ثلاثة (03) سنوات، وهو ما يوضحه الجدول التّالي⁽⁸⁾:

المرحلة	امتدادها	المدة الزمّنيّة (بالأعوام)
الأولى	من بداية القرن الخامس قبل الهجرة إلى نهاية القرن الثّاني للهجرة	3
الثّانيّة	من بداية القرن الثّالث إلى نهاية القرن الخامس للهجرة	3
الثّالثّة	من بداية القرن السّادس إلى نهاية القرن الثّامن للهجرة	3
الرّابعة	من بداية القرن الثّاسع إلى نهاية القرن الحادي عشر للهجرة	3
الخامسة	من بداية القرن الثّاني عشر إلى عام 1421هـ الموافق لعام 2000م	3
المدة الزمّنيّة الكاملة		15

ويواكب كلّ مرحلة من هذه المراحل جملة إنجازات تعكس أهداف كلّ مرحلة وبيان ذلك حسب المرحلة الأولى المنجزة في ما يلي⁽⁹⁾:

• بناء مدوّنة لغويّة للقرون السّبعة الأولى (من القرن الخامس قبل الهجرة إلى نهاية القرن الثّاني للهجرة).

- إحصاء مصادر المدوّنة بأنواعها المختلفة.
- حصر المصادر المحوسبة.
- رقمنة المصادر غير المحوسبة.
- تدقيق المدوّنة ومراجعتها.
- استخلاص المدوّنة النصّيّة من المدوّنة اللغويّة.
- معالجة ألفاظ المدوّنة النصّيّة.
- تدقيق معجم المرحلة الأولى ومراجعته واعتماده.

وسيوافق هذه المرحلة حصرًا إعداد المتطلبات الحاسوبية، ومنها بناء البرامج والأدوات الحاسوبية الخادمة للمعجم، وهي: المفهرس الآلي، المشكل الآلي، المحلّ الصّرفي، الجذاذة الإلكترونيّة، المرصد.

ومخرجات كلّ مرحلة ستكون بصدور المعجم التّاريخي للغة العربيّة وفق المرحلة المبرمجة.

3.2. خصائص معجم الدّوحة التّاريخي:

يعتبر معجم الدّوحة التّاريخي نقلة نوعيّة في تاريخ الصّناعة المعجميّة العربيّة وذلك للخصائص التي يمتاز بها عن كافة الأعمال المعجميّة السّابقة، ومن ذلك⁽¹⁰⁾:

• **معجم مفتوح:** رغم الجهود الكبيرة في الاستقصاء والتّحري فإنّ هذا المشروع يبقى عملاً ضخماً ومعقّداً، مما يتطلب تكاتف الجهود لإنجازه، ومن هنا تم تصميم المعجم ليكون مفتوحاً على كلّ إضافة، أو تعديل، أو استدراك، أو غير ذلك ممّا يساهم في تنقيح المعجم وتهذيبه وتطويره، فهو في النّهاية مشروع أمة، ولا بد من تضافر الجهود للنّهوض به، وهو ما يركز عليه القائمون على المشروع في كلّ مناسبة، يقول عزّ الدّين البوشيخي -المدير التّفيذي للمشروع-: "الهدف الأساسي هو تفاعل الجمهور المثقّف والمتابع والشّعوف، تفاعلاً إيجابياً بناءً. فهذا مشروع أمة ونريد من المثقّفين والعلماء والخبراء واللغويين والمهتمين أن يستدركوا علينا ما فاتنا نحن لا نستطيع أن ندّعي أنّ عملنا كامل، خاصّة في مثل هذا المجال المعقّد" (11).

• **معجم مبني بطريقة تراكميّة:** رغم التّقسيم المرحلي للمشروع، والتي يعني الانتقال لمرحلة تاليّة بعد الانتهاء من سابقتها، فإنّ طبيعة المعجم التّاريخي استوجبت إتاحة إثرائه كلما استجدت ألفاظ أو معانٍ، فقد يظهر تحقيق لكتاب لم يدرج في المعجم، أو قد تكتشف نقوش لم يسبق معرفتها، فيكون كلّ ذلك مادة جديدة تضاف إلى المعجم، وهو ما يجعله مبنيًا بطريقة تراكميّة، تؤهله لمواكبة كلّ جديد في المستقبل.

• **معجم نسقي:** يُقدّم المعلومات عن الألفاظ في مداخلها المعجميّة بطريقة موحّدة ومنظمة: اللفظ تحت جذره، مسبقاً بتاريخ استعماله، ملحوقاً بوسمه، مردفاً برأس التعريف، فالّتعريف، ثمّ الشّاهد النّصي، واسم مؤلفه، ثم المصدر الموثق للنّص كما هو موضح في الصّورة:



• **معجم مرجعي:** إذ إنّ كلّ المعلومات المقدمة فيه موثقة علمياً، فليس ثمة لفظ من ألفاظه إلا يرد مصحوباً بدليل على استعماله في نصّ موثق ومؤرخ.

• **معجم تفاعلي:** تنشر موادّه عبر بوابة إلكترونيّة تسمح بتقديم خدمات معجميّة كثيرة، كالبحث في البيليوغرافيا وفي السّياقات وفي المدوّنة النصّيّة، وبتقديم مصادر المعجم النصّيّة والنقشيّة والتأثيليّة، والدليل المعياري للمعالجة المعجميّة، ودليل التحرير المعجمي، كما تسمح بتفاعل جمهور المتخصّصين معه.

• **معجم مؤسّس:** لنهضة لغويّة شاملة، إذ يتيح استخلاصّ معاجم لغويّة متنوّعة، كمعاجم المصطلحات حسب العلوم والمعارف والفنون، ومعاجم الأبنية واللّغات، ومعاجم المعاني، وغيرها من المعاجم المتنوّعة جداً، وعلاوة على ذلك فهو معجم يسهم بألفاظه الموثقة في تحقيق نصوصّ من التّراث العربي، ويوفّر أرضيّة لغويّة صلبة لقراءة جديدة لنصوصّ تراثنا المعرفي العربي مبنية على فهم اللفظ في سياقه التّاريخي بعيداً عن الإسقاط وانحراف التّأويل.

وهذه الخصائص وغيرها هي ما يجعل هذا المعجم مشروعا نهضوياً مميزاً، قال عبد السلام المسدي: "سنجني من معجم الدوحة التّاريخي للغّة العربيّة: لا

تأريخاً للألفاظ ودلالاتها، وإنما دعوني أزعم أننا من خلال هذا المشروع سنعيد قراءة تاريخ العلم وتاريخ المعرفة في حضارتنا العربية⁽¹²⁾.

ثانياً. الدراسة التطبيقية:

بعد أن استعرضنا جملة من الجوانب النظرية المتعلقة بمعجم الدوحة التاريخي نتناول في هذا القسم قراءة نقدية مقارنة بين هذا المعجم وبين مجموعة المشاريع السابقة لإنجاز معجم تاريخي للغة العربية، وذلك بغية معرفة أوجه الفرق، وكذا لنتبين جملة من النتائج المهمة عن طبيعة تلك المشاريع وأسباب تعثرها.

والجدير بالذكر أن من الركائز المهمة التي قام عليها معجم الدوحة التاريخي هو قيامه على أساس من الدراسات التحليلية النقدية للمشاريع السابقة لإنجاز معجم تاريخي، سواء الناجحة منها أو المتعثرة، العربية منها وغير العربية، وكل ذلك أثمر فهما أعمق، ورؤية أوضح لأبعاد المشروع وحدوده، سواء في التخطيط أو التنفيذ، مع تفادي جملة العوامل المؤدية لفشل مثل هذه المشاريع وتعثرها، يقول عز الدين البوشيخي: "استفدنا من المؤتمر الذي عُقد بإشراف معهد الدراسات المصطلحية في فاس، تحت عنوان "المعجم التاريخي قضاياه النظرية والمنهجية والتجريبية"، وقد حضره وشارك فيه أكثر من 60 باحثاً، حيث تناول بالدراسة والتحليل، مختلف الجوانب المتعلقة بإنجاز هذا المشروع، وتقويم تجارب سابقة عربية وأجنبية، مثل المعاجم التاريخية للغات الإنكليزية والروسية والألمانية والفرنسية والعبرية وغيرها، وقد استخلصنا منه أهم عناصر القوة في هذه المعاجم، وكذلك عناصر الضعف والمشاكل التي تعوق التنفيذ. كان التقويم جزءاً أساسياً لبناء التصور الواضح"⁽¹³⁾.

وعليه نعرض فيما يأتي لنتائج الدراسات التحليلية النقدية التي أجراها القائمون على مشروع المعجم، مركزين على جوانب الفرق بين معجم الدوحة التاريخي وبقية مشاريع المعاجم التاريخية، وذلك بناءً على المحددات العلمية والمنهجية للمعجم التاريخي التي بينها أنفأ.

1. مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومعجم "فيشر":

كان من أهداف "مجمع فؤاد الأول للغة العربية" أن يتم تأسيس معجم تاريخي للغة العربية، ووافق ذلك طموحا لدى المستشرق الألماني أوغيست فيشر (1865-1949) أحد الأعضاء الأوائل للمجمع، فقام بجمع جذازات لهذا الصدد، لكنها تفرقت بين مصر وألمانيا بعد اضطراره للرحيل بسبب الحرب العالمية الثانية، ولم يبق منها إلا ما أصدره المجمع فيما بعد تحت اسم "أ. فيشر - المعجم التاريخي، القسم الأول من أول حرف الهمزة إلى (أبد)"، والذي يحتوي مقدمة في (34 صفحة)، وجملة من المواد في (53 صفحة).

يقول فيشر في مقدمته: "يجب أن يشتمل المعجم على كل كلمة بلا استثناء- وجدت في اللغة، وأن تعرض على حسب وجهات النظر السبع التالية: التاريخية والاشتقاقية، والتصرفية، والتعبيرية، والنحوية، والبيانبة، والأسلوبية"⁽¹⁴⁾، وبناء على هذا التقرير وغيره يظهر أن منهجية فيشر ترتكز على اقتباس الشواهد من المصادر الأصلية، ثم معالجة المداخل طبقا لآخر ما توصلت إليه الصناعة المعجمية الحديثة ورغم ذلك فإن معجمه لا يعد معجما تاريخيا لسببين رئيسين:

• اقتصراره على شواهد من اللغة الأدبية فقط وفي حيز جغرافي محدود، يقول فيشر: "والأهمية العظمى -مهما تكن الحال- هي للموضع الذي وردت فيه الكلمة في آداب اللغة لأول مرة"⁽¹⁵⁾، في حين أن المعجم التاريخي ينبغي أن يتناول جميع

الاستعمالات اللغوية في جميع المجالات: الأدبية، والعلمية، والفنية، وأن يكون شاملا لجميع المناطق الجغرافية التي استعملت فيها اللغة العربية.

• معظم مصادره وشواهدة تتوقف عند نهاية القرن الثالث الهجري، يقول فيشر: "وهو -كما يستدل عليه من عنوانه- معجم تاريخي للغة الآداب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، أي حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من الكمال"⁽¹⁶⁾، في حين أنّ سمة المعجم التاريخي تتبع الألفاظ وتغيراتها الدلالية منذ أقدم ظهور مسجل إلى تاريخ إعداد المعجم.

ومن هنا يمكن عد معجم فيشر من "معاجم المراحل" التي تؤرخ للغة في مرحلة معينة من مراحلها⁽¹⁷⁾.

2. "المعجم الكبير" لمجمع اللغة العربية بالقاهرة:

بعد تعثر معجم "فيشر" التاريخي، توجهت أعمال المجمع القاهري لإنجاز "المعجم الكبير" الذي صدرت منه منذ سنة 1967 إلى سنة 2008 ثمانية (08) أجزاء تغطي المواد المعجمية من حرف الهمزة إلى الذال.

ورغم الخصائص التاريخية التي يتسم بها المعجم، والتي بناء عليها رأى بعض المجمعين إمكانية إغنائه عن تأليف معجم تاريخي = فإنه لا يعتبر معجما تاريخيا ولا يمكن أن يغني عنه للأسباب التالية:

• عدم اعتماده على مدونة نصية واضحة المعالم، متوازنة المحتوى من حيث الزمان والمكان والمجال العلمي، لا يدوية ولا إلكترونية؛ إذ إنّ غالب مواد "المعجم الكبير" إنّما ترجع إلى المعاجم العربية، القديمة والحديثة⁽¹⁸⁾.

• مخالفة النسق التاريخي في ترتيب الشواهد؛ إذ يعتمد "المعجم الكبير" في ترتيبه للشواهد على النحو الآتي: القرآن الكريم، الحديث الشريف، النثر، الشعر⁽¹⁹⁾، في حين أن النسق المعروف للمعاجم التاريخية يقوم على ترتيب الشواهد على أساس تاريخي، من الأقدم إلى الأحدث، مع ذكر تاريخ الشاهد أو عصره.

وعلاوة على ذلك، فإن المعجم الكبير يجنح للطابع الموسوعي أكثر من التأريخي وهو ما جعله ثباتاً للمصطلحات، وأعلام الأشخاص والبلدان، وأسماء النبات والحيوان وغير ذلك.. وهو ما أقر به المشرفون على المعجم غير مرة في مقدمات طبقات المعجم⁽²⁰⁾.

3. معجم "المرجع" لعبد الله العليلى:

قدم عبد الله العليلى (1914-1996) تصوّراً للمعجم التاريخي، حيث اعتبره معجماً "يفرغ فيه إلى درس المواد وكيف كان نشوؤها. ويتناول المفردات من حيث هي عريضة عريضة أم تنظر إلى مصدر غير عربي. ودرس كلّ الملاحظ الاعتبارية عليه بحيث يكون على وضوح تام، [و] فيه ما يدعى باختلاف اللغات واللهجات وتداخلها وما وراءها من مشاكل في اللغة"⁽²¹⁾، وفي ضوء هذا التصور ألف العليلى معجمه "المرجع" الذي صدر جزؤه الأول سنة 1963، وحرص فيه على تقسيم العصور الزمنية التي تنتمي إليها الألفاظ حسب الحوادث السياسية، لينظر في دلالة كلّ لفظ بناء على ذلك.

ورغم هذا المجهود الكبير إلا أن معجم "المرجع" لا يصدق عليه مفهوم المعجم التاريخي، لسببين⁽²²⁾:

• كون مواد هذا المعجم مأخوذة من المعاجم السابقة، بيد أن المعجم التاريخي يستوجب استسقاء المواد من مدونة نصية تشمل نصوصاً أصلية.

• عدم اعتنائه بالشواهد، وهي الميزة الرّكن في المعجم التّاريخي؛ إذ هي ما يوثق تاريخ نشوء اللفظ، وتطوّر دلالاته، ومستعمليه وتاريخ كلّ ذلك، مما يسمح بالتّتبّع التطوري لهذه الألفاظ.

4. مشاريع أخرى:

هناك مشاريع أخرى سعت للمساهمة في الصّناعة المعجميّة التّاريخيّة، غير أنّنا نكتفي بما سبق لكون هذه الأخيرة إما قد توقفت بشكل نهائي أو شبه نهائي كالمشروع التّونسي للمعجم التّاريخي العربي (متع) بسبب تقطع التّمول، وإما أنّها لم تبدأ أصلاً في العمل الفعلي على معجم تاريخي كمشروع المعجم التّاريخي للغة العربيّة لاتّحاد المجامع اللّغويّة والعلميّة العربيّة، وإما لخروجها جزئياً أو كلياً عن التّصور الحقيقي للمعجم التّاريخي كمشروع معهد الدّراسات المصطلحيّة ومؤسّسة "مبدع" بفاس في المملكة المغربيّة لوضع معجم تاريخي للمصطلحات العلميّة العربيّة كونه مختصّاً بالمصطلحات العلميّة دون بقية أنواع الألفاظ⁽²³⁾.

خاتمة:

في خاتمة هذا البحث، نستطيع أن نخرج بعدد من النتائج حول واقع المعجميّة الحاسوبية العربيّة وآفاقها انطلاقاً من قراءة في مشروع معجم الدّوحة التّاريخي للغة العربيّة، وذلك ما نجمله في الآتي:

• المعجم التّاريخي للغة العربيّة هو ذاكرة كلّ لفظ من ألفاظ اللّغة العربيّة، تسجل تاريخ ظهوره بدلالاته الأولى، وتاريخ تحولاته الدّلاليّة، ومكان ظهوره، ومستعمليه في تطوراته، مع توثيق ذلك بالنّصوص والشواهد.

• وضوح التّصور لحقيقة المعجم التّاريخي هو من الرّكائز الأساسيّة لنجاح أي مشروع يروم النّجاح في مشروع ضخم من هذا القبيل، وأي اختلال في هذا التّصور

أو اضطراب فيه يؤدي بالضرورة إلى تعثر المشروع أو انحرافه عن أهدافه وغاياته، وهو شأن كل المحاولات السابقة لإنشاء معجم تاريخي للغة العربية.

• بناء على الدراسات التحليلية النقدية للمشاريع السابقة لإنجاز معجم تاريخي تبين أن معجم الدوحة التاريخي للغة العربية هو أول معجم تاريخي حقيقي حظيت به اللغة العربية منذ ظهرت إلى اليوم، وهو وإن كان متأخرا مقارنة باللغات الأخرى فإنه يبقى مشروعا طموحا تعلق عليه الآمال نظير البنية القاعدية المتينة التي تم تأسيسه عليها منهجيا، وعلميا، مع ضمان الرعاية المالية والدعم المادي.

• إن الخصائص المميزة لمعجم الدوحة التاريخي لتوهله بكل جدارة لأن يكون قبلة المساهمات العربية في مجال الصناعة المعجمية الحاسوبية، وذلك من خلال المشاركة في تطويره، وتهذيبه، وتصحيح ما قد يكون فيه من سهو أو نقص؛ إذ هو مشروع أمة، ولا نجاح له إلا بتضافر الجهود وتوحيدها لبلوغ الهدف الأسمى وهو خدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

والعلم عند الله تعالى، وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

• الكتب:

1. إيميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية: بداعتها وتطورها، دار العلم للملايين لبنان، ط2، 1985.
2. بسام بركة وآخرون، نحو معجم تاريخي للغة العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، 2014.

3. عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب و كيف نضع المعجم الجديد المطبعة العصرية، مصر، 2003.

• المعاجم:

4. أ. فيشر، المعجم التاريخي للغة العربية، مجمع اللغة العربية، مصر، 1967.
5. مجموعة مؤلفين، المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، مصر، 1967.
6. معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، الرابط: [www.dohadictionary.org].

• المواقع:

7. ديمة الشكر، ضفة ثالثة، عز الدين البوشيخي: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية مشروع أمة، 3-3-2015، الرابط: [www.alaraby.co.uk].
8. عبد السلام المسدي، محاضرة بمؤتمر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية تونس، نوفمبر 2014، الرابط: [www.youtube.com].

الإحالات:

-
- (1) بسام بركة وآخرون، نحو معجم تاريخي للغة العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان 2014، ص 22.
 - (2) ينظر: إميل يعقوب، المعاجم اللغوية العربية: بدايتها وتطورها، دار العلم للملايين، لبنان، ط2، 1985 ص 15-20.
 - (3) ينظر: بسام بركة وآخرون، نحو معجم تاريخي للغة العربية، مرجع سابق، ص 20-21.
 - (4) ينظر: المرجع نفسه، ص 15.
 - (5) ينظر: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، كلمة المعجم، تاريخ التصفح: 9-9-2019، الرابط:

<https://www.dohadictionary.org/dictionary-word>

- (6) بسام بركة وآخرون، نحو معجم تاريخي للغة العربية، مرجع سابق، ص 23.
- (7) معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، المعجم، تاريخ التصفح: 9-9-2019، الرابط:
<https://www.dohadictionary.org/dictionary/آمن>
- (8) بسام بركة وآخرون، نحو معجم تاريخي للغة العربية، مرجع سابق، ص 30.
- (9) ينظر: المرجع نفسه، ص 27.
- (10) ينظر: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، عن المعجم، تاريخ التصفح: 9-9-2019، الرابط:
<https://www.dohadictionary.org/about-dictionary>
- (11) ديمة الشكر، ضفة ثالثة، عز الدين البوشيخي: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية مشروع أمة، 3-3-2015، تاريخ التصفح: 10-9-2019، الرابط:
<https://www.alaraby.co.uk/diffah/interviews/46B091DD-9182-4155-B53F-E2831DB05DBB>
- (12) محاضرة د. عبد السلام المسدي، مؤتمر معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، تونس، نوفمبر 2014 الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=YOTfLzVuQso>
- (13) ديمة الشكر، ضفة ثالثة، عز الدين البوشيخي: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية مشروع أمة، مرجع سلق.
- (14) أ. فيشر، المعجم التاريخي للغة العربية، مجمع اللغة العربية، مصر، 1967، ص 22.
- (15) المرجع نفسه، ص 23.
- (16) المرجع نفسه، ص 25.
- (17) ينظر: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، المعجم، مرجع سابق.
- (18) ينظر: مجموعة مؤلفين، المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية، مصر، 1967، ج 1، ص "ف".
- (19) ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص "ف".
- (20) ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص "ز" و ج 4، ص "د" و ج 5، ص "ب".
- (21) عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب و كيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية، مصر 2003، ص 113.
- (22) ينظر: معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، المعجم، مرجع سابق.
- (23) ينظر: المرجع نفسه.

فاعلية الكتاب الإلكتروني التفاعلي ودوره في إنشاء تصورات ذهنية عن النحو العربي

أ. بعجي إسمهان

مركز البحث العلمي والتقني

لتطوير اللغة العربية

baadjisma@gmail.com

المحور الأول: اللسانيات الرتابية واللغة العربية.

3- توصيف نحوي للنحو العربي في البرمجة الآلية وحوسبة النحو العربي
ببيانات النحوية.

فاعلية الكتاب الإلكتروني التفاعلي ودوره في إنشاء تصورات ذهنية عن النحو العربي

يعد الكتاب الإلكتروني التفاعلي أحد أهم الوسائل التعليمية الحديثة وذات الأثر البارز في زيادة التحصيل والدافعية نحو التعلم، وذلك لما يتضمنه من رسوم ثابتة ومتحركة مدعومة بمؤثرات صوتية تسمح للمتعلم بالتفاعل مع الحاسب الآلي وتحصيل معرفة من خلال الأيقونات والأزرار والارتباطات التشعبية التي تميز الكتاب؛ حيث تعمل كل هذه الأيقونات والارتباطات على رسم خرائط ذهنية تعليمية تسهم بصورة فعالة في تشكيل شبكات ذهنية عصبية على مستوى دماغ المتعلم؛ الشيء الذي يؤدي إلى تشكل عملية الفهم لديه.

لذا نهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعرف على فاعلية الكتاب الإلكتروني التفاعلي ودوره في إنشاء تصورات ذهنية عن النحو العربي على مستوى دماغ المتعلم؛ وذلك من خلال معالجة الإشكاليات التالية:

1- ما معايير تصميم وإنتاج كتاب تفاعلي؟

2- ما نموذج الكتاب التفاعلي المحسوب المقترح لتنمية مهارات التفكير وتشكيل عملية الفهم لدى متعلمي النحو العربي؟

الكلمات المفتاحية: كتاب تفاعلي، تصورات ذهنية، نحو عربي، خرائط ذهنية تعليمية...

تمهيد:

قدمت التكنولوجيا الحديثة وسائل وأدوات لعبت دورا كبيرا في تطوير أساليب التعليم والتعلم في السنوات الأخيرة، كما أتاحت الفرصة لتحسين أساليب التعلم والتي من شأنها أن توفر المناخ التربوي الفعال الذي يساعد على تفعيل العملية التعليمية وإخراجها بصورة جيدة. ويعد الحاسوب أحد أهم نتائج هذه التقدم العلمي والتكنولوجي، فقد كان لظهور الحاسوب وتطوره الدور الفعال في ظهور وتطوير الوسائط المتعددة وخاصة التفاعلية منها؛ الأمر الذي جعل من أجهزة الحاسوب وكيفية تفعيلها في العملية التعليمية محور اهتمام المربين والمهتمين بالعملية التعليمية.

لقد اهتمت المؤسسات التربوية بالحاسوب ودعت إلى استخدامه كأداة ووسيط تعليميين في طرق التدريس المختلفة؛ مما أدى إلى ظهور بما يسمى بالتعليم الإلكتروني المعتمد في أساسه على الوسائط المتعددة والكتب الإلكترونية التفاعلية

التي غيرت من وظيفة المعلم من محفظ إلى مصمم ومبرمج لعملية التعليم، كما سهلت من العملية التربوية وحققت أهدافها المرجوة في ظرف وجيز.

1. التعليم الإلكتروني:

بعد ظهور التعليم الإلكتروني وانتشار تطبيقاته المختلفة وتسارع وتيرة نموه، حاول المختصين إيجاد تعريف شامل لمفهوم التعلم الإلكتروني، ومن التعريفات التي تناولت التعليم الإلكتروني ما يلي:

-عرفت اليونيسكو التعليم الإلكتروني بأنه: "عملية اكتساب المعارف والمهارات من خلال استخدام تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات (ICT)"⁽¹⁾

-وعرفت العبد الكريم مها عبد العزيز بأن التعلم الإلكتروني هو "استخدام الوسائط المتعددة الإلكترونية والحاسوبية في عملية نقل وإيصال المعلومات للمتعلّم، وقد يكون هذا الاستخدام في الصورة البسيطة كاستخدام وسائل إلكترونية مساعدة في عملية عرض المعلومات أو لإلقاء الدروس في الفصول التقليدية، أو قد يكون هذا الاستخدام للوسائل الإلكترونية والحاسوبية في بناء الفصول الافتراضية من خلال تقنيات الإنترنت والتلفزيون التفاعلي"⁽²⁾.

لقد ارتبط مفهوم التعليم الإلكتروني بالحاسوب وتطبيقاته، مما جعله أداة فعالة وسريعة الاتصال بين الطلاب والمدرسين، وذو جودة عالية مقارنة بالتعليم التقليدي ويقوم التعليم الإلكتروني على مكونين أساسيين:

✓ المكوّن التعليمي: المتعلّمون، المعلمون، المواد التعليمية.

✓ المكوّن التكنولوجي: حواسيب، الشبكة العنكبونية، برامج تطبيقية إلكترونية مخصصة للتعليم: كتب تفاعلية...

ويتميّز التّعليم الإلكتروني بمزايا متعدّدة أدت إلى بروز أهميته وبررت الحاجة إليه في المؤسّسات التّعليميّة، نذكر منها⁽³⁾:

- مرونة تعديل وتحديث محتوى المادة التّعليميّة؛
- تغيير دور المعلّم من ملقن إلى دور الموجه والمشرف؛
- مراعاة الفروق الفرديّة بين المتعلّمين من خلال تمكينهم من التّعلّم كل حسب قدرته وسرعته في التّعلّم؛
- إتاحة الفرصة للمتعلّمين للتفاعل فيما بينهم، وبين المتعلّمين والمعلّم؛
- استخدام أساليب متنوعة ومختلفة أكثر دقة في تقييم المتعلّمين؛
- وجود التّغذية الرّاجعة بشكل فوري.

2. توظيف التّعليم الإلكتروني في العمليّة التّعليميّة

يتم توظيف التّعلّم الإلكتروني في العمليّة التّعليميّة كمساعد ومكمل للتّعليم المعتاد في قاعة الدّراسة بعد استنفاد الطّرق التّقليديّة في التّعليم، أو قد يكون ممزوجا ومختلطا بالتّعليم المعتاد، وقد يكون منفردا، وفيه يتم الاعتماد على الحاسب وملحقاته اعتمادا كليّا في عمليّة التّعليم، دون استخدام أي من الأدوات التّقليديّة⁽⁴⁾.

إن توظيف الوسائل الإلكترونيّة القادرة على التّكيف مع حاجات المتعلّمين والاستجابة لمدخلاتهم، تعطي تواسلا تفاعليا بين تلك الوسائل والمتعلّم، بحيث تصبح تلك الوسائل أداة لجذب انتباه المتعلّمين وتشجيعهم على المشاركة؛ مما يؤدي إلى بقاء أثر التّعلّم لمدة أطول في دماغ المتعلّم.

3. الكتاب الإلكتروني التّفاعلي:

إنّ الكتاب الإلكتروني هو أحد أشكال التّعليم والتّعلّم الإلكتروني حيث يتم تحويل الكتاب الورقي إلى نسخة رقميّة تحوي صفحات منسقة، وتتكون هذه الصّفحات من

وسائط متعدّدة بأشكال مختلفة يتم رفعها على الإنترنت؛ حيث يعد الكتاب الإلكتروني رؤية جديدة للكتاب الورقي في صورة إلكترونية مع إضافة عناصر الوسائط المتعدّدة والنصوص والبحث، وهو بهذا يجمع بين سمات الكتاب الورقي المطبوع وسمات الوسائط المتعدّدة⁽⁵⁾، وأضافت اليامي⁽⁶⁾ إلى هذا التعريف أنّ الكتاب الإلكتروني التفاعلي يمثل بيئة تعليمية متكاملة تحتوي على الوسائط المتعدّدة والأنشطة والاختبارات وأدوات التحكم. ومن خلال تعامله مع الكتب الإلكترونية أجد أنّها ملفات إلكترونية يتم تخزينها على جهاز الحاسب أو أي وسيلة تخزين أخرى، وتحتوي على صور ونصوص ومقاطع فيديو وملفات صوتية وروابط تشعبية، وقد سميت بالتفاعلية لأنّها تستجيب لأوامر مستخدميها مثل الانتقال من صفحة إلى أخرى وغيرها من الأوامر. وذكرت اليامي (2014) أن هناك ثلاثة ركائز للكتاب الإلكتروني وهي:

1. محتوى الكتاب الإلكتروني: مثل النصوص والصّور والرّسومات والإيضاحات والتّسجيلات والرّسوم المتحركة.

2. البرنامج: وهو المسؤول عن قراءة المحتوى الإلكتروني.

3. الجهاز الإلكتروني: حيث تتمحور وظيفته في تشغيل البرامج المسؤولة عن قراءة الكتاب الإلكتروني.

4. فاعلية الكتاب الإلكتروني في تنمية مهارات التفكير

يعتبر الحاسوب من أهمّ وسائل تنمية التفكير، حيث تتميز برمجيّاته بما فيها الكتاب الإلكتروني التفاعلي الذي يعتمد على الحاسوب في بنائه وإنتاجه ومن ثم في عرضه واستخدامه، بقدرة عالية في إثارة الدافعية والتشويق؛ لما يوفره من مرونة في التعامل مع الطّالب، إذ يتكيف البرنامج حسب قدرة المتعلّم، ويوجهه إلى

المستوى الذي يناسبه. ويزود المتعلم بنتائج استجابته أولاً بأول، ثم بمجموع تحصيله؛ مما يجعل الطالب مندفعاً لتسجيل مستوى أعلى من التحصيل. ويوفر فرصة تكرار المهارة، والتدريب عليها لتثبيتها وإتقانها. ويعمل على عرض الأشكال والرسومات إضافة إلى عنصر الحركة والألعاب التعليمية. ويقدم التغذية الراجعة؛ حيث يندفع الطالب للبحث عن الإجابة الصحيحة إن كانت إجابته خطأ⁽⁷⁾. ويتضح لنا مما سبق أن الكتاب الإلكتروني التفاعلي يعمل على تنمية التفكير لدى المتعلمين من خلال:

• التفاعل مع النصوص والصور ولقطات الفيديو والمؤثرات الصوتية والحركية والتي على إكساب عملية التعلم سمة الواقعية، حيث يزداد النشاط العقلي للمتعلم وتزداد قدرته على التفكير بجدية وإيجابية.

• يزود الكتاب التفاعلي الإلكتروني المتعلم بقاعدة عريضة من المعارف والمعلومات والمهارات التي تساعد وتيسر له عمليات التفكير.

• يمنح الكتاب التفاعلي الإلكتروني المتعلم الوقت الكافي للتفكير ويحفزه على استرجاع معلوماته السابقة.

• يحتوي الكتاب التفاعلي الإلكتروني على نشاطات تتيح للمتعلم البحث والاكتشاف والتجريب واتخاذ القرارات، كما يعرض مشاكل متنوعة على الطالب يهدف من خلالها إلى إكساب المتعلم المعارف وترسيخها.

يعدّ الكتاب الإلكتروني التفاعلي وما يحتويه من صور ورسومات ثابتة ومتحركة ومخططات بيانية ومقاطع فيديو ومعلومات مشجرة ومتسلسلة تسلسلاً منطقياً بحيث تتوافق والتسلسل العصبي للشبكات والخرائط الذهنية للدماغ من أهم أدوات تنمية مهارات التفكير وخاصة التفكير البصري؛ مما يجعله أداة فعالة في

التَّحْصِيل الجيد للمواد التَّعْلِيمِيَّة. وفيما يلي نورد توضيحاً حول أهميَّة الخرائط الذَّهْنِيَّة الإلكترونيَّة ودورها هي الأخرى في تنميَّة مهارات التَّنْذَر والتَّفْكِير.

5. الخرائط الذَّهْنِيَّة الإلكترونيَّة:

إنَّ للدِّماغ البشري طريقة عمل في التَّفْكِير هي المسؤولة عن اكتسابنا مدرَكاتنا ونظرتنا للموجودات، وهي من تجعلنا نفهم ونحلل فننتج ونبدع، لذا ظهر نمط جديد من التَّدْرِيس يعنى بتوافق المحتوى التَّعْلِيمِي والشَّبَكات الذَّهْنِيَّة العصبِيَّة لدماغ المتعلِّم من حيث التَّركيب والتَّفَرُّع والتَّسْلُس، إنه نمط التَّدْرِيس بالخرائط الذَّهْنِيَّة، فالخريطة الذَّهْنِيَّة هي وسيلة تعبيرِيَّة عن الأفكار والمخططات تقوم بربط الأفكار والمفاهيم بطريقة منظمة وسهلة حيث تستخدم الفروع والصُّور والألوان في التَّعبير عن الفكرة وتعتمد في ذلك على الذاكرة البصريَّة، هذه هي الطَّريقة الفعليَّة التي يستخدمها العقل البشري في التَّفْكِير، حيث ومن خلال تلخيصنا لأهم المعلومات وإنشاء الرُّوابط والارتباطات ذات الصَّلَة ببعضها البعض، ستقوم الخرائط الذَّهْنِيَّة بإشراك المتعلِّم وذلك من خلال التَّفْكِير الكامل للدماغ كما تسمح له بمعرفة كيف ترتبط كل الأفكار المختلفة بعضها ببعض من منظور عام ونظرة شموليَّة للمادة.

وكذلك الشَّأن بالسَّبْة للخرائط الذَّهْنِيَّة الإلكترونيَّة والتي يعرفها عبد الباسط: "بأنَّها عبارة عن رسوم تخطيطيَّة إبداعِيَّة حرة قائمة على برامج كمبيوترِيَّة متخصصة تتكوَّن فروع متشعَّبة من المركز باستخدام الخطوط والكلمات والرَّموز والألوان وتستخدم لتمثيل العلاقات بين الأفكار والمعلومات وتتطلب التَّفْكِير العفوي عند إنشائها"⁽⁸⁾.

- أهميَّتها في التَّعْلِيم⁽⁹⁾:

- تعمل على إثارة انتباه المتعلِّمين.

- تثبت روح التشويق لدى المتعلمين.
 - تعطي المتعلم فكرة كاملة عن الموضوع الذي يدرسه.
 - تجعل التعلم أكثر مرونة.
 - تعمل على تنمية القدرة الإبداعية.
 - تحفيز وتنشيط دماغ المتعلم وتنمية مهارات التفكير لديه.
- وهي إحدى الوسائل المستخدمة في مجال التربية لتساعد الطلاب في عملية التعلم؛ وذلك لأنها تساعدهم على التذكر وتثبت فيهم دافعية التعلم لما تحتويه من صور ملونة.

6. تدريس النحو:

يعد النحو طائفة من المعايير المستنبطة من كلام العرب قبل ظهور اللحن، لذا فهو وسيلة لضبط النطق والكتابة، وقد اختلفت طرق تدريسه وتعددت كـ: الطريقة الاستقرائية، القياسية، الحوارية، ولكن بالرغم من ذلك فقد قامت عملية تدريس النحو على الوصف والتجريد؛ مما نتج عنها صعوبة في تعلم النحو العربي ونفور من المتعلم لهذه المادة.

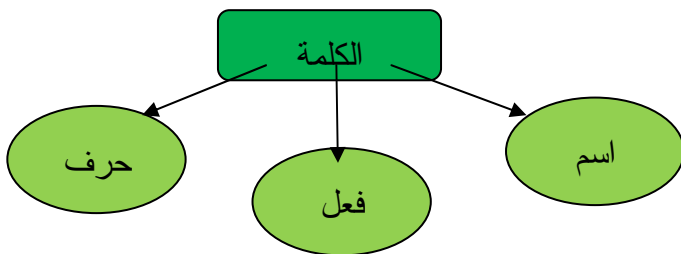
إنّ النحو قائم في أساسه على مفاهيم مترابطة بأواصر علائقية استعمالية، فالفعل والفاعل والمفعول به وغيرها من المفاهيم النحوية ما هي إلا مدركات لغوية تتطلب من المتعلم إدراك العلاقة بينهما، ولن يتم ذلك إلا من خلال تدريس النحو من خلال استعمال ما يلي:

1. استخدام الخرائط الذهنية:

- لأنها تعد الطريقة المثلى للتدريس وكذلك الطريق الأسهل لكي تحل المعلومات إلى الدماغ وتأخذها حينما يشاء المتعلم.

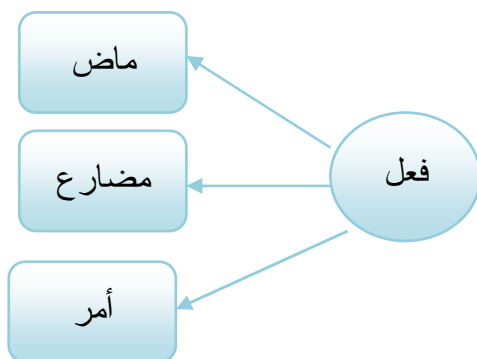
- لأنها تنمي التفكير التسلسلي الهرمي من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء

مثال:

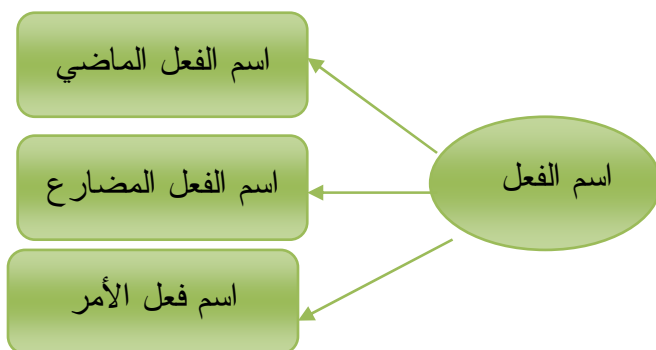


- لأنها تساعد متعلم القواعد على استيعاب المحتوى وفهم بنيته المعرفية من خلال التنظيم والتصنيف

مثال:



التمييز بين الفعل واسم الفعل



- تنظيم المعلومات وتفصيلاتها الخاصة.

-لأنها تنشط الدماغ ومناطق الذاكرة والتركيز في ذلك لما تحتويه من صور وألوان وارتباطات وتفرعات.

2. استخدام الوسائط التفاعلية الإلكترونية وذلك:

-لما لها من أثر على المتعلم وتشويقه وتحفيزه على التعلم؛ حيث تتوفر الوسائط الإلكترونية التفاعلية -الكتاب الإلكتروني التفاعلي- على العديد من الوسائط المثيرة والمحفزة للتعلم ك: الصور، الفيديو، الحركة، الصوت....

-ولقدرتها على تنمية الإدراك البصري⁽¹⁰⁾ باستعمال الرسومات والألوان⁽¹¹⁾.

3. استخدام الخرائط الذهنية الإلكترونية كوسيلة تبين المحتوى الدراسي ضمن الكتاب التفاعلي وتضمن التحصيل الجيد لقواعد اللغة العربية.

7. معايير بناء كتاب تفاعلي

تعد الكتب الإلكترونية إحدى مصادر المعلومات في التعلم الإلكتروني، وغالبا ما تكون في صورة ملفات إلكترونية تتضمن محتوى نصي مدعوما بوسائل تعليمية متعددة كالصورة الثابتة والمتحركة والرسوم بأنواعها المختلفة والصوت والفيديو كما يدعم محتوى الكتاب بإشارات مرجعية قد تحيل المتعلم إلى المصادر الأساسية للكتاب والمتوفرة على شبكة الإنترنت أو إلى صفحات أخرى من الكتاب، كما يمكن يمكنه عرض صفحاته أفقا أو عموديا، كما قد يتضمن محتوى الكتاب خرائط تفرعية ذهنية تربط بين عناصر المادة التعليمية بشكل تدريجي من العام إلى الخاص. وتتطلب عملية بناء وإنتاج كتاب إلكتروني عدة معايير أهمها:

8. معايير تربوية:

- تحديد الأهداف التعليمية ووضوحها للمتعلمين؛ حيث نهدف من خلال تصميم كتاب الإلكتروني إلى تنمية التحصيل الجيد لمادة النحو بالنسبة للتلاميذ.

- تنظيم الموضوعات والمحاور داخل الكتاب التفاعلي بطريقة الخرائط الذهنية لضمان تحصيل جيد للمحتوى المادة المعالجة.

- مراعاة الانتقال من العام إلى الخاص ومن الكل إلى الجزء في تدوين محتوى الكتاب التفاعلي

- مراعاة أن تكون العبارات والجمل النصية التعريفية موجزة وهادفة.
- مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين وتحليل خصائصهم السلوكية (قدراتهم المعرفية).
- إمكانية عرض المحتوى بطريقة تلائم الفروق الفردية للمتعلمين، كأن يشمل محتوى الكتاب تعريفا نصيا وآخر مصورا ومرئيا للمبحث النحوي الواحد.
- توافق محتوى الكتاب مع حاجات واهتمام المتعلمين.

- قدرة تصميم الكتاب (باستعمال الخرائط الذهنية الإلكترونية) على اكتساب قواعد النحو ومفاهيمه وكذا ترسيخها.

9. معايير تقنية:

- عمل الكتاب على جميع الحواسيب المتوفرة لدى المتعلمين.
- صغر حجم الكتاب وإمكانية تخزين الكتاب التفاعلي الإلكتروني على أقراص التخزين.
- اختيار برنامج أكثر سرعة ويحتوي على العديد من المهام لإنجاز كتاب تفاعلي ويتيح لنا إمكانية إنجاز كتاب تفاعلي دونما شروط.
- قدرة المتعلم على استخدام الكتاب دونما حاجة إلى تثبيت برامج إضافية مساعدة.
- وضوح أدوات التصفح وسهولة استخدام الكتاب دون الحاجة إلى دليل مساعدة.
- وضوح وظيفة كل أيقونة أو زر للمتعلم دون دليل.
- احتواء الكتاب على خريطة أو فهرس يبدل المتعلم على عناصر الكتاب وصفحاته.
- مساهمة الوسائط المتعددة في زيادة تأثير الكتاب.

- ملائمة الألوان والخط للمحتوى الكتاب.
- انسجام الصّور والفيديو وتزامنها مع النّصوص المقروءة.
- مراعاة وضوح الصّور وجديتها وتعزيزها للمادة التّعليميّة.
- وضع عناصر الوسائط لمتعدّدة وسهولة فهمها.
- أن يكون نظام التّصفح والعرض (أفقي أو عمودي) ثابت في جميع صفحات الكتاب.
- ضغط مساحة الفيديو بحيث لا يؤثر على جودته.
- التّحكم في مقطع الفيديو ك: إيقاف المؤقت، العودة إلى الخلف...

10. مراحل إنجاز كتاب تفاعلي:

1. المرحلة التمهيدية:

وفيها تتم مراعاة المعايير التّقنيّة والتّربويّة في إنجاز الكتاب التّفاعلي وكذا جمع المادة العلميّة والوسائط المتعدّدة والملائمة للمحتوى التّعليمي للكتاب التّفاعلي، ورسم مخططات عمل أوليّة تسمح بإعطاء صورة عن طريقة تموضع المباحث النّحويّة وترابطها وهذا بالاستعانة بالخرائط الذّهنيّة.

2. مرحلة الإنجاز:

- وفيها يتم إعداد الكتاب التّفاعلي، وقد تم وفق ما يلي:
- كتابة محتوى الكتاب على ملف وورد: بحيث تضمن أقسام النّحو ومباحثه، كما أدرجنا مجموعة من الصّور التي تعمل على إثارة المتعلّم وتحفيزه.
- تحويل ملف الورد إلى pdf من أجل إضافته إلى البرنامج المخصص لإنجاز الكتاب التّفاعلي.
- إضافة ملف pdf إلى البرنامج 3D PageFlip.

- إضافة مجموعة الوسائط الملائمة لكل مبحث نحوي ك: الفيديو ، الصّوت الصّورة والاستعانة بما يقدمه البرنامج لإنجاز الكتاب التّفاعلي بشكل تفاعلي ومشوق للمتعلم.

وقد استعنا في ذلك بعدة برامج تطبيقية نذكر منها:

البرنامج	وظيفته
3D PageFlip	انشاء كتب الكترونية
Total videoconverter	تحويل ملفات صوتية-مرئية
FreemakvideoDownloder	تحميل ملفات صوتية مرئية (فيديو)
Google chrome	تحميل صور
Microsoft office: word	للكتابة والتنسيق بين الصّور
Microsoft Edge: Pdf	لقابلية استعماله على برنامج 3D PageFlip يستعمل لضبط الصّورة والكتابة

اختيار برنامج (3D PageFlip) مر بمراحل هي:

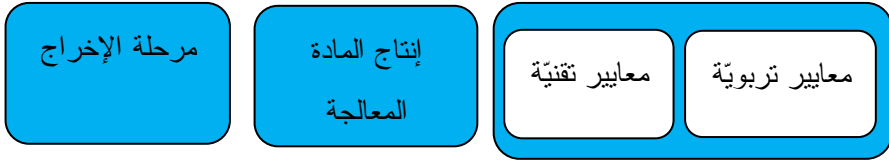
مرحلة التعرف والاختيار: وذلك لاختيار البرنامج الأنسب لإنشاء كتاب تفاعلي؛ حيث قمنا بتنزيل العديد من البرامج الخاصة بذلك وقد استقر اختيارنا على 3D PageFlip.

مرحلة التدريب: على البرنامج والإحاطة بكل طرق استعماله وتخرجه لكتاب تفاعلي.

مرحلة الإنشاء: إنشاء كتاب تفاعلي؛ حيث وبعد الإلمام بكل الوسائط المتعدّدة المناسبة لإنجاز كتاب في النّحو، شرعنا في انجاز كتاب تفاعلي، تطلب منا هو الآخر مراحل تجريبية وذلك من أجل الحصول على توافق بين الصّور المدرجة والكلمات المستهدفة بالعرض من جهة ، وبين الكتاب التّفاعلي والمراحل العمرية للمتعلم من جهة أخرى.

3. مرحلة الإخراج:

وفيها تتم تحويل الكتاب التفاعلي إلى ملف تفاعلي بلاحقة .exe. وعرضه على مجموعة من الطلبة لمعرفة الصعوبات والعناصر غير المفهومة ومن ثم مراجعته وتصحيحه.



مرحلة الإخراج

مرحلة المعالجة

مرحلة تمهيدية

مراحل إنجاز كتاب تفاعلي

توضح الأشكال التالية بعض واجهات التفاعل الخاصة بالكتاب الإلكتروني لبعض المباحث النحوية:*

يضم الكتاب التفاعلي والذي سمي بالدليل التفاعلي كل المباحث النحوية التي ينطوي عليها النحو العربي، حيث تم عرض تلك المباحث عن طريق دليل نصي ومصور وآخر مشجر.



قسمت المباحث النحويّة إلى اسم فعل وحرف، كما قسم الاسم إلى معرب ومبني والفعل إلى مضارع وأمر وماضي.



وقد تضمن الاسم المعرب: المنصوبات والمرفوعات والمجرورات والتوابع من الأسماء كما شمل الاسم المشتق والمصدر.



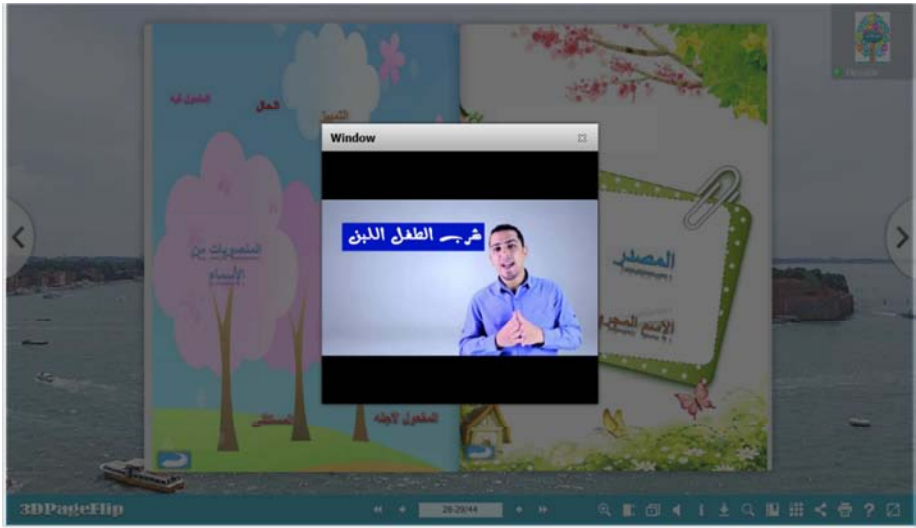


في الدليل المشجر عند الضغّط على أيقونة المفعول به يتم عرض تعريفاً مصوراً ومشجراً للمفعول به





في الدليل المصور عند الضَّغْط على أيقونة المفعول به يتم عرض تعريفًا مصورًا مرئيًا للمفعول به.



خاتمة:

من خلال ما سبق نخلص إلى ما يلي:

-إنّ تنوع المثيرات البصريّة والسّمعية في الكتاب التّفاعلي الإلكتروني وملائمتها لمستوى المتعلّمين يساهم في مراعاة الفروق الفرديّة لديهم.

-يدعم الكتاب التّفاعلي الإلكتروني التّعلّم الذاتي مما يتيح للمتعلّم الفرصة للبحث عما قد يواجهه من مشكلات أثناء دراسة المقرر الدّراسي، مما يؤدي إلى تنميّة مهارات التفكير لديه.

-وجود دافع قوي للمتعلّمين لاستعمال التّكنولوجيا هو حافز يخلق دافعية التّعلّم الإلكتروني (بالكتاب التّفاعلي الإلكتروني).

-تسهم الخرائط الذهنيّة الإلكترونيّة وبشكل فعال في تنميّة التّحصيل الجيد لقواعد اللّغة العربيّة (النّحو)، وذلك لطريقة عرضها للمعلومات والمباحث النّحويّة الموافقة لطريقة عمل الدّماغ البشري، ومت تحويه كذلك من مؤثرات سمعيّة وبصريّة تساعد الدّماغ البشري على التّفكير والتّذكر، كما تغيّر تلك الخرائط الذهنيّة الإلكترونيّة المضمنة داخل الكتاب الإلكتروني دور المعلّم من ملقن ومحفّظ لقواعد النّحو إلى مبرمج وموجه.

الهوامش:

⁽¹⁾UNESCO(2006) : “Consultation on the Facilitation of the WSIS Action Line C7 (E-Learning)” Retieved April 22.2015, p15, from: http://www.unesco.org/new/fileadmin/MULTIMEDIA/HQ/CI/CI/pdf/wsisc7_consultation1_elearning_report.pdf

⁽²⁾ العبد الكريم مها عبد العزيز: دراسة تقويمية لتجربة التّعليم الإلكتروني بمدارس البيان النّموذجيّة للبنات بجدة، ماجستير، جامعة الملك سعود، المملكة العربيّة السّعوديّة، 2006، ص16.

- (3) بسيوني عبد الحميد: الكتاب الإلكتروني، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، مصر، 2007 ص35.
- (4) السيد علي محمد: تنظيم محتوى الكتب المدرسية من منظور التعليم الإلكتروني، المؤتمر العلمي الثالث عشر، الجمعية المصرية للتربية العلمية، 2009، ص545.
- (5) نعيم محمد: الكتاب الإلكتروني المفهوم والمزايا، مجلة المعلوماتية، ع34، 2011، ص64.
- (6) اليامي، هدى ناصر: (2014). فاعلية كتاب إلكتروني تفاعلي (Interactive eBook) لتنمية مهارات تصميم وتوظيف الرحلات المعرفية عبر الويب (Web Quests) لدى الطالبات المعلمات، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2014، ص40.
- (7) الفار إبراهيم عبد الوكيل: طرق تدريس الحاسوب، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، عمان، الأردن 2003 ص75.
- (8) عبد الباسط حسين محمد أحمد: الخرائط الذهنية الرقمية وأنشطة استخدامها في التعليم والتعلم، مجلة التعليم الإلكتروني، ع09، نوفمبر 2016، ص77.
- (9) يصل سلوى محمد حسن: فاعلية الخرائط الذهنية في تنمية الفكر المنظومي ومهارات اتخاذ القرار لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية، مجلة تربويات الرياضيات، 70، ديسمبر، 2015، ص103.
- (10) الإدراك البصري هو سلسلة العمليات العقلية التي يقوم بها الدماغ البشري عند تعرضه لمثير يتم استقباله عن طريق حاسة البصر، حيث تساعد هذه العمليات الفرد في الوصول إلى المعنى الذي يحمله هذا المثير والاستجابة له، وتخزينه في الذاكرة واسترجاعه منها عند الحاجة.
- (11) مهدي حسن: فاعلية استخدام برمجيات تعليمية على التفكير البصري والتّحصيل في تكنولوجيا المعلومات لدى طالبات الصفّ الحادي عشر، مذكرة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين، 2006 ص25.

الاستعارة التَصَوُّريَّة

في الخطاب العلمي للنصوص التعليمية

نموذج تطبيقي مختار

أ. روضة جديوي

ج. باجي مختار عنابة

توطئة:

ظلَّ التَّنْظِيرُ الْعِلْمِيُّ للاستعارة -لقرون طويلة- مرتعها بالدَّورِ الذي تلعبه في نقل معاني النَّصِّ بوصفها ظاهرة لغويَّة يتِمَّ فيها استخدام لفظ عوضاً عن لفظ آخر على أساس التَّشَابُه بين طرفيها وبوصفها مجرد حَلِيَّة ترتديها اللُّغة داخل الخطاب لا تتعدَّى وظيفتها إضفاء الجانب الجمالي في النصوص.

فالاستعارة-من منظور البلاغة القديمة- لا تمارس نشاطها إلا عبر اختراقها للبنى التَّعبيريَّة النمُودجيَّة للغة، وبمفارقتها النمط التَّواصلِي إلى النمط الجمالي فيتسم النَّصُّ بذلك سمات خاصَّة من أجل امتلاك وجود جمالي خاص.

وقد ساهم الفلاسفة التَّجريبِيُّونَ والعقلانيُّون في تضيق دائرة نشاط الاستعارة باعتبارها من ممتلكات الأدب، ولم يتوانوا في صدِّها عن القيام بأدوارٍ أخرى منوطه بها في المجالات التي اعتبروها حكراً على اللُّغة الجافة (أي لغة العلم).

ويقول إدوارد دي بوستوس E.De Bustos : « لقد اعتبرت الاستعارة منذ أقدم العهود وإلى جانبها الأنساق التي يمكن أن تنتظم فيها بوصفها تؤدي دوراً ثانوياً في العلم وبالمقابل اعتبر العلم موسوماً بالدقَّة والبراءة من الغموض، وكذلك

اعتبرت العبارات الاستعارية عديمة الدقة ومنزاحة مرجعياً وهذا يعني أن العبارات الاستعارية تشكّل عيباً يجب تلافيه في الصيغ العلمية»⁽¹⁾.

غير أن الثورة الكوبرنيكية التي أحدثتها البلاغة الحديثة كانت فتحاً ابستمولوجياً أعاد الاعتبار للاستعارة وكشف ذلك الادعاء الزائف الذي يرى أن الاستعارة تؤذي الخطاب العلمي، وأن من واجبات العالم تطهير أجهزته النظرية ولغته من كل لطفة استعارية⁽²⁾

أولاً: الاستعارة والبلاغة الجديدة:

شيد البلاغيون الجدد تصورهم للاستعارة انطلاقاً من نقدهم للنظرية الاستبدالية التي ترى أن الاستعارة مسألة لغوية، إذ يرون بعداً آخر للاستعارة باعتبارها نتاجاً فكرياً تمخض عن تفاعل عوامل اجتماعية وثقافية، وعلى هذا المنحى سار ريتشاردز وتبعه كل من ماكس بلاك - مؤيدا ومطوراً للنظرية التفاعلية - وبول ريكور وجورج لاكوف ومارك جونسون.

1- تصور ريتشاردز للاستعارة: عمل إيفور ارمسترونغ ريتشاردز I.A. Richards على تشييد نظرية بلاغية دلالية جديدة تكون بؤرة البحث فيها نظرية الاستعارة، وهو ما بشر به في كتابه «فلسفة البلاغة» حين قدم مفهوماً جديداً للبلاغة يتأسس من تصور دلالي كان حافظاً وإرهاصاً لما توصل إليه البلاغيون الجدد.

وهو أول من اعترف للاستعارة بدورها في العلوم البحتة، لاعتقاده الراسخ أن الاستعارة مكون أصلي ومتجذّر في لغة الخطاب العلمي على غرار كل المجالات الخطائية.

وقد وصفها بالمبدأ الحاضر دائماً في اللغة الذي يمكن الاستدلال على وجوده عن طريق الملاحظة البحتة، فنحن لا يمكننا الإتيان بثلاث جمل ضمن خطاباتنا العادية البسيطة بعيداً عن الاستعارة.

وحتى في الموضوعات شبه التقنيّة ذات الطّبيعة الجماليّة أو الإنسانيّة أو الاجتماعيّة أو الأخلاقيّة وفي علم النّفس وفي نظريّة اللّغة. وحتى في اللّغة الجافة للعلوم الرّاسخة لا يمكننا أن نستغني عنها دون أن نواجه صعوبات⁽³⁾. وإنّ طموح ريتشاردز العلمي -في تشييد نظريّة تزيج عن الاستعارة سياجا ظل يحاصرها وينأى بها عن الحقول المعرفيّة البحتة لأربعة وعشرين قرنا - جعل الاستعارة تسيطر على مجالات أبحاثه البلاغيّة باعتبارها الوحدة السياقيّة للدّالة.

فإذا كانت الاستعارة تحتفظ بفكرتين مترامنتين عن شيئين مختلفين يتفاعلان في مجال كلمة أو تعبير بسيط؛ حيث تصبح دلالتّهما هي ناتج هذا التّفاعل، فإنّه لكي يتطابق هذا الوصف مع الوحدة النظريّة للمعنى، علينا أن نقول أنّ الاستعارة تحتفظ في داخل المعنى البسيط ذاته بجزئين منقوصين من سياقين مختلفين لهذا المعنى، ومن هنا فإنّ الأمر لم يعد يتعلّق بنقل بسيط للكلمة، وإنّما بتبادل تجاري بين الأفكار، أي تفاعل بين السياقات وإذا كانت الاستعارة دلالة على المهارة والموهبة، فإنّ موهبة الفكر والبلاغة عند ريتشاردز هي تأمل هذه الموهبة وترجمتها إلى معرفة متميزة، خاصّة وأنّ الاستعارة فهم بالأسباب التّوليديّة لأشكال المجاز وتشرح قيامها بوظائفها الفعليّة، لذلك فإنّها لا يمكن أن تعتدّ بالكلمة فحسب بل بالخطاب كلّ.

ومن هنا فإنّ نظريّة القول الاستعاري لا بد أن تكون بالضرورة نظريّة لإنتاج الدّالة الاستعاريّة للخطاب⁽⁴⁾

2/ تصوّر ماكس بلاك للاستعارة: ناقش ماكس بلاك Max Black نظريّة الاستعارة من خلال كتابه الموسوم بـ «النّماذج والاستعارة» (Models and Metaphor) ويبيّن أنّه لا يمكن لأحد أن يصل إلى كنه الاستعارة وطبيعة مفهومها إلا من خلال الاجابة على مجموعة مميزة من الاسئلة وهي⁽⁵⁾:

- هل هناك قواعد معينة للتعرف على الاستعارة ؟
- هل يمكن تحويل التعبير الاستعاري إلى تعبير حرفي عادي؟
- في أي معنى تكون الاستعارة خلاقّة؟
- متى يمكننا استخدام الاستعارة؟

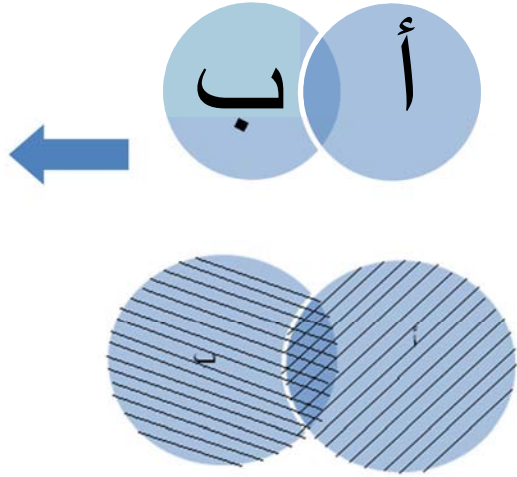
وقد أجاب بلاك على هذه الاسئلة من خلال نقده للمنظور الاستبدالي والمقارن وقد انتقد بلاك هذين التّصورين لأنّهما يعزلان الاستعارة عن سياقها التّركيبي، ويضعان حدودا فاصلة بين طرفي الاستعارة؛ حيث يحافظ كل واحد منهما على خصائصه ويتم استبدال بعضهما ببعض عند الحاجة التّجملية أو التّوضيحية⁽⁶⁾.

وللخروج من هذا المأزق اقترح بلاك تصوّرا ثالثا حيث ميّز في الاستعارة بين الكلمة الاستعارية التي أطلق عليها اسم البؤرة (focus) وباقي الجملة الذي أطلق عليه اسم الإطار (frame)، أمّا الاستعارة فتتشكل نتيجة التّفاعل والتّوتر بين البؤرة والإطار، وهذا التّفاعل يعتمد على نوع من التّداخل بين طرفيها: المستعار منه والمستعار له.

ويشرح ماكس بلاك طبيعة هذا التّفاعل بقوله: «عندما نستعمل استعارة ما فنحن حيال فكرتين حول أشياء مختلفة وحركيّة في الآن ذاته، وهما ترتكزان على لفظ واحد أو عبارة واحدة بحيث تكون دلالتّها نتيجة لتداخلهما»⁽⁷⁾ فإنّ التّفاعل الذي يحدث بين البؤرة والإطار هو نتيجة لتخلي البؤرة عن بعض خصائصها واكتسابها لخصائص

أخرى كما أنّ الإطار يفقد بعض سماته ويكتسب أخرى، فحين نقول «زيد أسد» فإنّ الأسد سيفقد بعضاً من خصائصه الحيوانية ليكتسب من جهة أخرى سمات إنسانية، كما أنّ زيدا سيفقد بدوره بعضاً من سماته الإنسانية ليكتسب سمات حيوانية⁽⁸⁾

وإنّ هذا التفاعل بين البؤرة والإطار يجعل من الاستعارة عملية ذهنية بين فكرين نشيطين، ينتج عنهما مولدة جديدة نستطيع بواسطتها إدراك الشيء غير المعتاد في طرفي الاستعارة عن طريق شيء آخر نعرفه، كما نتّمكّن كذلك من النظر إلى هذا المعتاد نفسه نظرة جديدة غير مألوفة⁽⁹⁾ يمكن التمثيل له كالآتي:



المنظور التفاعلي للاستعارة: تجدر الإشارة إلى أنّ ماكس بلاك جعل نجاح الاستعارة رهينة لبقاء القارئ واعيا ومدركا لامتداد وتوسع الكلمة، فهو مرغم على ردّ الاعتبار لكلا الدالّتين القديمة والجديدة.

3 تصور بول ريكور للاستعارة: أثار بول ريكور Paul Ricoeur ثلاث قضايا مفصّلية بنى على إثرها تصوره البلاغي للاستعارة⁽¹⁰⁾

أ - القضية الأولى: رفض أن يُنظر إلى الاستعارة على أنها مجرد حدث يدل على التسمية (أي مجرد استبدال في دلالة الكلمات) وعلينا أن نتحدث إذن عن قول استعاري كامل وليس استعمال استعاري لكلمة معينة.

ولأن الاستعارة لا تهتم بالكلمات فهي تنتج على صعيد جملة كاملة، وهذا أول كشف المقاربة الدلالية للاستعارة؛ وإذا كانت الاستعارة حسب ريكور لا تهتم إلا بالقول فهي إذن مسألة إسناد لا مجرد تسمية، وهي توتر حادث بين تأويلين متعارضين للقول، وليست شيئاً يحصل بين مفردتين في القول.

وقد أورد ريكور مثالا لذلك « صلاة زرقاء » و« غطاء الأحزان » وأوضح أن وضع الكلمتين في علاقة توتر هو ما يشكل الاستعارة وليس مجرد الجمع بينهما. وهكذا لا يجب أن نتكلم عن استعمال استعاري لكلمة بعينها بل عن القول استعاري.

ب - القضية الثانية: وهي قضية الانزياح: فمادامت الاستعارة لا تهتم بالكلمات باعتبارها تنتج على صعيد جملة كاملة فإن الظاهرة الأولى التي ينبغي تأملها ليست انزياحا عن المعنى الحرفي للكلمات بل توظيف عمل الاسناد على صعيد الجملة بكاملها.

يقول ريكور: « ما دعونا قبل قليل بالتوتر في القول الاستعاري ليس بالشئ الذي يحصل بين مفردتين في القول، بل هو في حقيقته توتر بين تأويلين متعارضين للقول. والصراع بين هذين التأويلين هو الذي يغذي الاستعارة؛ فالصلاة ليست زرقاء إذا كان الأزرق لونا، والأحزان ليست غطاء إذا كان كساء مصنوعا من قماش، وهكذا فالاستعارة لا توجد في ذاتها بل في التأويل ومن خلاله»⁽¹¹⁾

ج - القضية الثالثة: ينتقل ريكور إلى مناقشة مسألة أخرى من مسلمات التصور البلاغي التقليدي عن الاستعارة وهي دور المشابهة إذ يعتقد أنه قد أسيء

فهم هذا الدور حين اختُرلَ في شدِّ الفجوة التي تحدث بين فكرتين متباعدين، وبعبارة أخرى تلعب المشابهة دورها المنوط بها في إظهار قرابة بين فكرتين متناقضتين حيث لا ترى العين الاعتيادية أية علاقة، وهذا ما أطلق عليه غلبت رايل «غلطا في التصنيف».

ثم يقدم ريكور مثالا لشكسبير «الزمن شحاذ»؛ هنا يجمع صنفين كانا متباعدين سابقا وفي اجتماع البعداء هذا يمكن عمل مشابهة، وهكذا كان أرسطو مصيبا في هذه النظرة حين قال: «إنَّ الانغمار في الاستعارة المبكرة يتطلب عينا لالتقاط المتشابهات»⁽¹²⁾

ويخلص ريكور إلى أنَّ الاستعارات تظل وقائعاً وعلى نحو ما أماكن في الخطاب وتميل مقارنة الاستعارة بلغز أو أحجية إلى حصر التحليل بما يطرحه الخطاب من استعارات فردية، وبالتالي الاكتفاء بالجانب الزائل من اللغة، ويقول ريكور: «إننا حين نجعل الاستعارة ابتداء دلاليا فإننا نؤكد على كونها لا توجد إلا في لحظة الابتكار، وحين يتم تجريد الاستعارة من منزلتها في اللغة الرَّاسخة فإنها تكون مجرد واقعة خطابية»⁽¹³⁾

4 / تصور جورج لاكوف وجونسون للاستعارة: استلهم كل من جورج

لايكوف J.Lackoff ومارك جونسن M.Johnson البعد العرفاني للاستعارة من خلال أفكار وطروحات حاولت التأسيس لنظرية تفسر المعاني وتفسر كيفية حدوثها من أهم هذه الطروحات ثلاث⁽¹⁴⁾:

- نظرية القيد المعرفي cognitive constraint التي اقترحها راي جاكندوف

(1983) .R.Jackendoff

- نظرية دلالة الأطر Frame semantics التي وضع أسسها ودافع عنها

فيلمور. Filmore (1985)

- نظرية الفضاءات الذهنية التي قدمها فوكونيي (Fauconnier) (1985)

استعارية النسق المفهومي: يرى لايكوف وجونسن أن النسق المفهومي الذي يتحكم في تفكيرنا ويسير سلوكياتنا ذو طبيعة استعارية بالأساس، فالاستعارة حاضرة في حياتنا اليومية وفي كل حيثيات سلوكياتنا البسيطة إلا أننا لا ننتبه لذلك، لأننا نفكر ونتحرك بطريقة آلية وذلك تبعاً لمسارات ليس من السهل القبض عليها⁽¹⁵⁾ وقدّم الباحثان - من خلال اشتغالهما على معطيات لغوية من الحياة اليومية - افتراضات قادتتهما إلى الإقرار بأنّ الاستعارة لا ترتبط باللغة أو بالألفاظ، بل إن سيرورات الفكر البشري هي التي تعدّ استعارية في جزء كبير منها، وهذا ما قصدها من القول: إنّ النسق التصوري البشري مُبنين ومحدّد استعارياً. فالاستعارات في اللغة ليست ممكنة إلا لأنّ هناك استعارات في النسق التصوري لكل منا⁽¹⁶⁾.

وهكذا يكون الباحثان قد تنبّأ مفاهيماً تكون الاستعارة فيها ملازمة لحياتنا اليومية فلا مجال إذن للحديث عن لغة انزياحية في إطار هذا التصور، وإنّما العادة هي الاستعارة لا غيرها، لأنّ عقولنا تتحرك وفق أطر استعارية بطريقة غير واعية، نسيرنا الاستعارات في فهم الكثير من الوقائع إن لم تكن كلها وحين نبدأ بالوعي حول هذه الاستعارات نستطيع أن نحلّلها ثم نحدث التّغيير فيها ومن ثم التّغيير في العالم.

فإنّ الاستعارات المفهومية لا تقوم على مشابهة قبلية منفصلة عن تجربة الإنسان واحتكاكه بالعالم الخارجي بل هي إبداعية تستجيب لتجربتنا واحتكاكنا مع معطيات العالم الخارجي مما يجعل الاستعارة تقوم على عملية ربط أكثر مما تقوم على عملية مشابهة؛ بحيث تقوم فيها الروابط بعملية احترافية بين مجالين أحدهما هدف والآخر مصدر، يتم فيها نقل كل تصوّرات المجال المصدر إلى المجال الهدف فيحدث الرّبط بين المجالين ممّا يولّد فكرة جديدة تقرّبنا لفهم كيفية تشكل التّجارب والوقائع⁽¹⁷⁾.

بل إنَّ لايكوف يذهب إلى أبعد من ذلك حين أضاف مقارنة جديدة للاستعارة جعل منها وسيلة وأداة لإحداث التَّغيير في خريطة العالم فقد دأبت الدَّول الكبرى على تسخير اللِّغة بغرض تسويق وجهات نظرها وقراراتها، فأصبح الخطاب سلطة جديدة في عالم السِّياسة الفكرية بعد السلطة الدِّستورية والسلطة القضائية من خلال إنشاء مختبرات خاصة بصياغة المصطلح وبناء معجم لغوي غير مفاهيم النَّاس.

فقد سوَّغت العبارات الاستعارية لأمريكا تبرير غزوها للعراق، وخلقت حالة نفسية إيجابية لدى الجيش الأمريكي بقبول فكرة الاحتلال⁽¹⁸⁾

ويذهب لايكوف أيضا إلى أنَّ الاستعارة قد خلقت العافية الاقتصادية لأمريكا فقد دخلت الحرب من أجل الحفاظ على حصتها من النفط الرخيص القادم من الخليج وهو ما ساهم في تحديد القوة الاقتصادية وذلك بتغيير السِّياسة الطاقية بناءً على منطق استعاري، كما عملت على تقبل الخسائر البشرية للعراقيين على أنَّها أرباح صافية للأمريكيين، دخلت في حيز الفوائد الاقتصادية للدولة ومن ثمَّ تحقيق الرفاهية المادية في كل المجالات⁽¹⁹⁾

وبهذا فإنَّ التفكير الاستعاري (أو التفكير بواسطة الاستعارة) ليس شيئا جيدا ولا سيئا في ذاته إنَّه ببساطة عند لايكوف شيء مألوف واعتيادي ولا محيد عنه فالمجردات والأوضاع المعقدة أو الملتبسة تفهم عادة بواسطة الاستعارة؛ ويذهب الباحثان إلى أنَّ هناك نسقا استعاريا هائلا وغير واعٍ، في الغالب نستعمله على نحو آلي و"طائش" لفهم الأشياء المعقدة والمجرَّدة .⁽²⁰⁾

الاستعارة من منظور البنية التَّصورية: لقد أفسح التحليل العرفاني والتَّصوُّر العرفاني المجال للتَّجربة وتفاعلها مع المحيط الخارجي بقصد صياغة مفاهيم جديدة وأفكار مغايرة، كما فسحت المجال لاستخدام قدرات الإنسان الجسمية والعقلية

والشعورية والفطرية لتحقيق تطلعاته وتفاعلاته مع العالم الخارجي؛ بحيث تسمح له برؤية كيانات العالم من منظوره الخاص⁽²¹⁾.

وعموما يمكن القول بأنّ مفهوم البنية التصورية قد هيمن على دراسة لايفوف وجونسن فحصرها في الاستعارات العرفانية، وذلك يبدو جليا من خلال التقسيمات التي قدماها، ومن ثمة تدفعه إلى تشييد أنساق من التّصوّرات التي تجسدها لغته ومفاهيمه وتترجمها أعماله وأنشطته انطلاقا من الآليات النظرية (العقلية والفطرية) التي يمتلكها الإنسان والتي تتكامل جميعا من أجل بناء أنساق تصورية تستدعي عند الضرورة إحدى هذه الآليات.

وإنّ الاستعارات حسب لايفوف وجونسن أصبحت مرتبطة بالعمليات العرفانية التي تركز على التجربة والتفاعل الذي ينشأ من خلال تشغيل القدرات الذهنية والحسية.⁽²²⁾ وبالتالي فهي تقوم على بنية مجال هدف استناداً إلى بنية مجال مصدر، ويحدد الباحثان في "الاستعارات التي نحيا بها" ثلاثة أنواع من البنية:

1- بنية نسق تصوّري استنادا إلى نسق تصوّري آخر مثل بنيّتنا لنسق الجدل بواسطة نسق الحرب في الاستعارة "الجدال حرب" ويطلق الباحثان على هذا الضرب مصطلح الاستعارة البنيوية.

2- بنية بعض الأنساق اعتمادا على تجربتنا الفضائية باعتبارنا كائنات تحدّنا اتجاهات كالأعلى والأسفل واليمين واليسار والمركز والهامش..... وهكذا تعلّمنا تجربتنا مثلا بأنّ الأشياء الإيجابية تكون فوق، والسلبية تحت، وعليه فإننا نبين السعادة استنادا إلّا تجربة العلا، ونبين الشقاء استنادا إلى تجربة الدنو لنحصل على الاستعارة السعادة فوق / الشقاء تحت، ويطلق الباحثان على هذا الضرب الاستعارة الاتجاهية.

3-بنية الأنساق المجردة اعتمادا على بنية الأنساق الفيزيائية، كما الحال في استعارة الحب رحلة ويطلق الباحثان على هذا الضرب مصطلح الاستعارة الانطولوجية⁽²³⁾

يقول لايكوف: «لن يندهش معظم الناس أن يكتشفوا مفاهيم انفعالية Emotional concepts مثل الحب والغضب مفهومة استعاريا، لكن ما هو أكثر إدهاشا، وأظنه أكثر إثارة، هو إدراك أن العديد من المفاهيم الأكثر أساسية في أنساقنا التصورية تُستوعب أيضا بشكل اعتيادي بواسطة الاستعارة - مفاهيم مثل الزّمن والكم والتّغير والفعل والسبب والغرض والوسيلة والكيف بل وحتى مفهوم الفئة التّصنيفية، وهي مفاهيم تدخل بشكل اعتيادي في القواعد النّحوية للغات». ⁽²⁴⁾

استخدام الاستعارة في النصوص التّعليمية: يُنظر الى الاستعارة من وجهة نظر تصنيفية على أنّها نوعان؛ استعارة مكوّنة للنّظريات واستعارة تصنيفية، وقد ناقشت إيلينا سيمينو هذا الطّرح باعتبار أنّه يشير إلى الاستخدامات المختلفة للاستعارة أكثر من كونه تصنيفا يشير إلى أنواع الاستعارات المختلفة⁽²⁵⁾ إلا أنّ ذلك لم يمنع العلماء من الاتفاق على إمكانية استخدام الاستعارة كوسيلة تعليمية، فلا شك أنّ قدرة الاستعارة على نقل المعلومة أو الصّورة من المجال الأصلي إلى المجال المستهدف يمكن استغلالها لتوضيح بعض الظواهر للدّارسين عن طريق الحديث عن ظواهر أخرى تعودوا عليها، ومن ثمّ يمكن أن تساعد الاستعارة في توضيح الموضوعات المختلفة وتبسيطها، وهذا يساعد الدّارس على التّخيل والتّدكّر.

وتبرز أهمية هذا الأمر حين يتعرّض الدّارسون لإحدى الظواهر الجديدة بل والمعقدة والتي عادة ما تستعصي على الفهم مثل الكهرباء وبنية الذّرة ووظائف الحامض النّووي، وقد أثبتت العديد من الدّراسات أنّ استخدام الاستعارة في

النصوص التعليمية قد أسهم بشكل كبير في زيادة قدرة الدارسين على تذكر المعلومات والخروج باستنتاجات والإجابة عن الأسئلة وحل المشكلات⁽²⁵⁾ .

التحليل بالاستعارات الكبرى (عند لايكوف وجونسن):

1-النموذج التطبيقي: (نص من كتاب علوم الطبيعة والحياة)⁽²⁶⁾ يجتاز العضلة ككل الأعضاء الأخرى العديد من الأوعية الدموية التي ينتقل فيها الدم محملاً بالمغذيات و O_2 لتوصله إلى الخلايا؛ حيث يحدث تبادل العضلة والد للمغذيات والغازات والفضلات، وهذا يعني أن العضلة تأخذ من الدم الأكسجين والجلوكوز وتطرح ثاني أكسيد الكربون والفضلات الناتجة عن نشاطها.

تستهلك الخلايا العضلية مثل جميع الخلايا الأخرى في الجسم الجلوكوز والأكسجين وتحرر غاز ثاني أكسيد الكربون ويزداد هذا الاستهلاك بزيادة المجهود العضلي. يستهلك الجلوكوز والأكسجين على مستوى جميع خلايا الأنسجة الحية وكذلك على مستوى العضويات وحيدة الخلية كفطر الخميرة وتحرر الخلايا غاز ثاني أكسيد الكربون.

تهدم الخلايا الجلوكوز المستهلك في وجود الأكسجين لإنتاج الطاقة ويرافق ذلك تحرير لغاز ثاني أكسيد الكربون وهذا يعني أن التنفس ظاهرة خلوية حيوية تحدث بهدف إنتاج الطاقة التي يكون مصدرها المغذيات التي تُهدم في وجود أو غياب الأكسجين حالة التخمر.

أ. نسق الدم والعضلة بوصفهما شخصين (الاستعارة البنيوية): ينظر هذا النوع من الاستعارات إلى الأوعية والعضلة بوصفهما شخصين ينخرطان في نشاطات مشتركة مبنية على التبادل والشاركة النفعية والتكاملية، ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال البنية التالية:

-« يجتاز العضلة ككل الأعضاء الأخرى العديد من الأوعية الدموية التي ينتقل فيها الدم محملاً بالمغذيات و O_2 لتوصله إلى الخلايا»

-نفرق في هذه البنية بين ثلاثة أنواع من التعبيرات الاستعارية: تعبيرات شبه فنية وأخرى فنية وثالثة مكونة للنظريات فعلى سبيل المثال تضم التعبيرات شبه الفنية وصف الدم بأنه نظام نقل يغدو إلى العضلة محملاً بالأغذية والأكسجين ويعود محملاً بالفضلات وثاني أكسيد الكربون بعد عملية تبادل أمينة ومنظمة.

وهذه التعبيرات لا تستخدم بشكل تقليدي عند الحديث عن وظيفة الدم؛ وبالتالي لا تعدّ من التعبيرات المكونة للنظريات في أي سياقات أخرى، وتعتمد استخدامها هنا لما لها من قدرة على توصيل المعلومة للمتعلمين، فهذه التعبيرات تتماشى مع ما يعرفه المتعلم عن (التنقل، والحمل، والتوصيل، والتبادل) وبالتالي يسهل على المؤلف والمعلم شرح بعض جوانب المجال المستهدف وذلك لأنّ نسقنا التصوري مُبْنِيْن استعارياً.

ب. نسق الاستهلاك -التهديم -التحرير (استعارات انطولوجية): تحقق هذه الاستعارة بنية الأنساق المجردة من خلال بنيات فيزيائية، ويمكن الاستدلال على هذه الاستعارة من خلال البنية التالية: يستهلك الجلوكوز والأكسجين على مستوى جميع خلايا الأنسجة الحية وكذلك على مستوى العضويات وحيدة الخلية كفطر الخميرة وتحرر الخلايا غاز ثاني أكسيد الكربون.

تهتم الخلايا الجلوكوز المستهلك في وجود الأكسجين لإنتاج الطاقة ويرافق ذلك تحرير لغاز ثاني أكسيد الكربون وهذا يعني أنّ التنفس ظاهرة خلوية حيوية تحدث بهدف إنتاج الطاقة التي يكون مصدرها المغذيات التي تُهدّم في وجود أو غياب الأكسجين.

الهوامش واحالات البحث:

(1) E.De Bustos , La métaphore, Ensayos transdisciplinarios , Madrid, FCEy , UNED 2000
(النسخة الموجودة على النت غير مرقمة) نقلا عن: مقدمة الترجمة العربية لكتاب الاستعارة الحية،
بول ريكور ترجمة محمد الولي، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، 2016، ص 15، 16.

(2) لقد وصف هوبز Hobbes ما دعاه بالاستخدامات المختلفة للكلام، وذهب إلى وصف
إساءات الاستعمال -جعل الاستعارة ضمن ذلك - إذ بين أن المعاني المستقرة أساسية في أي
لغة، أما الاستعارة فهي إساءة استخدام في أية لغة، وعندما تحدث عن الخاتمة السخيفة جعل
استخدام الاستعارة والمجازات وأنواع البلاغة الأخرى بدلا من استخدام الكلمات الحقيقية سببا في
تلك الخواثيم السخيفة، إن مثل تلك الاستعارات يجب ألا يعترف بها . ينظر : يوسف أبو
العدوس، الاستعارة في النقد العربي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية، دار الأهلية للنشر
والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 1997، ص 15، 16 .

(3) I.A.Richards , The philosophy of Rhetoric, edition Oxford University Press Paperback,
1965, p :92

وقد ورد في النص الأصلي قوله:

« That metaphor is the omnipresent principle of language can be shown by mer observation , we
cannot through three sentences of ordinary fluid discourse without it (...) Even in the rigid language
of the settled sciences we do not eliminate or prevent it without great difficulty. In the semi-subjects,
in aesthetics, politics, sociology, ethics ,psychology, theory of language and so on.»

(4) Paul RICCEUR, La métaphore vive , edition du Seuil, Paris, 1975, p :105

(5) ينظر يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد العربي الحديث، مرجع سابق، ص 129-130

(6) ينظر، سليم عبد الإله، بنيات المشابهة في اللغة العربية (مقاربة معرفية) دار توبقال
للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2011 ص 62-63 .

(7) ينظر، صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،
الكويت أغسطس 1992، ص 151-152.

(8) ينظر عبد الإله سليم، بنيات المشابهة، مرجع سابق، ص 63

(9) المرجع نفسه، ص 63.

(10) ينظر، بول ريكور، نظرية التأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط2،
الدار البيضاء المغرب بيروت لبنان، 2006، ص 90.

(11) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(12) المرجع نفسه، ص 92.

(13) المرجع نفسه، ص 109.

- (14) ينظر، جورج لايكوف ومارك جونسن، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر ط2، المغرب، 2009، ص5.
- (15) 15 المرجع نفسه، ص21.
- (16) المرجع نفسه نص23.
- (17) ينظر، تقديم الترجمة لكتاب جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة عبد المجيد جحفة عبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، المغرب، 2005، ص6-7.
- (18) المرجع نفسه، ص13.
- (19) المرجع نفسه، ص41-42.
- (20) المرجع نفسه، ص19.
- (21) ينظر عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق، دط، المغرب، 2006، ص117.
- (22) ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (23) ينظر المرجع نفسه، ص13.
- (24) جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة (الدراسة جزء من كتابه "الاستعارة والفكر"، ط2، 1993) ترجمة طارق النعمان، منشورات مجلة إبداع للأدب والفن، العدد 13 - 14 شتاء / ربيع 2010.

الاستعارة التصويرية

في رواية "حوبة" لعز الدين جلاوي

مقاربة عرفانية لنماذج مختارة

أ. د عمر لحسن

أ. عبد الله أوريبي

ج. باجي مختار - عنابة -

مقدمة:

شهدت النظرية الاستعارية تحولا معرفيا غير مسار البحث فيها من اللغة إلى الذهن ويمكن حصر هذا التحول في تصورين أحدهما كلاسيكي والآخر معاصر، أما التصور الكلاسيكي فقد تأسس على فرضية المطابقة الأرسطية بين الموجودات ومسمياتها، واعتبر الاستعارة مسألة لغوية محضة تنحصر في عملية نقل واستبدال.

وأما المعاصر؛ فقد عارض التصور الكلاسيكي فلسفيا، مراجعا الفرضيات الأرسطية دحضا وتعديلا، صائغا فرضيات جديدة ذات منطلقات ذهنية تصويرية معتمدة الأساس التجريبي قاعدة لها معتبرا اللغة مسألة ثانوية؛ لأن الاستعارة حسب هذا الطرح نمط تفكير وليست لغة مجاز.

وعلى هذا الأساس لم يعد هناك تفاضل بين الشعر والنثر واللغة اليومية، فهم يخضعون لنفس المنطق الاستعاري الذي يشتغل وفقه أغلب نسقنا التصوري.

ولأجل ذلك ارتأينا تسليط الضوء على الاستعارة في أبعادها التصويرية للكشف عن دورها في بنية الإبداع الروائي الجزائري المعاصر، واخترنا لذلك نماذج من رواية "حوبة" لعز الدين جلاوي.

أولاً - الإطار المفاهيمي:

يعد تصنيف الاستعارة التّصوريّة الذي اقترحه لايكوف وجونسون «عملاً متطوراً داخل اللّسانيّات المعرفيّة، إذ يشكل مقارنة لتنظيم التّصورات وبنائها، والتي سبق أن نوقشت بشكل كبير داخل العلوم المعرفيّة [العرفانيّة]»،⁽¹⁾ وملخص هذا الطّرح هو أنّ العقل البشري يفكر بطريقة استعاريّة، ينطلق فيها من التّجارب اليوميّة، فيختزلها وينظمها ونضدها في شكل خطاطات يخزنها في الذاكرة، يستدعيها كلما دعت الحاجة إلى ذلك على سبيل الاستعارة. وهو ما أطلق عليه أصحاب هذا التّوجه الاستعارة التّصوريّة، فما الاستعارة التّصوريّة؟

1 - الاستعارة التّصوريّة:

هي تفسير جديد لظاهرة قديمة، مفاده أن الاستعارة ليست مسألة لغويّة، وإنّما هي مسألة تصوّريّة، تتم في الدّهن بين تصوّرين أحدهما أوضح من الثّاني، فنفهم الثّاني بالأوّل؛ فنحن «كلّما مضينا في التّجريد أكثر ازداد تفكيرنا اعتماداً على الاستعارة»⁽²⁾؛ معنى ذلك أنّنا نفكر بطريقة استعاريّة، «باختصار، إنّ موقع الاستعارة ليس في اللّغة على الإطلاق، وإنّما في الكيفيّة التي نُفهمُ conceptualize بها مجالاً ذهنياً ما وفقاً لمجال آخر»⁽³⁾، ويسمى المجال الأوّل "المصدر" والثّاني "الهدف"^(*) ويكون المجال الثّاني (مادياً) أوضح من المجال الأوّل (مجرد)، فنفهم الأوّل بالثّاني عن طريق ما يسمى بالإسقاط التّصوري أو الاستعاري⁽⁴⁾، فمجال المشاعر مثلاً مجرد، لا يمكن فهمه جيّداً إلّا باستعارة تصورات ماديّة واضحة المعالم، وإسقاطها على المجال المجرد للمشاعر، فيتجلّى ذلك لسانياً في أقوال من قبيل: (أنا في قمة السّعادة)، فهذا التّعبير اللّساني يعد استعارة تمّ الإسقاط فيها بين مجال الخبرة (المشاعر) المجرد، وبين مجال

تجارب الفضاء (الاتجاهات)، فقمنا بتحديد اتجاه علوي للمشاعر، وبهذا تحدثنا عن المشاعر بتصور الاتجاهات على سبيل الاستعارة.

2- أنواع الاستعارة التصويرية:

يعد تصنيف الاستعارة التصويرية الذي اقترحه لايكوف وجونسون، التصنيف والوحيد -على حد اطلاقنا- الذي اعتمد أساسا في الدراسات اللسانية العرفانية فيما بعد.

وقد قسم لايكوف وجونسون الاستعارات التصويرية إلى ثلاثة أنواع، هي: الاستعارات الأنطولوجية، والاستعارات الاتجاهية، والاستعارات البنيوية⁽⁵⁾.

أ/ الاستعارات الأنطولوجية: وتنقسم إلى ثلاثة أنواع، هي: استعارات المادة واستعارات الوعاء، واستعارات التشخيص نجملها في المخطط التالي:



يذهب لايكوف وجونسون إلى إنَّ هذا النوع من الاستعارات مرتبط بتجربة الإنسان وتفاعل جسده مع محيطه الفيزيائي؛ وبما أنَّ الإنسان له أبعاد فيزيائية خاصة به تجعله منعزلا بوصفه كيانا، فإنَّه يتعامل مع الموجودات الأخرى على أنَّها محدَّدة المعالم واضحة الأبعاد تماما مثله⁽⁶⁾؛ لذلك ربط لايكوف وجونسون استعارة المادة بالكيان ليبين أنَّنا ننظر إلى الأشياء/ الموجودات على أنَّها كيانات معزولة لنتمكن من «الإحالة عليها ومقولتها...وتجميعها وتكميمها، وبهذا نعتبرها

أشياء تنتمي إلى منطقنا...»⁽⁷⁾ وهذه مجموعة أمثلة نوردتها لتوضيح الصورة أكثر نسجناها على منوال لايكوف وجونسون:

أ-1- المرض كيان ومادة: - يجب مكافحة المرض بالمضادات الحيويّة.
(المرض عدو/ كيان يجب مكافحته)

- عندي مرض خطير. (المرض شيء/ مادة أملكها)

أ-2- استعارة الوعاء:

يشترك هذا النوع من الاستعارات مع استعارات الكيان والمادة في الأساس التجريبي الذي تنبثق منه، لكن الذي يميّزها تجربتنا الخاصة بأجسادنا؛ فنحن نعتبر أنفسنا أوعية « تتضمن أشياء من الأعضاء والأحاسيس أو المشاعر، وعلى أنها متضمنة في حاويات مثل البيت أو السيارة... »⁽⁸⁾؛ وغيرها، ونعتبر أيضا الفضاء الفيزيائي وعاء يضمنا ويضم كل الموجودات.

تختزل أذهاننا هذا النوع من التجارب في خطاطة بسيطة مجردة تتكوّن من عناصر ثلاثة: داخل وخارج وسطح فاصل⁽⁹⁾، يستدعيها نسقنا التصوري كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ليسقطها على الأحداث والأعمال والأنشطة والحالات التي تصلح أن نتصورها أوعية. وفيما يلي بعض الأمثلة التوضيحية:

- استعارة الحالات أوعية: مثال أنا في حزن عميق (الحزن وعاء).

- استعارة الكيانات والأشياء أوعية⁽¹⁰⁾: مثال: تضمّ الحفلة أشهر المغنين (الحفلة وعاء يضم مغنين)

- استعارة الأنشطة مواد/ أوعية: ويتم فيها « النظر إلى الأنشطة عامة باعتبارها موادّ استعاريا، وبذلك تعتبر أوعية»⁽¹¹⁾، وهذه أمثلة توضيحية:

- في الطّبخ، لا بد أن تكون ذواقا. (المطبخ وعاء يضمّ أشياء)

- تألقت المتسابقة في الرقص أمام الجمهور (نشاط الرقص وعاء تألقت فيه المتسابقة)

- استعارة مجال الرؤية وعاء⁽¹²⁾: ويتم فيها تصور مجال الرؤية بوصفه وعاء تدخل فيه أشياء وتخرج منه، أمثلة:

- خرج الطير من مجال رؤيتي (مجال الرؤية وعاء يخرج منه الطير)

- جلوسك أمامي يحجب مجال رؤيتي. (الشخص متواجد داخل مجال الرؤية/ الوعاء)

أ-3- استعارة التشخيص: وهي عملية إسقاط يكون فيها مجال الإنسان مصدرا أساسيا، به نفهم الأشياء في العالم خاصة المجردة منها، فنقوم بتصورها أشخاصا. فـ« التشخيص، إذا، مقولة عامة تغطي عددا كبيرا ومتنوعا من الاستعارات، حيث تنتقي كل منها مظاهر مختلفة لشخص ما أو طرقا مختلف للنظر إليه ...، تسمح لنا بأن نعطي معنى للظواهر في هذا العالم عن طريق ما هو بشري...»⁽¹³⁾؛ بمعنى أن كفاءات التشخيص يتحكم فيها المظاهر التي ننتقيها من المجال المصدر (الإنسان) لنسقطها على ما يناسبها في السياق التواصلي (بشكل آلي طبعاً)، لنحصل على استعارات تشخيصية متنوعة ومختلفة. وهو ما يبدو جليا في الأمثلة التالية:

- انتظرتك في جانب الملعب. (الملعب شخص له جانب)

- تكسرت أرجل الكرسي. (الكرسي شخص له أرجل)

- حصد الموت الكثير من الأرواح هذا العام. (الموت فلاح يحصد)

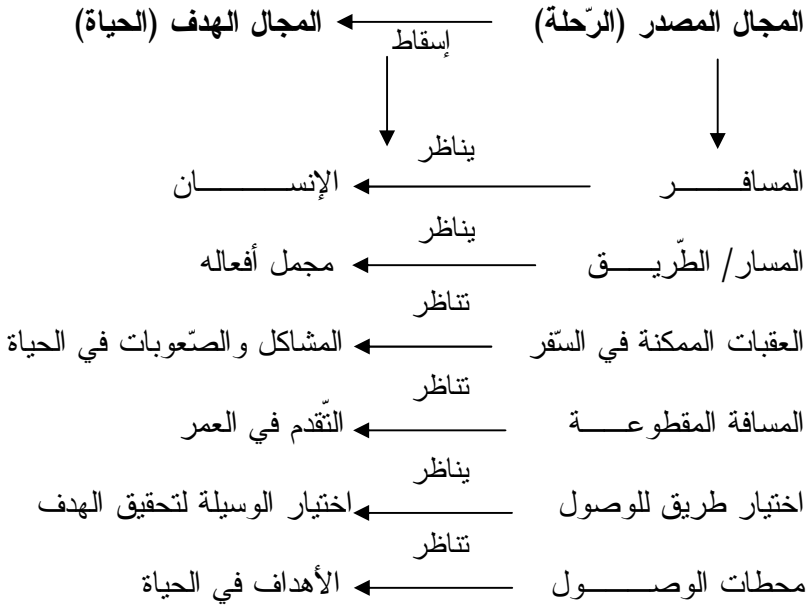
تعطينا الاستعارات الأنطولوجية إذا أسسا إضافية لفهم التّصورات المختلفة⁽¹⁴⁾ (خاصة المجردة)، عن طريق المواد والأشياء والكيانات/التّشخيص، وهي مجالات خبرة لصيقة بالحياة اليومية الواقعية، بل هي لصيقة بالإنسان نفسه، لذلك أطلق عليها لايكوف وجونسون الاستعارات الأنطولوجية أي الواقعية⁽¹⁵⁾.

ب/ الاستعارات البنيوية: وتتأسس، شأنها شأن الاستعارات الأنطولوجية والاتجاهية، على ترابطات نسقية داخل تجربتنا⁽¹⁶⁾؛ وسميت كذلك لأنّ الإسقاط التّصوري يتم فيها بين جملة من العناصر تشكّل مجتمعة بنيّة ما، مع انتقاء المظاهر المناسبة لسياق التّواصل.

فالرحلة مثلا لها بنيّة معلومة: نقطة انطلاق، ووسيلة سفر، ومسافة مقطوعة وعقبات في الطّريق (إن وجدت)، ونقطة وصول. تكون هذه العناصر مجتمعة بنيّة؛ يختزلها الذّهن في خطاطة بسيطة تسمى خطاطة الطّريق؛ التي تقوم على عناصر أساسية ثلاث (مصدر، مسلك، هدف)⁽¹⁷⁾، لا يمكن تصور رحلة دونها، لأنّه ببساطة غير ممكن.

نستعمل هذه الخطاطة عادة في النّشاطات الغائية وفي العلاقات، فتتّشأ جملة من التّناظرات بين بنيّة الرحلة والحياة يكون فيها الإسقاط بين عناصر الرحلة وتصورنا عن الحياة فنُفهمُ conceptualizing الحياة بتصور الرحلة؛ أي أنّنا نعيد تشكيل مفهوم الحياة على ضوء تجربة الرحلة، فنحصل على التّناظرات التّالية:

"الحياة رحلة"



إنّ العناصر المكونة للمجال المصدر في علاقة نسقيّة مع العناصر المكونة للمجال الهدف، فمجال الحياة لم تكن له هذه الخاصيات قبل أن يُنَيَّنَ structured عن طريق مجال الرحلة، أي أن مفهوم الرحلة يخلق مفهوم الحياة أو يعيد تشكيله⁽¹⁸⁾. ويتجلى هذا لسانيا في عبارات كثيرة متداولة لا ننتبه لطبيعتها الاستعارية.

أمثلة:

- لم أصل إلى هدفي في الحياة.
- حياتي مليئة بالعقبات.
- لا بد لك من رفيق في الحياة.

وعلى المنوال نفسه يتم بُنيَّة structuring تصور العلاقات (الزّواج مثلاً) مع استبدال لعنصر المسافر بالزّوجين/الحبيبين، وإضافة عنصر العلاقة الذي يبينه تصوّر وسيلة النّقل/المركبة، فنحصل على استعارة "الحب رحلة".

أمثلة:

- يبدو أننا وصلنا إلى طريق مسدود.
- نحتاج إلى بعض الوقود لنواصل حياتنا.
وكذلك الجدل نفهمه جزئياً بتصور الحرب أو الصّراع الفيزيائي، وفيما يلي بعض الأمثلة التّوضيحية:

- لقد ألقمته حجراً.
- ضربته في مقتل لم ينطق بعدها.
- أمطرته وابلاً من الحجج.
إنّ هذه الأنماط الاستعارية المكتشفة إلى الآن، دليل على أن نسقنا التّصوري يعمل في جزء كبير منه بمنطق استعاري⁽¹⁹⁾، فنحن نحيا باستعارات لا ننتبه لها، بل إنّنا لا يمكن أن نحيا إلّا بها.

ج/ الاستعارات الاتجاهية:

تبدأ أولى تجارب الإنسان عند خروجه من رحم أمه إلى العالم، فيكتشف دماغه هذا الوسط الجديد شيئاً فشيئاً، محاولاً تحديد موقعه فيه، فينشأ لديه تدريجياً مفهوم الاتجاهات، الذي يحدّده مبدأ التّعارض الحاصل بين مختلف الوضعيات. ولعل المحاولات الأولى للمشّي عند الطّفل الصّغير هي التي تبرز هذا التّعارض بوضوح بين الاتّجاه فوق وتحت. وبهذه الطّريقة يتبلور مفهوم الاتجاهات عبر تجارب تغيير

المواقع، المحكوم بمبدأ النسبية حتى ينضج، فيدرك الإنسان في النهاية الاتجاهات المعروفة (فوق/ تحت، أمام/خلف، يمين/شمال...إلخ). ولذلك فإن «بنية تصوراتنا الفضائية تنبثق من تجربتنا الفضائية المستمرة، أي من خلال تفاعلنا مع المحيط الفيزيائي. وبهذا، لا نفهم التّصور فوق عن طريق العلوّ المجرد فحسب، بل كذلك باعتباره منبثقا من مجموع الوظائف الحركية التي تنتج عن وضعنا المنتصب بالنّظر إلى حقل الجاذبية الذي نعيش فيه» (20).

يستعمل الإنسان تصوّره عن الاتجاهات الواضح المعالم، في القبض على تصوّرات مجردة، أو تصوّرات غير واضحة، بإعطائها اتجاها ما، تكون له دلالات مختلفة باختلاف ثقافات المجتمعات. «فنحن نتصوّر أن:

- السّعادة فوق والتّعاسة تحت.
- النّجاح فوق والإخفاق تحت.
- التّقدم إلى الأمام والتّخلف إلى الوراء.
- الخير على اليمين والشرّ على اليسار» (21)

نجد لهذه الاستعارات تحقّقا لسانيا متنوعا، لا يبدو لنا أنّه نتاج استعارة تمت على مستوى التّصورات، فاستعارة "السّعادة فوق" مثلا تنشأ من تصوّرنا أنّ "كلّ جيد فوق"، لنحصل على تعبيرات من قبيل:

- أنا في قمة السّعادة (السّعادة فوق)
- أنني أطير فرحا.

وكذلك الأمر بالنّسبة إلى تصوّر الرّداءة، الذي نعطيه اتجاه (تحت)؛ أي "كلّ رديء تحت"، لنحصل على تعبيرات من قبيل:

- معنوياتي منخفضة.

- تدهورت حالته الصحيّة.

- إنّه تحت رحمة المرض.

كل هذه التّعابير تعطي لكل جيد اتجاهها علويا، ولكل رديء وسيء اتجاهها سفليا ويبدو أن معظم الثقافات تشترك في هذا النسق الاستعاري، غير أن هناك بعض الاختلافات.

3- الاستعارات الموضعية:

وتدعى الاستعارات الصغرى: وهي استعارات لصيقة بالتعبير الاستعاري، لا يتعدى نطاقها الجملة الواحدة؛ مثال: كان يسبح في الظلمات = (الظلمات وعاء فيه ماء يمكن السباحة فيه)؛ "الظلمات وعاء" هي استعارة صغرى "موضعية" تختصّ بالتعبير اللساني (الاستعاري) "في الظلمات"

4- الاستعارة الكبرى أو الممتدة extended metaphor:

هي «ظاهرة نصيّة تستعمل بمقتضاها تعبيرات متعددة من المجال أو النطاق الأصلي [المصدر] source domain وتمتد طيلة النص»⁽²²⁾. أي أنّها مقولة يمكن لكل نوع من الاستعارات التّصوريّة أن يندرج تحتها، على أن تتوفّر فيها الشّروط السياقيّة اللازمة، وهذا النوع من الاستعارات يتواجد «في النّصوص الأدبيّة بالدرجة الأولى. إنّها استعارات واسعة النّطاق (استعارات كبرى) تقبع "خلف" النص الذي تشكل أساسه استعارات موضعية أخرى (تدعى استعارات صغرى).

وظيفتها المعرفية [أي الاستعارات الممتدة] هي تنظيم الاستعارات الموضوعية local metaphors في البنية الاستعارية المنسجمة للنص»⁽²³⁾، مثال⁽²⁴⁾:

عَيْنِهَا يَخَاوَتِي جَوَاهِرُ تَلْمَعُ = العيون مواد تلمع

خَضُورُهُ قُدَّامُهُمْ قَلْبِي يَرْكَعُ = القلب كيان يركع أمام العيون

وَاشْعَرَهَا غَمَارٌ سُبُولَ فِيهِ الْبَنَّةُ = الشعر وعاء يحتوي على مادة (البنة)

وَقَدْهَا قَدْ غَزَالَ فَ الصَّحْرَا يَرْتَعُ = استعارة الصورة (صورة الغزال في الصحراء)

"الحب قوة فيزيائية مؤثرة"
استعارة مُمتدة (كبرى)

لكل بيت في الأبيات السابقة استعاراته الموضوعية/ الصغرى التي ينبثق منها (على اعتبار أن الاستعارة تتم قبل التحقق اللساني)، وكلها أبيات تعبر عن صفات المرأة التي تيم بها محبوبها، تجتمع كلها لتؤثر على العاشق تأثيرا يشبه التأثير الفيزيائي، وهذا ما جعل الاستعارة الممتدة (الكبرى) "الحب قوة فيزيائية مؤثرة" هي التي تبين المقطع الشعري بكامله، لتصبح الاستعارات الصغرى متراسة ومتماسكة في بنية منتظمة بفضل الاستعارة الكبرى (الممتدة).

5- الاستعارة المحفزة بالموضوع Topic-triggered metaphors:

ترى "كولر" أن اختيار "المجال المصدر" الذي منه ينتقي المتكلم التصورات التي سيستعيرها ليسقطها على المظاهر التي يريد التعبير عنها، يكون بناء على "الموضوع"، وأطلقت على هذا النوع من الاستعارات "الاستعارات المحفزة بالموضوع Topic-triggered metaphor"، وتتضمن بعض أبعاد الموضوع الذي سيتم مناقشته⁽²⁵⁾؛ كعنوان مقال صحفي مثلا في علاقته بالمقال.

6- الاستعارة المحفزة بالموقف الاتصالي: Situationally triggered metaphors

لا يختلف هذا النوع من الاستعارات عن سابقه، إلا في درجة التّحفيز؛ التي يتحكّم فيها العنصر الذي اقترحته إلينا سيمينو وهو "الموقف الاتصالي"، كونه أحد أهم المتغيّرات المحفزة لاختيار المجالات التّصوريّة والمساهمة في توجيه اختيار المجال المصدر المناسب للموقف الاتصالي⁽²⁶⁾.

7- السيناريو الاستعاري:

هو نوع من التّمثلات الذهنيّة يمكن بناؤه على أساس المدخل النّصي textual input، ويمتاز بالمرونة وعدم الثّبات بشكل كامل⁽²⁷⁾، ويرتبط بالمجال التّصوري ارتباطاً عضوياً (علاقة جزء بالكل)؛ إذ المجال التّصوري أوسع من السيناريو، فمجال الحرب مثلاً يمكن أن نستخلص منه سيناريو معركة⁽²⁸⁾؛ أي أنّه تمثيل ذهني مفتوح النّهاية توفر عناصره إمكانيات لتوقع الأحداث.

وهذا يعني أنّ للسيناريوهات بنى جاهزة سلفاً تحتوي على فراغات يمكن ملؤها تبعاً للمواقف والوضعيّات المتعامل معها⁽²⁹⁾؛ وقد يستفيد المبدعون من هذه البنى المعرفيّة (السيناريوهات)؛ حيث إنّها توفر لهم «إطاراً سردياً narrative frame للمراحل المختلفة للتّجربة»⁽³⁰⁾ المراد التّعبير عنها.

وهذا ما يذهب له موسولف، الذي يرى أنّ السيناريوهات توفر خطوطاً قصصيّة وسرديّة لها بدائيّة، ووسط، ونهائيّة، تسهل على المبدع التّنبّأ بالبنية السرديّة المستهدفة⁽³¹⁾.

ثانياً- الإطار التّطبيقي:

ننطلق في هذا الجزء التّطبيقي من فرضيّة أساسيّة مفادها:

- الرواية استعارة كبرى⁽³²⁾.

وفرضيتين فرعيتين مفادهما:

- نحن نرى العالم من خلال لغتنا (وورف سايير).

- نحن نحيا بلغة استعارية (حسب تصور لايفوف وجونسون).

وبضم الفرضيتين الفرعيتين وتطبيقا للاقتضاء المنطقي نحصل على ما يلي:

إذا كنا نرى العالم من خلال لغتنا،

وإذا كنا نتكلم بلغة استعارية،

فإننا نرى العالم استعاريا،

هذا حال اللغة اليومية، فما بالك بلغة الإبداع ونعني النثر هنا. وعلى هذا

الأساس يمكن الاطمئنان إلى سلامة الفرضية الأساسية "الرواية استعارة كبرى".

تأسيسا على هذا التصور، سنحاول التحقق من صحة هذه الفرضية بالبحث في الرواية

عن دور الاستعارة، بوصفها ترسيما عابرا للمجالات Cross-domain mapping⁽³³⁾؛ في
بنيّة الإبداع الروائي محل الدراسة، محاولين الكشف عن بنيّة استعارية.

التحليل:

تتقسم هذه الرواية الموسومة بـ: "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"

إلى ثلاثة فصول معنونة كالآتي:

- البوح الأول: أنات النأي الحزين.

- البوح الثاني: عيق الدّم والبارود.

- البوح الثالث: النّهر المقدس.

وينقسم كل فصل فيها إلى 20 جزءا مرموزا إليها بتسلسل الأرقام (1، 2

3... إلخ) ما عدا الفصل الثالث الذي يحتوي على 33 جزءا، هذا من حيث الشكل

أما من حيث المحتوى فيمكن تصنيفها ضمن خانة الروايات التاريخية؛ كونها تحكي أحداثا تعود إلى حقبة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

وقد كشفت القراءة الأولية لهذه الرواية عن فكرة مركزية يمكن اعتبارها مبدئيا "النواة الدلالية" التي تقوم عليها الرواية بأسرها وهي فكرة "الصراع"، مجسدة في صراع بين مستعمر ومستعمر.

والثابت أنّ فكرة "الصراع" مُفَهِّمَةٌ conceptualized، في ثقافتنا، وفي ثقافات أخرى، بشكل استعاري نجد لها تحققات كثيرة في استعمالنا اليومية للغة فنحن نحيا بلغة استعارية⁽³⁴⁾.

وعلى هذا الأساس ويربط الفكرة النواة مع التصور العام للرواية؛ نقترح رد منابعا إلى الاستعارة التصويرية الكبرى: "الحياة رحلة"؛ ذلك أن «الشائع في حبكة الرواية أن تكون تحقيقا لاستعارة الحياة الهادفة رحلة حيث يتخذ مسار الحياة شكل رحلة فعلية»⁽³⁵⁾. وسنتبين مدى صحة ذلك أثناء التحليل بدءا بالعنوان الرئيس.

أولا- الاستعارة والعنونة:

1- البنية التصويرية للعنوان الرئيس (حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر):

تتطلب بعض الحالات التي يكون فيها تداخل استعارات متعددة في جملة واحدة تفعيلًا متزامنًا⁽³⁶⁾ لعدد معين من الترسيمات الاستعارية، وما يصنع انسجامها أمران: الأول الاقتضاءات، والثاني تراتبيات الميراث inheritance hierarchy⁽³⁷⁾.

أما الأول فينشأ حين تفشل استعارة واحدة في الإحاطة بكل مظاهر تصور ما فيفعل نسقنا التصوري استعارة ثانية، أو أكثر إن لزم الأمر، ليحيط بكل مظاهر التصور المراد فهمه، فتتداخل الأغراض وبالتالي تتداخل الاستعارات، لكن الذي

يحكمها هو مبدأ الاقتضاءات الذي ينظم هذا التداخل بشكل منطقي⁽³⁸⁾، وأما الثاني؛ فله علاقة بآلية اشتغال الاستعارة في نسقنا التصوري؛ إذ إنَّ الترسيمات الاستعارية «لا تقع (...) معزولة عن بعضها البعض. فهي أحيانا تكون منظمة في بنى تراتبية ترث فيها ترسيمات "أدنى" في التراتبية بنى الترسيمات "الأعلى"»⁽³⁹⁾، وينطبق هذا على العنوان أعلاه، الذي تُبَيِّنُهُ استعارة: "الحياة رحلة" التي «تفيد من كل البنية الخاصة باستعارة بنية الحدث وبما أنَّ أحداث الحياة مُفَهِّمة بوصفها هادفة، فإنَّها حالات فرعية من الأحداث بعامة»⁽⁴⁰⁾.

إنَّ المتأمل في هذا العنوان يجد فيه نوعا من الابتكار الاستعاري الذي يركز على آلية التفصيل "elaboration"⁽⁴¹⁾؛ وهي إحدى الآليات التي يستثمرها الأدباء لابتكار استعارات جديدة انطلاقا من استعارات تصوُّرية مستعملة في الحياة اليومية (تقليدية).

تنشأ الجدة والابتكار في العنوان أعلاه، بإدخال تفاصيل على عناصر موجودة في المجال المصدر لاستعارة "الحياة رحلة" وهذا أحدث تغييرا في بنيتها الداخلية؛ إذ تخصيص النشاط الغائي (الرحلة/ السفر) بلفظة "البحث" يجعل وجهة الرحلة/ السفر غير محدَّدة، وإضفاء الحركية على "محطة الوصول" باستخدام لفظة "المنتظر" يجعلها غير ثابتة؛ إذن فنقطة الانطلاق في هذه الرحلة مزدوجة، وهذا يجعل "محطة الوصول" تتحوَّل إلى "نقطة التقاء".

لقد أحدث استثمار آلية "التفصيل" تغييرا في بنية استعارة "الحياة رحلة" فتحوَّلت إحدى استعاراتها الأولية (primary metaphors)⁽⁴²⁾ المكوِّنة لها من استعارة

إذن؛ الحياة تعين مساراً

اقتضاء 2:

الحياة تعين مساراً

المسار قد يحوي عقبات

إذن؛ الحياة قد تحوي عقبات

انطلاقاً من الاقتضاءات السالفة نصل إلى أن استعارة "الحياة رحلة" فيها صراع مع العقبات التي قد تكون في المسار الذي تعينه الرحلة، وهذه العقبات تمثل "خصوصاً" مجهولة للمسافر.

إذا سحبنا هذا التحليل على عنوان الرواية: "حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر"، نحصل على التناظرات التالية:

حوبة = المسافر (الاستعاري).

رحلة البحث = حدث/ فعل + عقبات.

المهدي المنتظر = الغاية/ الهدف + حركة = هدف متحرك.

النتيجة: رحلة سفر للبحث عن هدف متحرك (غير ثابت)، الوصول/ الالتقاء غير مضمون.

بناءً على ما سبق، وبما أن العنوان، كما يذهب إلى ذلك "جيرار فينييه"، يشكل مع النص بنية معادلية كبرى؛ أي العنوان = النص⁽⁴⁴⁾، فإنه يمكن اعتبار استعارة "الحياة رحلة" هي الاستعارة الكبرى التي تُبْنِيُ الرواية محل الدراسة.

إنّ ما يسوغ التناظر بين استعارة "الحياة رحلة" وبين الرواية هو أن الرواية - خاصة التاريخية - يمكن اعتبارها نموذجاً مضغوطاً يحاكي الحياة أو جزءاً منها،

وبما أننا نُمَقِّمُ الحياةَ العاديةَ من خلال تصوّر الرحلة، نستطيع أيضاً أن نُمَقِّمُ الأحداثَ في الرواية على أنها رحلة.

تأسيساً على ذلك يمكن سحب البنية المُجرّدة لاستعارة "الحياة رحلة" على العالم الروائي فنحصل على التناظرات التالية:

المجال المصدر (الرحلة) المجال الهدف (العالم الروائي)

المسافر —————> شخصيات الرواية (الرئيسية).

المسار/ الطريق —————> مجمل أفعال الشخصيات.

العقبات الممكنة في السفر —————> الأحداث المتأزمة في الرواية.

المسافة المقطوعة —————> التقدم المحرز.

اختيار طريق للوصول لاختيار الوسيلة لتحقيق الهدف

محطات الوصول —————> أهداف الشخصيات.

تظهر هذه التناظرات تمفصلات بنية استعارية تصوّرية للرواية بشكل واضح المعالم.

وسنكتفي في هذا المقال بتحليل عنوان الفصل الأول من هذه الرواية الموسوم بـ:

"البوح الأول: أنات الناي الحزين"، مبرزين علاقته بالعنوان الرئيس ثم بفاتحة الحكى.

2- البنية التّصوّريّة للعنوان الفرعي الأول: (البوح الأول أنات الناي

الحزين).

يصدر هذا العنوان عن إحدى الاستعارات "الأنطولوجية" وهي "التشخيص"؛ وهذا

النوع من الاستعارات من أكثر الاستعارات شيوعاً في استعمالاتنا اليومية؛ فهو مستمد

من تجربتنا الفيزيائية (أجسادنا) التي تمدنا بأسس أوضح للفهم⁽⁴⁵⁾؛ أي أنها تعطينا

«طرقاً للنظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار... إلخ باعتبارها كيانات»⁽⁴⁶⁾، وهذا يسمح لنا بمقولة عالمنا بشكل أكثر وضوحاً وأكثر تحديداً.

وكما هو واضح في العنوان فقد نُظر إلى "النَّاي" من خلال تصور "إنسان حزين يئن"، والأئين عادة ما يكون نتيجة ألم إما من إصابة أو من مرض، وبالتالي تكون البنية التَّصوُّريَّة كالتَّالي:

- أنات النَّاي = النَّاي كيان + أئين.
- الحزين = النَّاي كيان + حزن.
- النَّتِيجَة = النَّاي كيان يئن وحزين (تشخيص).

حسب الفرضيَّة الأولى التي انطلقنا منها القائلة باستعارة "الحياة رحلة"، نجد أنَّ المجال المصدر الذي تصدر عنه استعارة العنوان أعلاه، لا تخرج عن إطار المجال المصدر العام للاستعارة الكبرى؛ إذ الأئين يقتضي "صراعاً" مع الألم الحسي أو المعنوي؛ وبالتالي يصبح الألم **عقبة** يتصارع معها المريض أو المصاب، شأنها في ذلك شأن **العقبات** التي تواجه المسافر في استعارة "الحياة رحلة"، وهذا يعني أنَّ العلاقة بين الاستعارتين التَّصوُّريَّتين لعنوان الرِّوَايَةِ الرَّئيس وعنوان فصلها الأوَّل، هي علاقة اقتضاءات لبنية الاستعارتين، نجد لها تحققات لسانية على سطح النّص/ الرِّوَايَةِ.

وكما سبق أن وضحنا، تعمل الاستعارات "المحفزة بالموضوع" على تَأطير الحدث الموالى؛ وإعطاء فكرة عن بعض أبعاده، وبالتالي فتح المجال لبناء سيناريو محتمل يمكن أن ينسجم مع المظهر المراد التَّعبير عنه؛ يكون أساسه المدخل النَّصي textual input⁽⁴⁷⁾، والعنوان هنا هو مدخل نصي يفتح الآفاق لتخييل الخطوط العريضة للسيناريو المحتمل.

وهذا يثير التساؤلات الآتية:

كيف سيفتح الحكي في هذه الرواية؟

وما علاقة البنية التصورية للعنوان بالبنية التصورية للمشهد الافتتاحي؟

3- الافتتاحية السردية:

يرى عبد الفتاح كيليطو أن «عملية القراءة مرسومة في افتتاحية السرد»⁽⁴⁸⁾ انطلاقاً من هذه المقولة سأحاول الولوج إلى عالم الرواية من افتتاحيتها السردية التي تعد العتبة الثانية بعد العنوان.

ينفتح الحكي في هذه الرواية بسلسلة من التعبيرات الاستعارية أطلقت عليها الدراسات الحديثة اسم «عقود "cluster" استعارات»⁽⁴⁹⁾، وعادة ما يتصدر هذا النوع من التعبيرات الاستعارية المقالات الصحفية قصد تأطير الموضوع المحوري الذي ستتم مناقشته⁽⁵⁰⁾، وينسحب هذا الأمر على المقطع السردى الافتتاحي التالي:

«وحده الدم الهادر القاني كزبد البحر كان يترأى له، سواء أغمض عينيه أم فتحهما.. قزعات السحاب التي تشكلت في غير موعدها تدفعها الرياح إلى الشرق هي سيل من دماء سوداء، هذه الصخور الناتئة أمامه على الهضبات والجبال المحيطة ليست إلا رؤوس منحورين... نعيق الغربان الذي راح يقتحم ثغري أدنيه ليس إلا صيحات القتال المنذر بالويل والنّبور»⁽⁵¹⁾.

يصدر هذا المقطع السردى الافتتاحي عن توليفة من الاستعارات التصورية الصغرى "micrometaphors" (موضعية "local")⁽⁵²⁾، وهي كالاتي:

- الدم: زبد بحر (استعارة المادة).

- السحاب: سيل دماء سوداء: (استعارة الوعاء والمادة).

- الرِّيح تدفع [تدفع سيل السحاب] = الرِّيح كيان يقوم بفعل الدّفع (تشخيص).
- الصّخور: رؤوس منحورين: (تشخيص).
- نعيق الغربان الذي راح يّقتم ثغري أذنيه ليس إلا صيحات القتال:
- نعيق الغربان يّقتم الأذنين = النّعيق كيان + الأذنان وعاء (تشخيص + وعاء).
- نعيق الغربان صيحات قتال = الغربان كيان + النّعيق صوت إنسان/كيان (تشخيص).
- صيحات القتال المنذر بالويل... الصّياح كيان ينذر... (تشخيص).

إنّ اللافت في هذا "العنقود الاستعاري" الافتتاحي هو كثافته الاستعارية العالية نسبياً؛ والتي لا تعني مدى انتشار التعبيرات الاستعارية وتنوع منابعها التّصوّريّة فحسب، بل تعني أيضاً الكثافة على مستوى الكلمة والعبارة الواحدة؛ أي أنّها يمكن أن تُخَفَّف أو تُكثَّف برفع أو خفض درجة شحنها البلاغي⁽⁵³⁾؛ بمعنى أنّ المتكلّم/ الكاتب - تبعاً للموضوع والموقف المعالج - حين ينتقي ألفاظاً معينة من مجال تصوّريٍّ بعينه، يختار التي تستدعي أكبر قدر من التّصورات من المجال المصدر ويسقطها على المجال الهدف المناسب، فتنتج تعبيرات تختلف كثافتها الاستعارية باختلاف عدد التّصورات المستدعاة.

وهذا ما يلاحظ على "العنقود الاستعاري" السابق، الذي يستدعي مجموعة كبيرة نسبياً من التّصورات من المجال المصدر "الحرب"، وكمثال على ذلك فلنأخذ عبارة "صيحات القتال" التي تميّز بدرجة شحن بلاغي عالية نسبياً، مقارنةً بباقي التّعبيرات الأخرى؛ إذ تستدعي كل تفاصيل المعركة من "مجال الحرب" (الضّرب، الجرح، الدّم القتل، وهلم جرا)، في حين أنّ باقي التّعبيرات الاستعارية تتفاوت درجات شحنها البلاغي، دون الخروج عن حدود "استعارة الحرب" التي تُبْنِىُ المقطع أعلاه.

وبهذا تنفتح جملة من الإمكانيات السردية narrative potential⁽⁵⁴⁾ في ذهن القارئ تسمح له بوضع خطوط عريضة لبناء سيناريو محتمل غير مكتمل يمكن أن يتلاءم مع السيناريو الهدف؛ أي التنبؤ «بالبنية السردية narrative structure للمواقف التي تعد مجالات مستهدفة»⁽⁵⁵⁾؛ وذلك لأن المشهد المصور أعلاه لم يتجاوز التمهيد لحدث معين.

وحتى تتضح الصورة أكثر فلنتناول المقطع الموالي: «وتراعى له أبوه بلخير ممددا كجذع شجرة عملاق، وقد ضربته الدماء ...»⁽⁵⁶⁾.

قبل البحث عن العلاقات الاستعارية الرابطة بين المقطعين، لنتوقف قليلا عند بنيته التصويرية.

يؤلف هذا المقطع الصغیر بين استعارتين تصوريّتين؛ "الإنسان نبات، و"الشّيء المهم كبير/ عملاق"⁽⁵⁷⁾، والذي يصنع الانسجام بينهما هو الاقتضاء الاستعاري الذي يربط حدث إصابة شخصيّة "بلخير" بجذع الشجرة المقطوع؛ فعملية قطع الشجرة تقتضي سقوطها، وكذلك إصابة "بلخير/ الإنسان" تقتضي سقوطه على الأرض.

إنّ الذي يوجه الاقتضاء الأول (قطع الشجرة) في هذه الاستعارة هو لفظة "ممددا" التي تحيل على السقوط، والذي يدعم الاقتضاء الثاني (الإصابة) هو لفظة "دماء" لنخلص في النهاية إلى التناظرات التالية:

بلخير يناظر جذع الشجرة.

الإصابة تناظر عملية القطع.

إذا قمنا بعملية ربط بسيطة بين المقطع الافتتاحي وهذا المقطع، تبدأ معالم السيناريو بالبروز بشكل أوضح؛ فإذا كان المشهد الافتتاحي يستدعي عناصر

"المعركة" من مجال "الحرب"، فإن ذلك يستلزم خسائر ماديّة وبشريّة، وهو ما يؤكّده المقطع الثّاني الذي يصوّر لنا استعاريّاً شخصيّة "بلخير" مصابة ملقاة على الأرض من خلال تصوّر الشّجرة المقطوعة.

ويصل المشهد إلى نهايته ويشارف السّيناريو على الاكتمال حين تموت شخصيّة "بلخير"، وهذا واضح من هذا المقطع: «ورفع فيه الأب عينين مليئتين بالحسرة الذّابحة ... وأسلم الرّوح»⁽⁵⁸⁾.

ينبع هذا المقطع السّردي الصّغير، من استعاريّتي "الوعاء والمادة"؛ وهي كالتّالي:

- عينين مليئتين بالحسرة = العينان وعاء يحتوي على الحسرة (استعارة الوعاء).

- الحسرة الذّابحة = الحسرة مادة حادة (استعارة المادة).

- أسلم الرّوح = الرّوح شيء يسلم (استعارة المادة).

لم تخرج استعارات هذا المقطع عن إطار "استعارة الحرب" التي تُبْنِيُ المقطع الافتتاحي، بل هي امتداد له، خاصة وأنّ الشّعور بالحسرة هو إحساس مصاحب لمواقف كالحرب أو المعركة، أضف إلى ذلك أن "الحسرة" تجربة شعوريّة غير محدّدة بوضوح (من خلال ذاتها)⁽⁵⁹⁾، لذلك لا يمكن القبض عليها إلّا بتصوّر أوضح وأكثر تحديداً، وهو "المادة" في هذه العبارة؛ فلفظة "ذابحة" تحيل على فعل ناتج عن "مادة حادة"، ممّا يجعل شعور "الحسرة" محدداً بوضوح أكثر. وكذلك الأمر بالنّسبة للفظة "الرّوح" التي تعبّر عن مفهوم مجرد لا يمكن القبض عليه إلّا بتصوّر ملموس⁽⁶⁰⁾؛ لذلك فُعِلَتْ "استعارة المادة" لرسم حدود بارزة لمفهوم "الرّوح" المجرد بجعلها شيئاً يسلم إلى صاحبها (الله عزّ وجلّ) في التّعبير الاستعاريّ "أسلم الرّوح".

إذا تأملنا المقاطع السردية السابقة سنلاحظ أنها تتبع من استعارات تقليدية (عرفية) مختلفة (استعارة التشخيص، المادة والوعاء، ... إلخ)، لكن هذا لا ينفي الابتكار عنها؛ لأنّ «استحداث تصوّر محدّد للموقف الذي يمثل المجال المستهدف»⁽⁶¹⁾ يستلزم الانطلاق من استعارة تقليدية ومن ثم بلورتها وفقا لما يقتضيه الموقف اعتمادا على آليات محدّدة⁽⁶²⁾.

إنّ الذي يصنع التفرد فيها هو «الرّبط المبتكر "mapping novel" للعناصر الاستعارية»⁽⁶³⁾ بين المجالات التّصوّرية المختلفة؛ فتتفاعل بذلك مشكلة سيناريو تكون فيه شخصيّة "بلخير" ضحيّة.

ويمكن اختزال العلاقة بين المقاطع السردية السابقة كما يلي:

حرب/ معركة تستلزم إصابات (جرح/ ذبح) تؤدي إلى شعور سيء (الحسرة).

النتيجة المحتملة: الموت

وهذا يدفعنا إلى طرح السؤال التّالي: من المسؤول عن موت "بلخير" ؟

لعلّ الإجابة عن هذا السؤال تكمن في هذا المقطع: «وخيل إليه أنّ كل جنّبات العرش تلاله، هضباته، وديانه، كل صخرة، وكل نبتة، كلها جميعا كانت تصرخ فيه تطالبه بالثأر من أولاد النّش»⁽⁶⁴⁾.

يتكوّن هذا المقطع من إحدى الاستعارات الأنطولوجية "التّشخيص"؛ ومن ميزاته أنّه «يقوم... بتبسيط كل من مهمة الكاتب والقارئ، بواسطة السّماح بعزو الأفعال والعمليات لفاعلين فرديين مفردين»⁽⁶⁵⁾؛ فـ:

(جنّبات العرش [عرش أولاد سيدي علي]) كيان يطالب بالثأر من كيان آخر (عرش أولاد النّش).

إذا أعدنا استحضار المقاطع السابقة ببعديها اللساني (الحكائي) والتصوري (الاستعاري) يكتمل بناء السيناريو بشكل نهائي، وحتى تكون له صياغة دقيقة سنطبق مبدأ "التحديد الاستعاري"⁽⁶⁶⁾، بطرح مجموعة الأسئلة التالية:

من الضحية؟ ومن القاتل؟ ما الذي يجب فعله؟

تفقد الإجابة عن هذه الأسئلة إلى صياغة "السيناريو الافتتاحي"⁽⁶⁷⁾ التالي:

الضحية: بلخير (كبير عرش أولاد سيدي علي).

القاتل: عرش أولاد النش.

الدليل: شهود عيان (جنبات عرش أولاد سيدي علي: التلال والهضاب و...)

المطلوب: الثأر من القاتل.

ومن هذا السيناريو الافتتاحي تقدح شرارة الحكي، وتتحرك الشخصيات وتتأوب على الأدوار متفاعلة مع الأحداث، مكونة عبر خط السرد مسارات حكائية واستعارية مختلفة ومتباينة، تتقاطع كلها وتتحد في الحبكة العامة المشكل لنسيج الرواية.

خاتمة:

أسفرت هذه الدراسة على جملة من النتائج يمكن إجمالها في العناصر التالية:

1- استجابت النموذج المختار من الرواية محل الدراسة للمقاربة وفقا لمفاهيم نظرية الاستعارة التصويرية.

2- خضع البنية الاستعارية في الإبداع الروائي لنفس المبادئ التي تتحكم في تنظيم الاستعارات في نسقنا التصوري.

3-تحكم في امتداد الاستعارة درجة اتساع النطاق النصي الذي يخضع بدوره إلى طبيعة الموضوع المعالج.

4-خضع العناصر الاستعارية المكونة للاستعارة الكبرى لطبيعة الأحداث خضوعا بنويًا.

5-يميل الابتكار في الرواية إلى مفهوم السيناريو الذي يتوافق أكثر مع طبيعة السرد.

6-يخضع السيناريو بوصفه تمثلاً ذهنياً من حيث البناء والمحتوى لطبيعة المواضيع المعالجة.

7-يوفر السيناريو اختزالاً حكاثياً واستعارياً لاحتوائه على أطر سردية للمفهمة تكون فيها الاستعارات التصورية أسساً في بنائه وموجهات لصياغته.

الإحالات والهوامش:

(1) عبد العالي العامري، التصور الاستعاري لبنية المسار في اللغة العربية، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الرياض، العدد 3، مارس 2016، ص 135.

(2) آيفور أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ترجمة: سعيد الغانمي، د. ناصر حلاوي، أفريقيا الشرق بيروت، لبنان، 2002، ص 94.

(3) جورج ليكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة: طارق النعمان، مجلة إبداع (مجلة فصلية للأدب والفن)، العدد 13، 14، شتاء، 2010، نشرت هذه الدراسة ضمن الطبعة الثانية، وليس الأولى، من كتاب "الاستعارة والفكر"، تحرير أندرو أرتوني الصادر عام 1993، ص 6.

* **المجال المصدر والمجال الهدف:** هي مجالات تصويرية، تتكون في الدماغ البشري نتاج خبراته المختلفة شديدة التنوع، يختزلها وينظمها في شكل خطاطات ذهنية مجردة، يستدعيها كلما دعت الحاجة إلى ذلك مستعيراً إحداها ليسقطها على مظهر من المظاهر المراد فهمه، نسمي المجال (أي

مجال الخبرة) المستعار منه المجال المصدر، ونسُمي المظهر المراد فهمه؛ أي الذي تم الإسقاط عليه، المجال الهدف.

بعبارة أخرى مجالات الخبرة البشرية، فيها الواضح وفيها غير الواضح، وما يشكل التّصورات الواضحة هي التّجارب الماديّة (كتجربة العراك الفيزيائي مثلاً)، أما التّصورات غير الواضحة فتشكّلها التّجارب المجردة (كتجربة المشاعر مثلاً)، وليفهم الإنسان التّجارب غير الواضحة بشكل أكثر وضوحاً، يلجأ إلى استعارة التّجارب الواضحة ليسقطها على غير الواضحة.

ينظر:

- جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الثّانية، 2009.

- جروج لايكوف، النّظريّة المعاصرة للاستعارة.

(4) الأزهر الزّناد، نظريات لسانيّة عرفنيّة، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م، ص ص 143، 171.

(5) ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها.

(6) جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 45.

(7) المرجع نفسه، ص 45.

(8) ينظر الأزهر الزّناد، نظريات لسانيّة عرفنيّة، ص 169.

(9) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة عماد عبد اللطيف وخالدّ توفيق، المركز القومي للترجمة القاهرة، ط 1، 2013. ص 215

(10) لايكوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 48.

(11) المرجع نفسه، ص 48.

(12) المرجع نفسه، ص 48.

(13) المرجع نفسه، ص 54.

(14) المرجع نفسه، ص 45.

- (15) ويطلق عليها عبد العزيز لحويديق اسم الاستعارات الوجودية. ينظر: عبد العزيز لحويديق، نظرية الاستعارة في البلاغة الغربية (من أرسطو إلى لايفوف ومارك)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 2015، ص 269.
- (16) لايفوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 81.
- (17) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، ص 170-171.
- (18) محمد الصالح البوعمراني، استعارة القوة في أدب جبران خليل جبران (مقاربة عرفانية)، مطبعة قوبعة صفاقص، تونس، الطبعة الأولى، 2016، ص 43.
- (19) جورج لايفوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 21.
- (20) عبد العالي العامري، التصور الاستعاري لبنية المسار في اللغة العربية، ص 128.
- (21) محمد الصالح البوعمراني، استعارة القوة في أدب جبران خليل جبران (مقاربة عرفانية)، ص 52.
- (22) ينظر إلينا سيمينو، الاستعارة والخطاب، ص 108.
- (23) Zoltán Kövecses: Metaphor, a Practical Introduction, Oxford University Press, Second Edition, 2010, p 325.
- (24) عز الدين جلاوي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، دار الروائع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2011، ص 250.
- (25) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 473.
- (26) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 234.
- (27) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 68.
- (28) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 38. نقلا عن: Mosolff 2004.
- (29) سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، الدار البيضاء المغرب، 2005، ص 136.
- (30) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 98.
- (31) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 469-470.

(32) يرى ت. س. إليوت أن «الكمويديا الإلهية استعارة واحدة كبيرة» ينظر: آيفور أرمسترونغ ريتشاردز فلسفة البلاغة، ص 129. أما غواتلي Goatly فيرى نقلا عن Elam 1980 أن «الروايات ... هي استعارات موسعة تمثل عالما ممكنا، وليس حرفيا»، ينظر:

- Andrew Goatly, The Language of Metaphors, Routledge, London and New York, 2005, p 108.

ويرى حميد لحداني أن القصة «هي عبارة عن استعارة تمثيلية كبرى»، ينظر: حميد لحداني: أسلوبية الرواية (مدخل نظري)، دراسات سال، ط1، 1989، ص 61-62، ويرى أيضا أن «مفهوم الاستعارة التمثيلية هو أنسب المباحث البلاغية الملائمة، إذا تم تطويرها، للدلالة على الطبيعة الأسلوبية للرواية»، ينظر: حميد لحداني، أدبية السرد بين بلاغة الصورة والمنظور الأسلوبي، مجلة بلاغات، ص 31. أما محمد العمري فيرى أن الرواية «استعارة موسعة، تقول: يبدو كما لو»؛ ينظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 2012، ص 156، وأما سعيد الحنصالي فيرى النص «استعارة كبرى لها قاعدة سياقية هي المعاني»؛ ينظر سعيد الحنصالي الاستعارات والشعر العربي الحديث، ص 15-16.

(33) الترسيم العابر للمجالات "Cross-domain mapping": هو مجموعة من التناظرات التصورية «نُفِّهْمُ conceptualize بها مجالا ذهنيا ما وفقا لمجال آخر»؛ أي هو "الاستعارة في مستواها التصوري"؛ وهو مرحلة تسبق التحقق اللغوي، ينظر: جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، ص 6.

(34) ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، و ينظر أيضا: إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، و ينظر: أيضا جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة: عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2005.

(35) جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، ص 90.

(36) «من الممكن لجزئين مختلفين من جملة ما أن يفيدا من ترسيمين استعاريين [استعارتين تصوريين] متميزين في آن واحد»، ينظر: جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، ص 37.

(37) تراتبيات الميراث (inheritance hierarchy) أو سلمية الإرث كما يترجمها الأزهر الزناد: هو مبدأ يتحكم في تنظيم الترسيمات الاستعارية، ينظر: جورج لايكوف، النظرية المعاصرة للاستعارة ص 50-51، و ينظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفية، ص 149.

(38) ينظر: جورج لايفوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 111.

(39) لايفوف النظرية المعاصرة للاستعارة، ص 50.

(40) المرجع نفسه، ص 51.

(41) التفصيل elaboration: هو إضافة تفاصيل لعنصر موجود بالفعل في الأصل المنقول منه ولكن بطريقة غير مألوفة، وهو واحد من أربعة آليات اقترحها لايفوف وتبرنر رأيا أنها الفارق بين الاستعمال العادي والاستعمال المبتكر للتعبيرات الاستعارية وهي: التمديد Extending، والتفصيل Elaboration والتشكيك Quistioning، الجمع والتركيب combining أو التوليف كما يترجمه عمر بن دحمان، ينظر إلينا سيمينو: الاستعارة في الخطاب، ص 107، 110، 111. وينظر: عمر بن دحمان الاستعارة والخطاب الأدبي (مقاربة معرفية معاصرة)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، إشراف: أ.د. بوجمعة شتوان، جامعة مولود معمري، 03/07/2012، ص 138. وينظر أيضا:

- Zoltán Kövecses: Metaphor; a Practical Introduction, P 53, 54, 55.

(42) الاستعارات الأولية (primary metaphors) حسب إلينا سيمينو: هي استعارات «متأصلة في الروابط النسقية بين خبرتنا المحسوسة والمادية من ناحية (مثل الوصول إلى محطة) وخبرتنا المعنوية والذاتية (مثل تحقيق هدف)»؛ وبربط الخبرتين عن طريق ما يسمى بالربط المفاهيمي (التصوري) "conceptual mapping" نحصل على الاستعارة الأولية (الأهداف هي محطات وصول)، هذه التناظرات الأساسية، أطلق عليها "استعارات أولية"، وسميت كذلك لأنها تدخل في بنية استعارات أكثر تعقيدا (metaphor complex)، مثل استعارة "الحياة رحلة" التي «زعم أنها مشتقة ... من - ارتباطات خبرائية أساسية بين أداء الأفعال والحركة، والوصول لمحطات الوصول وتحقيق الأهداف، وهلم جرا»؛ ينظر: إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 32.

ويرى كوفيكسز في كتابه "METAPHOR a pratical introduction" (الاستعارة "مدخل تطبيقي") - والنص من ترجمتي - أن الاستعارات الأولية «تعين ... أي عناصر المجال المصدر التي يمكن أن تُرسم (mapped) [تُسقط] على المجال الهدف»؛ ينظر:

- Zoltán Kövecses: Opcit, p 103

(43) ينظر: جورج لايفوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 106، 107، 108.

(44) رشيد بنحو، شكلنة المحكي في "رحيل البحر"، مجلة الوحدة، عدد 60، شتبر، 1989، ص 52، نقلا عن:

- une unité discursive restreinte: le titre», in. le français dans le monde. CF, Paris, N.156, P. 31.

(45) ينظر: جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 45.

(46) المرجع نفسه، ص 45.

(47) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 68.

(48) عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغربة (دراسات بنيوية في الأدب العربي)، دار الطليعة للطباعة والنشر الطبعة الثالثة، 1997، ص 10.

(49) العناقيد الاستعارية هي: «استخدام تعبيرات استعارية عديدة متباعدة مأخوذة من مجالات مصدرية مختلفة وقريبة مكانيا»، ينظر: إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 64، نقلا عن:

- Koller 2003; Cameron and Low 2004; Cameron and stelma 2004.

(50) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 65.

(51) عز الدين جلاوي: حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر (رواية)، ص 15.

(52) الاستعارات الموضعية "local metaphors" أو الاستعارات الصغرى "micrometaphors": هي الاستعارات التصويرية التي لها علاقة مباشرة بالتعبير الاستعاري المفرد؛ أي التي تُبْنِىُ التعبير الاستعاري الواحد في موضع محدد من النص، لذلك أطلق عليها كوفكسز (Kövecses) -حسب فهمنا- اسمين الأول باعتبار موقعها في النص (موضعية)، والثاني باعتبار الصقة (صغرى). ينظر:

- Zoltán Kövecses: Metaphor; a Practical Introduction, P 325.

(53) يرى "يوبانكس" أن العبارة الاستعارية، يمكن أن تكون محملة بشحنة بلاغية عالية أو منخفضة، ويتحكم في درجة شحنها البلاغي الموضوع المعالج والسياق الاتصالي الذي تستعمل فيه. ينظر: إلينا سيمينو الاستعارة في الخطاب، ص 239. نقلا عن:

- Eubanks 2000: 28.

(54) الإمكانيات السردية: هي مقولة سردية تمكننا، انطلاقا من وضعية بدئية، تصور (توقع) سلسلة من التطورات الممكنة»، ينظر: سعيد بنكراد، سيمولوجية الشخصيات السردية (رواية "الراع والعاصفة" لمنا مينة نموذجاً)، دار مجدلاوي، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2003، ص 41.

استعملت هذه المقولة في نظرية الاستعارة المعرفية مع مفهوم السيناريو الاستعاري بوصفه تمثيلاً ذهنياً مفتوحة النهاية توفر عناصره إمكانيات لتوقع الأحداث. ينظر: إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 470.

(55) إلينا سيمينو: الاستعارة في الخطاب، ص 469.

(56) الرواية، ص 15.

(57) جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 70.

(58) الرواية، ص 15.

(59) ينظر: جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص 129.

(60) ينظر: المرجع نفسه، ص 124.

(61) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 470.

(62) يرى لاكوف أن «دراسة الاستعارة الأدبية هي امتداد لدراسة الاستعارة اليومية everyday

metaphor ذلك أن الاستعارة اليومية مميزة بنسق هائل من آلاف الترسيمات العابرة للمجالات،

وتتم الاستفادة من هذا النسق في الاستعارة الجديدة»، ينظر: جورج لاكوف، النظرية المعاصرة

للاستعارة، ص 6.

(63) إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ص 108.

(64) الرواية، ص 15.

(65) إلينا سيمينو: الاستعارة في الخطاب، ص 228.

(66) التحديد الاستعاري: هو آلية قائمة على طرح مجموعة من الأسئلة تقدم الإجابة عنها سيناريو

استعاريًا متكاملًا للمظهر المراد فهمه؛ أي أنه يضبط، استناداً إلى الموضوع والموقف الاتصالي، حدود

السيناريو الملائم للمجال/ السيناريو الهدف. ينظر: جورج لاكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي

تقتل، ص 25.

(67) السيناريو الافتتاحي: أضفت النعت "افتتاحي" لكلمة السيناريو، لارتباطه بالمقطع السردى الافتتاحي.

مراجع البحث:

1. الأثر الزناد، نظريات لسانية عرفية، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، الدار العربية

للعلوم ناشرون بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، الطبعة الأولى،

1431هـ-2010م.

2. إلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، ترجمة عماد عبد اللطيف وخالد توفيق، المركز القومي للترجمة القاهرة، ط 1، 2013.
3. آيفور أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة ترجمة: سعيد الغانمي، د. ناصر حلاوي، أفريقيا الشرق بيروت، لبنان، 2002.
4. جورج لايفوف ومارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، 2009.
5. جورج لايفوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة: عبد المجيد جحفة، وعبد الإله سليم دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2005.
6. جورج لايفوف، النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة: طارق النعمان، مجلة إبداع (مجلة فصلية للأدب والفن)، العدد 13، 14، شتاء، 2010، نشرت هذه الدراسة ضمن الطبعة الثانية، وليس الأولى، من كتاب "الاستعارة والفكر، تحرير أندرو أرتوني الصادر عام 1993.
7. حميد لحداني: أسلوبية الرواية (مدخل نظري)، ص 61-62، دراسات سال، ط1، 1989.
8. حميد لحداني، أدبية السرد بين بلاغة الصورة والمنظور الأسلوبي، مجلة بلاغات.
9. رشيد بنحدو، شكلنة المحكي في "رحيل البحر"، مجلة الوحدة، عدد 60، شتبر، 1989.
10. سعيد الحنصالي، الاستعارات والشعر العربي الحديث، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
11. سعيد بنكراد، سيمولوجية الشخصيات السردية (رواية "الرّاع والعاصفة" لمنا مينة نموذجاً)، دار مجدلاوي، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2003.
12. عبد العالي العامري، التصور الاستعاري لبنية المسار في اللغة العربية، مجلة اللسانيات العربية مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الرياض، العدد 3، مارس 2016.
13. عبد العزيز لحويديق، نظرية الاستعارة في البلاغة الغربية (من أرسطو إلى لايفوف ومارك)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2015.
14. عبد الفتاح كيليطو، الأدب والغربة (دراسات بنيوية في الأدب العربي)، دار الطليعة للطباعة والنشر الطبعة الثالثة، 1997.

15. عز الدين جلاوي، حوبة ورحلة البحث عن المهدي المنتظر، دار الروائع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2011.

16. محمد الصالح البوعمراني، استعارة القوة في أدب جبران خليل جبران (مقاربة عرفانية)، مطبعة قوبعة صفاقص، تونس، الطبعة الأولى، 2016.

17. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 2012.

18. عمر بن دحمان، الاستعارة والخطاب الأدبي (مقاربة معرفية معاصرة)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه إشراف: أ.د. بوجمعة شتوان، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري، 2012/07/03.

19. Andrew Goatly, The Language of Metaphors, Routledge, London and New York, 2005.

20. Zoltán Kövecses: Metaphor, a Practical Introduction, Oxford University Press, Second Edition, 2010.

الاستعارة التَصَوُّريَّة وآليات اشتغالها

عرفنيًا (نماذج خطابية مختارة)

د. أسماء حماديّة
جامعة 8 ماي 1945 / قالمة

تمهيد:

تعدّ العلوم المعرفيّة أخصب الدّراسات المعاصرة؛ لاهتمامها بآليات اشتغال الدّهن البشري وهي بذلك قوام اختصاصات كبرى تعنى بنتائج المعرفة الإنسانيّة، وللّغة حظوتها المعلومة منها بناء على وشائج الوصل بين الدّماغ والنّشاط اللّغوي إنتاجا وتداولًا، وهذا أصلاً ما يشتغل عليه أحد نواتجها المسمّى باللّسانيّات العرفانيّة، التي استطاعت - خلال عمر قصير نسبياً - أن تحظى بسعة تداوليّة بفعل الجهود البحثيّة المنتشرة في رحاب الفكر اللّساني المتجدّد؛ لتفسير ميكانيزمات عمل السيّورات اللّغويّة في العقل البشري، وقد استلزم هذا عدّة مصطلحيّة ومفهميّة، وخارطة منهجيّة فانفتحت بذلك لسانياً على مناويل عرفانيّة متعدّدة من قبيل: الخطاطة والإطار والطّراز والاستعارة... وقد مكّنت تلك الأخيرة (الاستعارة) من تجاوز المرأى اللّغوي الضيّق الذي يحصرها في الزينة الكلاميّة، بغضّ النّظر عمّا يحصل في بنياتنا التّصوريّة من تفاعلات ذهنيّة تستدعي هذا المستعار دون ذاك.

ولهذا، توسم الاستعارة في المنظور العرفاني بالتّصوريّة كونها جزء لا يستغنى عنه من الفكر، إنّها بهذا المعنى آليّة ذهنيّة تتمظهر عبر الممارسة اللّغويّة لتصف مجمل ما تختزنه الذاكرة الجماعيّة؛ بوصفها المحضن الذي تنشأ في كنفه، ولا

سبيل إلى استيعابها في معزل عنها، وبهذا يصبح فهم الاستعارة التّصوريّة في مختلف الخطابات منوطاً بمعرفة النّظم الفكرية والعقدية والعرفية والقيميّة التي تحكم نسق تفكيرنا وتؤسّس لضروب سلوكنا اليومي...

أولاً- الاستعارة التّصوريّة (الماهية والأهميّة):

1 / الاستعارة بين القديم والحديث:

تعدّ الاستعارة واحدة من أهمّ الموضوعات البيانيّة التي قطعت أشواطاً كبرى من العناية والتّظهير عربياً، ولكنّها لم تخرج عن كونها " تسميّة الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه"⁽¹⁾، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت 474 هـ): "واعلم أنّ الاستعارة في الجملة يكون للفظ أصل في الوضع اللّغوي معروف تدلّ الشّواهد على أنّه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعاريّة."⁽²⁾

ونقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره لغرض، وذلك إمّا يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه أو تأكّيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ"⁽³⁾، ورهانها "تقريب الشّبه ومناسبة المستعار للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبيّن أن إحداها إعراض عن الآخر."⁽⁴⁾

ما يلفت الانتباه في الدّرس البلاغي العربي القديم إلحاح علمائنا على ضرورة مراعاة الأعراف عند إنتاج الاستعارة، وهذا يعني أن قبولها مرتّين بمدى انسجامها مع ممارساتنا النّقائيّة، فاستقامة المعنى واكتمال التّواصل مرتبطان بحجم اشتراك النّاس في المفاهيم؛ لأنّه في غياب قاعدة الفهم والإفهام يبطل المعنى وتقع الصّدمة النّقائيّة.

يقول القاضي الجرجاني مبيناً دور النّقافة في خلق الاستعارة وفهمها: "وقد يكون في هذا الباب ما تتّسع له أمّة، وتضيّق عنه أخرى، ويسبق إليه قوم دون

قوم، لعادة أو عهد، أو مشاهدة أو مراس، كتشبيه العرب الفتاة الحسناء بتريكة النعام، ولعل في الأمم من لم يرها، وحمرة الخدود بالورد والتفاح وكثير من الأعراب لم يعرفها وكأوصاف الفلاة وفي الناس من لم يصحر، وسير الإبل وكثير منهم لم يركب.⁽⁵⁾

كما نبّه البلاغيون إلى حتمية مراعاة الحدّ في بنائها، فلا يجب على منشئها التكلّف فيها والإتيان بها في غير موضعها لإمكانية إغراقها في المبالغة فتذهب بوجه حسننها المرغوب، يقول الجرجاني: " وليس من حقّك أن تتكلّف هذا في كلّ موضع فإنّه ربّما خرج بك إلى ما يضرّ المعنى وينبو عنه طبع الشعر وقد يتعاطاه من يخالطه شيء من طباع التعمق فتجد ما يفسد أكثر ممّا يصلح."⁽⁶⁾

ولهذا، فكلّ خروج عن الأعراف يُخرج المعنى إلى المحال، ومتى حدث ذلك فقدت الاستعارة جمالها؛ لأنّه موصول لزاما بمدى وضوحها، وهذا ما انتهى إليه توفيق حمدي في دراسته لمواقف البلاغيين والنقاد العرب من الاستعارة، يقول: " فالحسنة (الاستعارة) هي التي قامت على التشبيه فجاءت سهلة المأخذ، بان طرفاها وتجلّت الصلّات بينها، تطفو دلالتّها على سطحها ولا يحتاج من يتأملها إلى إجهاد فكره (...) وجمال الاستعارة في وضوح معناها، ذاك ما أجمع عليه النقاد وإن خرج عنهم عبد القاهر الجرجاني في بعض نصوصه."⁽⁷⁾

إنّ، لقد كانت الاستعارة في تصوّر بلاغيّنا ونقادنا " مبنية على التناسب بين وجهها الحاضر سياقيا وقفاها الغائب جدوليا، تشريعا لإمكانية الفهم وتأكيذا لقانون الإبانة، فهي ليست مرمى الفعل الإبداعي ولا مطلب القراءة، وإنّما تكتفي بوظيفة الأداة التي تسهم في الوصف وتنقل الواقع."⁽⁸⁾

ولا مريّة في أنّ ذلك التّناسب الجبري يقع بفعل المرجع التّقافي الذي تبنى على أساسه الاستعارة؛ لأنّ جهل السّامع بالمقصود من المستعار منه وقد غاب المستعار له يكسب الاستعارة تعميّة وتلبيسا، ولهذا ترى نقادنا حين يستشعرون نفورها من أصلها يستهجنونها بدعوى أنّ هذا ليس على طريقة العرب ولا مذاهبهم.

ولذا، لكي نفهم الاستعارة وجب انسجام ممارساتنا اللّغويّة مع ثقافتنا، فالفهم يأنس من الكلام بالمعروف، ويسكن إلى المألوف، وهذا عين ما تشدّد عليه النّظريّة العرفانيّة اليوم، وهي لا تنظر إلى التّقافة كعامل رئيس في إنتاج الاستعارة بقدر ما تدعو إلى مكاشفة التّقافة عبر موصوف الاستعارة؛ لأنها" هي ما تقوم به التّقافة كونها آليّة في التّفكير، تبرزها ضروب الخطاب المختلفة في شتّى علاماتها السّيميائيّة، فهي حاضرة في كلّ تجلّيات التّقافة ورموزها، وإن كانت اللّغة هي المنظومة الرّمزيّة الأهمّ التي تحضر من خلالها، إنها تتجلّى في كلّ تعبيراتنا التّقافيّة من عادات وتقاليد ودين وطقوس وأسطورة وفنّ وأدب..."⁽⁹⁾

ويكشف الدّرس البلاغي الغربي القديم ذات النّظرة اللّغويّة المحدودة للاستعارة فالنّظريّة الاستبداليّة الأرسطيّة تراها مجرد انحراف عن الأنماط العاديّة في الاستعمال اللّغوي، فـ"عندما نسمّي شيئا باسم آخر فإنّنا ننفي منه خاصيّة من الخاصيّات التي تميّزه وننسب له خاصيّة جديدة"⁽¹⁰⁾. وقد قصر طرف هذه النّظريّة في مرأى الباحثين لاحقا، فظهرت على غرارها النّظريّة التّفاعليّة التي لا تعتبر الاستعارة مسألة لغويّة فحسب، بل هي نتاج تفاعل عوامل ذهنيّة واجتماعيّة وثقافيّة أيضا؛ لأنّ المعنى - وفقا لها- يتشكّل وفق مستويين، أولهما يتمثّل في علاقة تفاعل الفرد مع محيطه الخارجي، وعن طريق التّفاعل الدّلالي يتحقّق ثانيهما.

والقمين ذكرا، أنّ هذه النظريّة قد وجدت في علمي النفس: العرفاني والجشطلتي متّكأها الأكبر، وقد أصل لها أب البلاغة الجديدة ريتشاردز (I.A Richards) في كتابه (فلسفة البلاغة)/ 1936 ، حيث عمل على إلغاء الفكرة القائلة بأنّ الاستعارة شيء خاص واستثنائي في الاستعمال اللّغوي؛ باعتبارها عدولا عن العادة اللّغويّة، بدلا من كونها المبدأ الدائم الحضور في نشاط اللّغة الحرّ.⁽¹¹⁾

هو إذا يعتبر الاستعارة مسألة طبيعيّة في المقام اللّغوي والتّفكير البشري القائم على شرط البرهان بواسطة الملاحظة المجردة؛ إذ لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل متتاليّة في أيّ حديث دون اللجوء إلى الاستعارة، فهي ظاهرة لا تخلو منها خطاباتنا ولا يمكننا الاستغناء عنها، وهذا الأمر يجعلها الملكة التي نحيا ونتواصل به، وقد وصف طرفي الاستعارة بالحامل والمحمول مؤكّدا على أمرين مهمّين هما⁽¹²⁾:

- معنى الاستعارة هو حاصل تفاعل طرفيها.

- لا ينبغي اعتبار الحامل مجرد زخرف للمحمول، بل تفاعلها يولّد معنى ذا قوى متعدّدة لا يمكن نسبته إلى أيّ منهما منفصلين.

اعتبارا لهذا، ناصر النظريّة التفاعليّة كثير من الباحثين مع اجتهاد واضح يميّز أعمالهم من بعضها بعضا، فنجد مثلا ماكس بلاك (Max Black) يسمّي المستعار له بالكلمة البوّرة، ويسمي المستعار منه بالكلمة الإطار، مؤكّدا أنّ تفاعلها يلزم حصول الفقد والإضافة في كليهما، فعندما نقول مثلا: "زيد أسد، فإنّ الأسد هنا سيفقد بعضا من خصائصه الحيوانيّة ليكتسب سمات إنسانيّة، وهذا هو شأن زيد الذي سيفقد هو الآخر بعضا من سماته الإنسانيّة ليكتسب سمات حيوانيّة"⁽¹³⁾.

وبهذا، فإن "تجاح الاستعارة هنا مرهون ببقاء القارئ واعيا ومدركا لامتداد الكلمة وتوسيعها، لأنه مرغم على رد الاعتبار للدالتين القديمتين والجديدة في الوقت نفسه؛ لأن سر الاستعارة يكمن في الربط بين هاتين الدالتين.

كما نجد أيضا بول ريكور (Paul Ricoeur) يدعم النظرية التفاعلية ويعتبرها "النموذج الأمثل الذي يجعل الاستعارة عملية ابتكار دلالي تقدّم دائما معلومات وأفكار تحمل دلالات جديدة"⁽¹⁴⁾. ومن إضافاته البحثية هنا تأكيده وجوب الحديث عن قول استعاري كامل لا استعمال استعاري لكلمة معينة؛ لأن الاستعارة ظاهرة إسناد لا تسمية ما دامت لا تحظى بالمغزى إلا في القول، وهي حاصل التوتر بين التؤولين المتعارضين فيه، فعندما نقول مثلا: "غطاء الأحزان" فإننا حينها نكون حيال كلمتين تجمعهما علاقة توتر، فتكون عملية الجمع بينهما هي ما يشكل الاستعارة. هذا يعني أنها في منظوره لا تقوم بعملها على مبدأ المشابهة، وإنما هو كامن جرّاء اجتماع فكرتين متناقضتين، فالأحزان هناك (في المثال) ليست غطاء؛ لأنه حقيقة كساء مصنوع من قماش ما، وعليه فالاستعارة ليست موجودة في ذاتها بل تتواجد من خلال تأويلها⁽¹⁵⁾.

ومن التّصورات الكبرى التي أغنت النظرية التفاعلية ما قدّمه جورج لاکوف (George Lakoff) ومارك جونسون (Mark Johnson) من خلال مؤلفهما المشترك "الاستعارات التي نحيا بها" الذي حقّقا به قفزة نوعية على مستوى العلوم اللسانية العرفانية وجوهر هذه النقطة إصلاح الطّرح الموضوعي الذي ينظر إلى أنّ الذّهن البشري محايّد عن الجسد.

كما واجها ما رُميت به الاستعارة من تهم الاحتقار والازدراء من قبل عديد الباحثين * مؤكّدان أنّنا نحيا بها ولا يمكن الاستغناء عنها؛ كونها جزءا لا يتجزأ

من نسقنا الفكري، وهي حاضرة بقوة في جميع مدركاتنا وسلوكياتنا اليومية بصفة تلقائية دون تصنع أو تكلف.

ومما يحسب لـLakoff تجاوزه المعطى الإيجابي للاستعارة -التمثّل في تقديمها فهما آخر لتجربتنا ومعنى جديداً لماضيها ولنشاطنا اليومي ولما نعرفه ونعتقد- إلى المعطى السلبي الذي يرصد وجهها الآخر القاتل.

نعم، إنّ "الاستعارة قد تقتل، وذلك حينما يلجأ إليها وتستهمل بناء استدلالياً لتبرير الحرب وتسويغ الهجوم على البشر، إنّها تقتل حين تخفي وجه الحرب البشع، عندما تعبت بمصائر الناس".⁽¹⁶⁾ ويبدو هذا مفصلاً في كتابه "حرب الخليج والاستعارات التي تقتل"، وقد جاء فيه: "إنّ النصوص السياسية الاستعارية هدفها قلب الحقائق وتزييف الوعي وما إلى ذلك من جعل الاستعارة قاتلة بدم بارد، إنّها تقتل تحت رداء التعابير الاستعارية التي تحوّل الدمار إلى بناء، وكذا القتل إلى تحرير".

تلك النظرة العجلى في الاستعارة بين المرأين القديم والحديث يخلص بنا إلى أنّ النظرة المتأخّرة أكثر اتّساعاً، ومفادها أنّ الاستعارة ليست مظهراً لغويّاً مزخرفاً، بل هي بنية تصوّريّة ضمن نسقنا الفكري، نحيا بها سواء بوعي منا أو من غير وعي وتصف لزاماً ما زان وما شأن من تصوّراتنا، بل باستطاعتها أن تتحوّل إلى أداة تحكم لتغيير خارطة العالم.

2 / التّصوّر العرفاني للاستعارة:

استطاع العرفانيون من علماء الدلالة تحويل الدّرس اللّساني للاستعارة من وضعيّة هامشيّة ثانويّة إلى وضعيّة مركزيّة في النّظريّة الدّلاليّة، وتحويل الاستعارة من مجرد عنصر عرضيّ وهامشيّ في فهم الخطاب وتحليله إلى عنصر مركزيّ. ولعلّ أهمّ ما ميّز التّصوّر العرفاني للاستعارة وجعله مختلفاً عن التّصوّرات قبله

من أرسطو إلى التّداوليين هو طبيعة الاستعارة، "فهي ما قبل العرفانيين ظاهرة لغويّة وهي عند العرفانيين ظاهرة تصوّريّة وما اللّغة إلّا أحد وجوه تجلّيها".⁽¹⁷⁾

وفي إطار هذا التّصوّر يمكن الحديث عن نظريتين أساسيتين هما⁽¹⁸⁾: نظريّة الإسقاط أو النّظريّة التّصوّريّة للاستعارة (Conceptual Metphor Theory) ونظريّة المزج المفهومي أو التّصوري (Conceptual Integration Theory).

أ/ نظريّة الإسقاط (النّظريّة التّصوّريّة للاستعارة): ويعتبر لاكوف وجونسون أهمّ من أسّس لها، حيث يعتبران الاستعارة آليّة عرفانيّة، فهي ليست شيئا مضافا إلى الفكر بل هي الفكر نفسه الذي يشتغل في جانب كبير منه على الخيال، وتقوم في نظرهما على فهم ميدان تصوّري ما وليكن الميدان أ عن طريق ميدان تصوّري آخر وليكن الميدان ب، يسمّى أولهما الميدان الهدف (Target domain) وثانيهما الميدان المصدر (Source domain)، فعندما نقول مثلا: الحياة رحلة، تقوم هذه الاستعارة على فهم ميدان الحياة عن طريق ميدان الرّحلة من خلال إسقاط خاصيّاتها عليها، فالحياة كالرّحلة لها بداية هي ساعة الميلاد، ولها نهاية هي ساعة الموت، وهناك مسار يسلكه المرتحل، وفي هذا المسار عوائق ومطبات ومنعرجات واستراحات وغيرها⁽¹⁹⁾.

ولكن هذا لا يعني إسقاط جميع خاصيّات ميدان المصدر على الميدان الهدف بل هو إسقاط تبئيري، يقع فيه انتقاء خاصيّات دون أخرى، فمثلا عندما نستعير الأسد للرجل فإننا لا نسقط من خاصيّاته إلّا ما أفرزته الرّؤى النّقافيّة، كالشّجاعة والإقدام والقوّة والمهابة... ونحن بذلك قد نفينا عن الرّجل سمات الأسد الأخرى كعبالته ورائحة فمه وغيرها... هذا يعني أنّ هذا الإسقاط تتحكّم فيه النّقافة، فهي التي تحدّد فهمنا للاستعارة وفهمنا للعالم.

ويشير العرفانيون هنا أننا عادة ما نفهم الميادين الأكثر تجريدا عن طريق الميادين الأكثر حسية كحال المثال الأنف الذكر، وهذا يعود إلى مركزية الجسد في تفكيرنا وإدراكنا لما يحيط بنا⁽²⁰⁾.

ب/ نظرية المزج المفهومي / التصوري: يعدّ فوكونيي (Fauconnier) وتيرنر (Turner) مؤسسا هذه النظرية، وهي تفسّر آليات اشتغال الذهن البشري فنظام تفكيرنا قائم على بناء الأفضية الذهنية والربط بينها، وهي آلية عرفانية تحكم تفكير الإنسان وتميّزه، فالتفكير ذاته هو دمج بين فضاءات ذهنية مختلفة، ونحن في شتى ضروب تفكيرنا حتى البسيطة منها نقوم بالدمج بين الفضاءات الذهنية. هذه الأخيرة كما يصفها فوكونيي (Fauconnier) هي الخانات التصورية الصغرى التي من خلالها نستطيع أن نفكر ونتكلم⁽²¹⁾.

والمزج هو الدمج بين الفضاءين الدّخلين عن طريق إسقاط انتقائي للعناصر الموجودة فيهما، فينتج الفضاء المزجي وهو فضاء خيالي، فنحن نفكر بالخيال. وعملية المزج هذه قد تقع بين فضاءات تنتمي إلى نفس الإطار * * وقد تجمع بين فضاءات مختلفة الأطر⁽²²⁾.

إنّ هذا المزج التصوري آلية عرفانية سارية في جميع ضروب تفكيرنا وعينا ذلك أو لم نع، فكلّ الناس يستعملونها حتى الأطفال منهم؛ لأنها ما به نفكر بل هي التفكير نفسه إنّها تحكم أبسط أنشطتنا وأشدّها سذاجة، كما تحكم أعلى إنتاجاتنا المعرفية، إنّها بهذا المعنى ليست شيئا مضافا إلى الفكر بل هي الفكر نفسه في آلية اشتغاله.

ما تجدر الإشارة إليه هنا أنّه رغم انفراد هاتين النظريتين بجهازهما الاصطلاحي المختلف إلاّ أنّه هناك من الباحثين من اعتبرهما متكاملين، إذ غيّرت نظرية الدمج الميدان الهدف والميدان المصدر بالفضاءات الدّخل أو الفضاءات

الذهنية، فالفضاء ليس هو الميدان ولكنه يتوقف عليه، لأنّ الفضاءات تقدّم سيناريوهات مخصوصة مبنية عن طريق ميادين معطاءة.

ونظرية الاستعارة التّصوريّة تقوم على فهم المعنى الاستعاري باعتباره ذا طبيعة تصوّريّة يقوم على فهم أ عن طريق ب، فالميدان الهدف والميدان المصدر مختلفان، بينما في نظرية الدّمج المفهومي هناك تمشّ داخليّ في شبكة من الفضاءات الذهنيّة تنتج دمجا أو انصهارا بين العناصر المكوّنة للفضاءات الدّخل⁽²³⁾.

يبدو لنا أنّه على الرّغم من راحة النّقد الذي صبغ هذا المنظور يظلّ الاحتفاظ بالتّقسيم التّطيري السّابق أقرب إلى استدراك آليات اشتغال الاستعارة التّصوريّة عرفانيا وهذا ما سنحاول بيانه في الصّفحات الآتية انطلاقا من نماذج خطّابية متنوّعة.

ثانيا: التّمظهر العرفاني للاستعارة المفهوميّة:

سبقت الإشارة إلى أنّ الاستعارة حاضرة في كلّ أشكال الثقافة؛ بل هي ما تقوم به الثقافة؛ لأنّها آليّة في التّفكير.

ولهذا، يصرّ العرفانيّون على وجوب خضوع الاستعارة للجانب التّواضعي، بل هي تقاس بحسب درجة تواضعيّتها، والمقصود بها درجة ارتباطها بحياتنا اليوميّة المعيشة ودرجة استعمالها من قبل النّاس في حياتهم اليوميّة. وبهذا، يختلف مفهوم التّواضعيّة عند العرفانيين عن مفهومه عند اللّسانيين الذين يجعلونه سببا في اعتباطيّة العلاقة بين حدّي العلامة اللّغويّة.

إذن، بحكم مبدأ التّواضع هذا هناك مالا يحصى من الاستعارات التي يستعملها المتكلّمون دون وعي بطبيعتها الاستعاريّة، والحديث عن هذه الاستعارات المشتركة بين أفراد الثقافة الواحدة لا ينفى وجود استعارات تصوّريّة غير تواضعيّة؛ أي جديدة وغير مشتركة بين أفراد هذه الثقافة، وعادة ما يضطلع بهذه المهمّة الأدباء

والشعراء خاصة، وقد تتحول هذه الاستعارات الجديدة إلى استعارات مألوفة في الاستعمال الأدبي بل قد تخترق تصورات الناس وتصبح من المتداول المألوف الجاري على سنتهم.

ولكنّ هذا لا يعني أنّ المستحدث الاستعاري حبيس الخلق الفنّي فقد يبتدعه أحد العامة ثمّ يأخذ مساره اللغوي الطّبيعي بين أفراد الجماعة الصّغرى فالكبرى، وقد يأخذ منحى عالمياً، تماماً كما حدث مع شعار "يتنحاو قاع" الذي تغنّى به الحراك الشّعبي الجزائري، إذ ما فتئ أن قفز قفزة عالميّة بعد أن أخذ حظوته الجماعيّة، وهو في أصله نتاج فرد واحد عبّر بعفويّة عمّا استقرّ في ذهنه من تصورات الإصلاح والخروج من الأزمة، يقول الأزهر الزّناد: "قالفردي ما أخذ من زاويّة شخص معيّن في المسيرة يقودها بشعار يردّه ويهتف به المشاركون معه، وهذا نفسه ما يجعل الشّعار جماعيّاً، ويكون عالمياً بالضرّورة من زاويّة حضور المشاهدين المفترضين عبر وسائل الإعلام ووسائطه المختلفة".⁽²⁴⁾

تجدر الإشارة إلى أنّه رغم تجلّي الاستعارة في كلّ تعبيراتنا النّقافيّة من عادات وتقاليد وطقوس وحركات وإشارات...سواء عن وعي بحضورها أو دون وعي، تظلّ اللّغة المنظومة الرّمزيّة الأهمّ التي تبرز من خلالها، وما دما نشغل هنا على الاستعارة المفهوميّة من زاويّة لسانیّة عرفنيّة ارتأينا اختيار نماذج خطابیّة لسانیّة تتنوّع بين معيارية ووصفيّة، ونقصد بأولهما جملة الخطابات المحكومة بنسق اللّغة المعياري؛ أي ما يستوجبه نظام اللّغة النّموجيّة من لوازم الإبلّاغ والإقناع لفظاً وتركيباً، أمّا الثّانيّة فتشمل تلك الملفوظات الإبلّagiّة الواصفة لما تتلاغاها الجماعة اللّغويّة بعيداً عن لوازم الجبري؛ أي ما يصف ما هو كائن لا كما يجب أن يكون.

وقد انتقينا ممّا يتنزّل في المقام الأوّل الخطاب القرآني والنبوي والشّعري، واكتفينا ببعض خطابات الحراك الشعبي الجزائري ذات المغزى السياسي في النماذج الواصفة سواء ممّا تلفظه الهاتقون أو ندّدوا به عبر شعاراتهم التي استلهمت في جزء كبير منها من فيض الذاكرة الشعبية.

أ/ الاستعارة التّصوريّة في الخطاب القرآني: يقع الاتفاق الجمعي بين جمهور البلاغيين على أنّ القرآن الكريم قد كملّ بياناً واغتنى مجازاً على نحو لم يألفه العرب في آدابهم، وتعدّ الاستعارة بأنواعها باباً خاصّاً فيه، لا يزال يجذب أنظار الباحثين لحظوتها إمتاعاً وإقناعاً، وقد أضفت عليها النظريّة اللسانية العرفانيّة صبغة جديدة في التّعامل اللّغوي/ الدّلالي في ضوء نظريتي الإسقاط والمزج، كما نشأ مفهوم الإطار ليعبر عن المعنى، يقول محمد الصّالح البوعمراني: "فإذا كان المعنى يعرف في المقاربات الكلاسيكيّة بالخصائص الضّروريّة والكافية فإنّه بالنسبة للعرفانيين التجريبيين يعرف عن طريق الأطر".⁽²⁵⁾ ويقع استحضارها عن طريق الذاكرة وفق معانٍ مخصوصة للكلمات، ففي قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ﴾ البقرة آ 245 فالقرض هنا بوصفه إطاراً يستحضر بالضرورة ما يستقرّ في ذهن المتلقي عامّة والمسلم خاصّة من تصوّرات ثقافيّة؛ لأنّ "الأطر تتشكّل في جانب كبير منها عبر التّقافة، فهي ظاهرة ثقافيّة، يمكن أن تختلف من مجتمع إلى آخر أو مجموعة بشريّة إلى أخرى، فنقسم أيّام الأسبوع إلى سبعة أيّام يقع وسمها بالأسبوع ليس ظاهرة طبيعيّة بل هو ظاهرة ثقافيّة، وهذا لا يمنع من وجود شعوب أخرى تقسم الزّمن وفق تصوّر آخر وإن هيمن التّصوّر السّابق وأصبح عالميّاً، فالأطر لا تمثّل فقط ظاهرة عرفانيّة انطلاقاً ممّا هو موجود في الطّبيعة، بل أيضاً من مكونات التّقافة"⁽²⁶⁾.

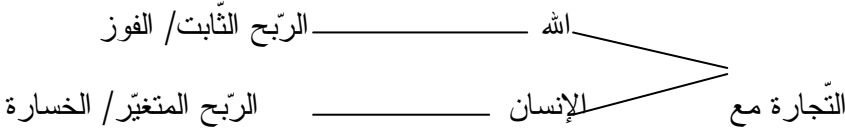
ولهذا، فقد حدّت الآية الكريمة من الإسقاط المطلق للتصورات الثقافية؛ لأنّ القرض كإطار ثقافي فضفاض التّصور بناء على اختلاف الأنظار إليه، وإن اشترك النّاس عموماً في مدلول أنّه فرج آني مشفوع بقهر السّداد، وهو عند الآخر منفعة ضروريّة لامتهان الحياة، ولكنّه إن اقترن بفائدة ترجى أصبح عند المسلم من المرغوب عنه بناء على التّشريع الدّيني.

والله جلّ وعلا هنا يريد أن يستحثّ المسلم على الإنفاق في سبيله، يقول ابن عاشور في تفسير الآية: "والمعنى أنّ مثل المنفق في سبيل الله كمثّل من يقرض الله ومثّل الله في جزائه كمثّل المستلف مع من أحسن قرضه وأحسن في دفعه إليه⁽²⁷⁾. وإن سئل: أليس هذا من باب الرّبا الذي حرّمه فالإجابة: ومثّل هذا العقد مع النّاس محرّم في دين الله الذي اصطفاه لعباده (...) ولكنّه مع الله عمل مبرور وعقد مشكور والله لا يناله شيء ممّا يبذل عباده في سبيله وإنّما يناله النّقوى منهم.

عرفانياً، تقرأ هذه الاستعارة على أساس إسقاط الميدان المصدر على الميدان الهدف، أمّا أولهما فيتمثّل في التّصور الدّهني لدى الفرد/ الجماعة عن القرض، فهو قرض دنيوي لا يجني منه بل لا يتوقّع المقرض ربحاً، أمّا ثانيهما فيميدان تتقلب فيه موازين التّصورات المعهودة والنّمطيّة؛ لأنّه منوط هذه المرّة بالربح، وأيّ ربح؟ إنّهُ المضاعف إلى غير حدّ، بل ويضاف إليه الأجر، وأيّ أجر؟ ذاك الكريم الذي يوحى بامتداد المنح؛ لأنّ القرض هذه المرّة يتجرّد من طابعه الدّنيوي ليأخذ بعداً تصوّرياً آخر، يفوق التّعامل الإنساني درجة ومقاماً.

وفقاً لهذا التّمثّل العرفي تمارس الاستعارة بعدها الحجاجي، فهي قائمة ليستشعر المتلقي حجم الفوارق العمليّة بين عمل الإنسان مع أخيه الإنسان، وبين عمله مع الله فالأول محدود المنفعة أنا، لكن لا تحدّ نفعيّة ثانيهما ولا تعدّ.

ب/ الاستعاري في الخطاب النبوي: غير بعيد عن مجال الاستعارة القرآنية الماضية تشتغل الاستعارة في الحديث النبوي الشريف: " **ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**"، إذ تنثير تصوّرات جمّة تنضوي في إطار التجارة، وهو إطار مبجل عند الناس جميعاً، ويستدعي بالضرورة لوازمها المعلومة وعلى رأسها السلع التي مهما بلغ علّاها مصيرة إلى الهلاك لا محالة، إنّ هذا الميدان المصدر أريد إسقاطه على ميدان هدف تختلف معه وفيه موازين التّصوّرات في اقترانه مع الله، فهذا المجاز ينفي عن كلّ مملوك مادّي الاستواء مع ما عنده، كونه منزّها عمّا يصيب كلّ دنيوي من فناء محقق، بل لا مجال للمقارنة مع ما يرجى منهما، ففي أولّها قد تحظى في ابتياعك وقد تغتمّ، ولكن لا مجال للشكّ في الرّبح الوفير عند المتاجرة مع الله من خلال الالتزام بأوامره وتجنب نواهيه؛ فالفوز بالجنة لا ريب فيه، ولك أّلا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تنظّم فيها ولا تضحى... ويمكن أن نمثّل النظام الخطاطي لهذه الاستعارة كالآتي:



ج/ الخطاب الشعري والاستعارة الصورة: مثلما تتشكّل الاستعارة التّصوورية بين ميدانين تصوّريين يمكنها أن تكون أيضاً بإسقاط صورة تمثّل الميدان المصدر على صورة أخرى تمثّل الميدان الهدف، وتوسم هذه الاستعارة باسم: الاستعارة الصّورة وهي بكلّ بساطة إسقاط لصورة ذهنية تواضعية على صورة ذهنية تواضعية أخرى؛ ليتجاوز الإسقاط الميدان المخصوص المحدّد ويكون في شكل إسقاط مشهد على مشهد، ولا يعني هذا أنّ الإسقاط يهتمّ بالتفاصيل التي يتكوّن منها المشهد المصدر وتسقطها على المشهد الهدف، بل يعني الاهتمام بالبنية الكلّية للصّورة أو للمشهد التي يناسب فيها العامّ العامّ والجزء الجزء وما إلى ذلك".⁽²⁸⁾

ويمكن أن نستبين هذا من خلال الخطاب الشعري الذي يحيا جيده على الإسقاط الاستعاري، فنجد "القصيدة ذاتها تتحول إلى استعارة كبرى، وهي لعبة فنيّة لا يجيدها إلا جهاذة الشعر".⁽²⁹⁾ ويمكن التمثيل هنا بقصيدة أحمد مطر المعنونة بـ: "الثور والحظيرة"، يقول فيها⁽³⁰⁾:

الثور فرّ من حظيرة البقر، الثور فرّ

فتارت العجول في الحظيرة

تبكي فرار قائد المسيرة

وشكّلت على الأثر

محكمة ومؤتمر

فقائل قال: قضاء وقدر

وقائل: لقد كفر وقائل: إلى سقر

وبعضهم قال: امنحوه فرصة أخيرة

لعله يعود للحظيرة

وفي ختام المؤتمر

تقاسموا مربطه، وجمّدوا شعيره

وبعد عام وقعت حادثة مثيرة

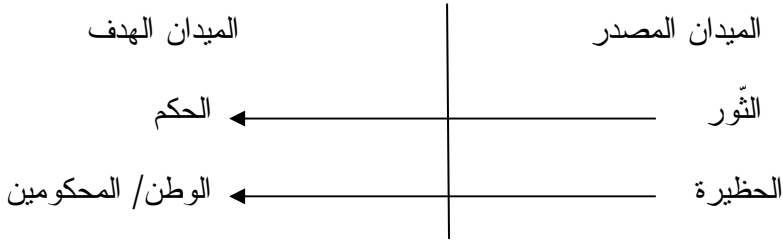
لم يرجع الثور، ولكن ذهب وراءه الحظيرة: بداية، إن استيعاب المرجعيّات الثقافيّة التي أنتجت مثل هذا النصّ يذللّ سبل الإمساك بآليات التصوير فيها، فأحمد مطر من الشعراء القلائل الذين لم يدنسوا أقلامهم لمدح أيّ نظام، وتعدّ تجربته

الشعرية من أكثر التجارب الحديثة انتشارا في الوطن العربي، فصاحبها استطاع تحويل المعاناة الإنسانية في ظل الأنظمة القمعية إلى قيمة تعبيرية انفعالية تستهدف تحريك نوازع المتلقي نحو التمرد والثورة على الواقع الأثيم، وهذا ما جعلها تحيا حالات اغتراب كبرى.

تتمتع القصيدة بنكهة بيانية جمّلت المحتوى الصوري القائمة عليه، لأننا أمام مشهد كامل يُتوخى إسقاطه على مشهد آخر، أي صورة يقع إسقاطها على صورة أخرى، أولاهما مستوحاة من عالم الحيوان، حيث تحفظ له المخيلة تصورات شتى تختلف باختلاف مؤنثاته، فاستعارة الثور هنا تثير في الذهن مدلولات سلبية مشتركة بين الناس، والظاهر أنّ المنتقى اللفظي هنا يعمق المراد، فالثور حيوان يرمز للغباء والقوة الطائشة، حتى إن العرب "إذا أوردوا البقر فلم تشرب لكدر الماء، أو لقلة العطش ضربوا الثور ليقتمح الماء فنتبعه البقر"⁽³¹⁾، أما الحظيرة فغنية عن البيان إذ لا تحمل من التصورات غير ما قبح منها.

إنّ اجتماع هذين المستعارين قد استحضر صورة/ مشهدا أولا تراكبت فيها التّصورات السلبية الثقافية، وهي غير مطلوبة لذاتها بقدر ما هي فاعلة في بناء صورة/ مشهد ثان (الصورة الهدف) لا ينفلت البتّة من ربة السّلاطة حاكما ومحكوما. فالثور لزما هو الحاكم في الوطن العربي الذي تصفه كلمة الحظيرة وصفا لائقا، ولنا أن نتصور حجم الإسقاط التّبئري بين هذين الفضاءين لينتج الفضاء المزجي المقصود بالدلالة، وهو فضاء يصف واقعا عربيا ذليلا لا طاقة لأهله على مناهضة آلات القهر التي صنعوها بأنفسهم وأسهموا في تكريسها بله تقديسها رغم فسادهما فالشاعر عبر الاستعارة الصورة هذه يدعو بطريقة فنية إلى

تجديد الذات ومحاربة الإسهام في خلق كوارر بشرية تمارس القهر باسم السيادة.
ويمكن إيراد هذه الترسمة لهذا الإسقاط كآآي:



د/ الخطاب السياسي والمزج المفهومي: يتفق العرفانيون على أن الاستعارة

انعكاس لما تحتزنه الذاكرة من معتقدات وتصورات وأفكار ورغبات وآمال وأحقاد أيضاً، فحضورها في الخطابات لا يمكن أبداً أن يكون حيادياً، بل هو تعبير قوي يجسد قوة الذهن في احتفاظه بكل نواتج التجربة الإنسانية، والأكثر من ذلك أنها مكرسة لممارسة قوة التأثير ومن ثم التغيير تماماً كما يحدث في الخطاب السياسي الذي يرتكن كثيراً إلى الاستعارة لنجاح المحاجة وكمال الإقناع؛ لأنه في فن السياسة يجري دائماً صراع من أجل الاستيلاء على الذاكرة التاريخية والوعي الجماعي كخطوة مهيأة للاستيلاء على الحاضر والواقع، وفي جبهة الثقافة هذه تكون الكلمات واللغة سلاح المعركة وأداة القتل والتدمير⁽³²⁾، ولهذا أولاه العرفانيون منذ عقدين اهتماماً ملحوظاً للإمساك بميكانيزماته العرفانية في الاشتغال ***.

والقمين ذكرنا هنا، أننا نتعامل مع الخطاب السياسي بوصفه كل خطاب يصدر عن ناشط سياسي صاحب سلطة أو معارض أو في مؤسسات المجتمع المدني؛ لأن معناه في الأصل يتأرجح بين هذا وذاك الذي له وشائج صلة بالسياسة سواء كان أدبياً أو فلسفياً أو صحفياً...

ولكن هذا لا ينبغي التعامل مع الخطاب الناقد للسياسة على أنه خطاب سياسي تماما كما يحدث اليوم في بلادنا بين الأحزاب، وبين الشعب والسلطة، وبين الشعب والشعب، وبين الشعب والأحزاب...

مما تواتر في كتب التاريخ السياسي مثلا مصطلح "الحرب الباردة"، هذا التعبير الاستعاري يثير حتما جملة من التصورات الذهنية التي تصف معتركا سياسيا حقيقيا بين الدول لكنه مجرد من السلاح، وهو بذلك قد استقى ميدانا مصدرا (الحرب) ليسقطها على ميدان هدف (السياسة) بناء على تقاطعهما في استراتيجيات البناء فالسياسة قائمة على أطراف متنازعة، وتتطلب تكتيكا مسبقا وآلتها لغوية وقانونية ومحكومة هي الأخرى بمبدأي الهزيمة والنصر، شأنها في ذلك شأن الحرب تماما.

إن إثارة هذا الفضاء الدّخل الأول (الحرب ولوازمها النمطية ومثيراتها الذهنية) مضافا إليه الفضاء الدّخل الثاني الذي تصفه كلمة الباردة، التي تستدعي من باب الموازنة الحسية- إطار الأمن ولواحقه يؤدي حتما إلى نشوء الفضاء المزجي المروم استعاريا ليؤسّ في ذهن المتلقي تصورات تنفي عن الحرب شيئا مما تحفظه الذاكرة وتضيف إليها بعضا من رمزية البرودة مما يحتسب في مقامها أمنا...

ومما نسمعه متكررا اليوم في بلادنا " الجمعة كذا " من الحراك الشعبي، فهذا يدخل ضمن الإطار التّزامني العرفاني، أو زمن التّلفّظ باصطلاح الأزهر الزّنّاد.

عرفانيا، يمكن القول: إن يوم الجمعة لدينا قد تجرّد من بعده الزّمني النمطي ليتحوّل إلى فضاء تصوّريّ تتنامى فيه استعارات الصّمود والرفق والتّحدّي والإنجاز... بل لقد آذن بدخول استعارة جديدة في النسق التّصوّري المحليّ والعالميّ بناء على ما أفرزته من حقائق وطنية لم تكن منتظرة، يقول جورج لاكوف: " إذا دخلت استعارة جديدة في النسق التّصوّري الذي نؤسّس عليه تصرفاتنا فإنّها تغيّر

هذا النسق التّصوّري كما تغيّر الإدراكات والتّصرّفات التي ينشئها هذا النسق وينشأ جزء كبير من التّحوّل التّقافي من إدماج تصوّرات استعارية جديدة وفقدان أخرى قديمة⁽³³⁾. مثلما حدث مع استعارة الربيع العربي، التي حدث فيها المزج بين فضاء دخل أول (فصل الربيع بحيثياته التّصوّرية الإيجابية) وفضاء دخل ثان (الثّورات العربيّة المحليّة) لإثارة فضاء ذهني يصف الواقع المتغيّر نسبيا في بعض البلدان العربيّة بفعل صمود شعوبها حين المطالبة بتقرير مصيرها.

ومما اغتنى استعارة في حراكنا الشّعبي تلك الشّعارات التي شكّلت رافده الرّئيسي بوصفها مغدّاة بمختلف التّصوّرات الذهنيّة العاكسة لآفاق المنتظر المرغوب، سواء في حدّ اللّغة أو الصّورة، فكانت بذلك أفعالا كلاميّة تجاوزت حدود التّقرير إلى ممارسة الحجاج، ونواتجها العمليّة محصيّة للعيان.

والملفت للانتباه استلهاهما من الموروث العقائدي والتّقافي بأفئانه المختلفة، فتري الآيات القرآنيّة والأمثال والحكم... ناهيك عمّا ابتدع من استعارات مذهلة مستقاة من صميم الواقع بحيثياته المختلفة، نذكر من ذلك: ربّي حلّ ربعة الخامسة حرام عليك ثورة الابتسامة، بوتفليques اللصقة اللي ما تتنحاش، الدّستور الأمريكي pdf الدّستور الجزائري word ، أحنّا نقولو الماكلة سامطة وهوما يبدلوننا فالمغارف...

فالنّظرة العرفانيّة لجملة هذه الاستعارات تنمّ عن إسقاطات تصوّريّة بين ميدانين قد علم مصدر أولهما وأريد به قياس غيره لتعميق الأثر الدّلالي المطلوب.

ومن بين الشّعارات التي لقيت رواجا بين صفوف المتظاهرين ما نصّه: "قمامة غير قابلة للرّسكلة"، وهو تعبير استعاري أريد به إسقاط الميدان المصدر (القمامة غير القابلة للتّوير) على الميدان الهدف (حكومة بدوي)، ولا يخفى على ذي نهية ما تثيره هذه الاستعارة من تصوّرات ذهنيّة لدى المتلقّين عموما، إذ لا تحتفظ

الذاكرة الإنسانية بغير لوازمها القدرة المرغوب عنها عند الصغير والكبير، وقد قاسم هذا الشّعار شبيهه آخر يقول: " *dégage* يا خُمّاج " في لسان العرب: خُمج اللحم إذا نتن، فنقل هذا المحسوس إلى الإنسان مجازاً ليدلّ على فسادهِ فيأخذ من المستعار منه حكمه، وفي مثله يجري شعار: إلى مزبلة التاريخ...

وتجدر الإشارة أنّ كثيراً من الشّعارات استلهمت من عالم الحيوان ما يصلح به التّبلغ استعارياً، في حدود الإسقاط التّبئيري الذي يرجّح التّصوُّرات الذّهنيّة المشتركة بين النّاس، من ذلك مثلاً: سنحرّها من كلاب فرنسا، أذّيال فرنسا، تجمّع قطط الجزائر ترفض الكاشير وتطالب بالويسكاس، أزعه (القايد صالح) الذّباب... فباستطاعة المتلقي هنا تحصيل الفضاء المزجي الذي يخلقه هذا الاستعاري بناء على ما كرّسته الأنساق التّقافيّة.

ويقودنا هذا التّمثيل إلى تذكّر ذاك المثل الاستعاري الذي يعدّ من أبرز نتاجات الخطاب السّياسي لأويحيى، والقائل: **جوع كلبك يتبعك**، إنّ التّمشي الاستعاري لهذا المثل القائم على الرّبط بين عالمين، أولهما عالم الإنسان وثانيهما عالم الحيوان/ (الكلاب على وجه التّحديد) يتطلّب تأويلاً استعاريّاً عن العلاقة الرّابطة بين العالمين وهي علاقة تصف الإساءة من الطّرف الأوّل، والخضوع والطّاعة من الطّرف الثّاني فالمزج بينهما يثير لزماً فضاء تصوّريّاً يصف علاقة الحاكم بالمحكوم؛ إذ يكثر استخدام هذا المثل في سياق الحديث عن انقياد الشّعوب ورضوخها للسلّطة المستبدّة وهو بهذا في عداد الاستعارات القاتلة باصطلاح جورج لاكوف؛ كونه حمّالاً لدلالات الإهانة والذلّ والجبن وما إلى ذلك، وليس أدلّ على ما خلفه من غيظ مكتوم في نفوس الجزائريين ما رمزوا به إلى صاحب الشّعار حين أودع السّجن.

على غرار هذا النّمودج الاستعاري القاتل مجازياً، هناك منه ما يحيي قيم العزّة والأنفة والثّقة في النّفس عند الجزائريين ويناهض مظلمة البقاء للأقوى، ولعلّ في

شعار: (السلطة لفخامة الشعب)، (الشعب وزير الدفاع) ما يغني عن التمثيل، إذ فيهما من الكفاية البلاغية ما يقلب موازين السائد من التصورات ويدفع إلى بروز بنيات جديدة في أنساقنا الثقافية، أو إن صح التعبير تحديث ما تقادم عهده فغدا في حكم المسكوت عنه.

بناء على ما تقدم يمكن القول: إن الاستعارة التصويرية آلية ذهنية قبل أن تكون طريقة في الكلام، ولا يخلو منها وجه من وجوه معاملتنا اللغوية والرمزية وباستطاعتها مكاشفة ما استقرّ في بنياتنا التصويرية من أنساق ثقافية مختلفة، وهي بقدر ما تصف ذهنية مستعملها قادرة على التوسع لتحظى بصبغة عالمية، وفي اشتغالها العرفاني تتأسس على عمليات الإسقاط التنبئري والمزج المفهومي لإنتاج المعنى بشكل لا نستشعر زمنه وآليات عمله، سواء وظفناها عن وعي أو غير وعي.

وهي بهذا المعنى لم تعد حكرا على فنون القول كما حصرها التصور التقليدي، بل التنا في التفكير فيها نعي الوجود وعن طريقها نستحضر كل موجود ليصبح طاقة رمزية تصف تصوراتنا عن أنفسنا والعالم من حولنا...

الهوامش:

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7 1998، ج1، ص153.

(2) أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص30.

(3) أبو هلال العسكري، الصناعات الكتابية والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو

الفضل إبراهيم دار الحياة، ط1، 1952، ص268.

(4) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتبني وخصومه، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو

الفضل إبراهيم، دار عيسى البابي الحلبي، 1966، ص41.

(5) المرجع نفسه، ص 181

(6) أسرار البلاغة، ص37

(7) توفيق حمدي، مواقف البلاغيين والنقاد العرب من الاستعارة، دار محمد علي الحامي

للنشر، ط1 2007، ص146

(8) شكري المبخوت، جمالية الألفة (النص ومتقبله في التراث النقدي)، بيت الحكمة، قرطاج، 1993 ص 91.

(9) ينظر: محمد الصالح البوعمراني، السيميائية العرفانية (الاستعاري والثقافي)، مركز النشر

الجامعي تونس، 2015، ص 14.

(10) أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية،

بيروت لبنان، ط1، 2006، ص 255، 256.

(11) آيفور أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، إفريقيا

الشرق المغرب دط، 2002، ص 92

(12) المرجع نفسه، ص 93.

(13) جميلة كرتوس، الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية (لماذا تركت الحصان وحيدا) لمحمود

درويش أمودجا، رسالة ماجستير، جامعة تيزي وزو، الجزائر، 2011، ص 23.

(14) بول ريكور، نظرية التأويل (الخطاب وفائض المعنى)، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي

العربي ط1 2003، ص 89.

(15) المرجع نفسه، ص 90.

* نذكر منهم: هوبز (hobbes) الذي عد الاستعارة سرايا والاحتجاج بها مجرد تيه وسفاهة كونها منافية للعقل، وقاسمه في ذلك جون لوك (john lock) الذي يصفها بأنها أداة بلاغية تعادي الصدق...

(16) ينظر الموقع: www.albayan.ac/paths/books/2006-05-01-1.912493

(17) محمد الصالح البوعمراني، السيميائية العرفانية، ص 1

(18) المرجع نفسه، ص 3

(19) المرجع نفسه، ص 3، 4

(20) المرجع نفسه، ص 5.

(21) المرجع نفسه، الصفحة نفسها

(22) المرجع نفسه، ص 6

** الإطار عرفانيا هو تنظيم المعرفة ضمن مواضيع مثالية وأحداث قلبية ملائمة لأوضاع خاصة

(ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص 68)

(23) المرجع نفسه، ص 8.

(24) اللسانيات في قلب المسيرات، الشعارات خطابا طقوسيا، ص 5

(25) السيميائية العرفانية، ص 53.

(26) المرجع نفسه، ص 56

(27) التحرير والتأويل، مج 13، ج 27، ص 377.

(28) السيميائية العرفانية، ص 223.

(29) المرجع نفسه، الصّحة نفسها.

(30) ديوان الأعمال الكاملة، دار الإسرائ، نابلس، فلسطين، ط1، 2013 ص16.

(31) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، مادة ثور، ج6 ، ص522

(32) سلام عبّود، اللّغة والعنف، دور الكلمة في الخطاب الإعلامي، مجلّة الأداب، ع57، 2009، ص7

***ذكر البوعمراني أمثلة من ذلك، منها دراسة بول شيلتون المختص في تحليل الخطاب على الاستعارات المتعلقة بالاتحاد الأوروبي والحرب الباردة، كما اشتغل لأكوف على النظام التّصوري الذي يحكم خطابات جورج بوش الأب في حرب الخليج...

(33) لأكوف وجونسن، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال،

المغرب، ط1 1996، ص150.

الاستعارة التصويرية القاعدية

في مقابل الاستعارة الشعرية وعلاقتها بالاستعارة الحاسوبية

د. نادية سعدوني.

المركز الجامعي عبد الله مرسللي / تيبازة.

nadisaadouni85 gmail.com:

ملخص:

يعرف العالم تطوراً مبهراً في جميع العلوم وبالأخص في مجال التكنولوجيا، والتي أصبحت اليوم المحرك الرئيس للفرد البشري، ولما كانت اللغة وسيلة التواصل الأولى كان لازماً لها أن تتفاعل وهذه الهجمة الحديثة، وأن تتعايش معها، خاصة ونحن نعيش في دوامة البقاء للأقوى.

وفي خضم كل هذا اهتم العرفانيون بتطوير سبل التفكير باستخدام اللغة التي عدت الآلية الأنجع لتحقيق مبتغاهم، فجاء ما يسمى بالدلالة العرفانية Semantique Cognitive مستفيداً من مجموع الدراسات المهمة بآليات اشتغال الذهن البشري وعلاقته باللغة من ناحية، وبالعالم المتجسد من ناحية أخرى.

ولقد اهتمت العرفانية بدراسة الاستعارة خاصة وأنها تعدّ أهم ضروب المجاز، كما أنّ لها فاعلية في التعبير عن كل خلجات النفس.

هذا وأنّ لهذا النوع الفني انشطارات عديدة فنجد الاستعارات التصويرية القاعدية والاستعارات الشعرية وما إلى ذلك من الاستعارات، غير أننا ومن خلال هذه الدراسة فصلنا في هذين النوعين وبيننا العلاقة الموجودة بينهما، ثم أفضنا إلى

إيجاد علاقة ربط بينهما وبين الاستعارة الحاسوبية (الراتائية) لأنها المبتغى الأصلي للعرفانيين الساعين إلى تطوير الفكر اللغوي، وعولمة اللغة العربية وإعادة رد الاعتبار لها فبعدما كانت هذه اللغة بمثابة هوية للقوة والعظمة في عصور التقدم والازدهار (العصر العباسي) نجدها اليوم تتقهقر بتقهقر، متعاطيها وبعدهم قدرتها على مجابهة التطور والتقدم التكنولوجي الحاصل في العالم.

The basal pictorial metaphor in the Poetic Enlightenment and its relation to the rank-and- file metaphor./r/n the world knows an impressive development in all sciences, especially in the field of technology, which today has been the main engine of the human individual, and since language was the first means of communication it had to interact and this new destination and live with it, especially as we live in the vortex of survival for the strongest.

In the midst of all this, the irfanis were interested in developing ways of thinking using the most effective mechanism to meet their goals, and the so-called arfism came, taking advantage of the totality of studies interested in the functions of the human mind and its relationship to the language on the one hand and the science embodied on the other.

Al-Irfaniyah has been interested in the study of metaphor, especially since it is the most important form of metaphor and is effective in expressing all the creations of the soul.

Here, this type of art has many factors, we find basal pictorial metaphors, poetic metaphors, etc. metaphors, but through this study, we separated in these two types and between us the relationship between them. The globalization of the Arabic language and the reinstatement of the Arabic language, after this language was an identity of power and greatness in the era of progress and prosperity Abbasid era you find it regressing today.

المحور: اللسانيات العرفانية واللغة العربية.

موضوع المداخلة: الاستعارة التصويرية القاعدية في مقابل الاستعارة الشعرية.

يعدّ الذّهن البشري القاعدة الرّكيزة لأيّ اشتغال علمي معرفي، لأنّه الآلة الأولى المتحكّمة في برمجة كل ما يدور في فلك الانسان، ولمّا كانت اللغة هي اللّسان

المعبر عن خلجات النفس الإنسانية وضرورتها البيولوجية، كان لزاماً ربط هذا الذهن البشري باللغة المعبرة عنه وهذا اذا ما تحدثنا عن الخطاب العام أما اذا دخلنا إلى فلك الخطاب الإبداعي أو النص الفني فلا بدّ من استحضار مفاهيم أخرى تفعل هذه العلاقة الموجودة بين الذهني ككتلة تفكير وابداع وبين اللغة كوسيلة تعبير عنه، وهذا عن طريق آليتي الفكر والخيال وبالتالي فالقول بهما يحولنا مباشرة إلى المجاز والذي هو أداة الزخرفة الفنية الإبداعية ضمن الاطار الأدبي الفني ، ولا جدال أنّ الاستعارة تعدّ من أهم ضروب المجاز اشتغالا على استحضار كل مهارات وتقنيات الإيقاع الجمالي في النصوص الإبداعية، ومن المؤكد أنّ من أهم المحصنين والمهيمنين على هذا المجال النقاد واللغويين المتخصصين في اللسانيات العرفانية، إذ حسبهم أنّ أهم مسؤول عن توفير البعد الفني الراقي في النصوص الأدبية لا يمكن أن يخرج عن الاستعارة بمختلف تنوعاتها وتشعباتها، فالأناقة الحضورية المتألقة في مختلف الدّوات الفنية منوطة بمدى انتشار هذا البعد الجمالي في شعبيات وعروق التكتلات النصية.

والملف للنظر أنّ استخدام هذا الاجراء الجمالي في عدد من النصوص المختلفة، لا يعدّ مجرد خروج أي عدول عن مستوى الكلام العادي، بل هو ممارسة إجرائية ملاحقة للتفكير من جهة وللأبعاد النفسية التصويرية من جهة أخرى.

وهنا نقع أمام مفهومين جانب متعلق بالفكر التصويري، وآخر بالفكر الشعري وبهذا فنحن أمام استعارة تصويرية مرتبطة بمفهوم الدلالي للأشياء وكذا بمجموع التّماتلات المتقابلة بين المفاهيم المراد الوصول إليها أي أنها تقوم على فهم (ميدان تصويري ما Conceptuel Domain عن طريق ميدان تصويري آخر).

أما الاستعارة الشعريّة فتفعل هذا المفهوم التصويري بلغة فنيّة إبداعية، مادتها روح الخيال الفكرية للذات المبدعة، ومن هنا تخلق العلاقة بين الاستعارتين ليقدم لنا مادة فنيّة دسمة تحاكي الاستراتيجية الجمالية المراد الوصول لها من قبل مبدع النصوص الإبداعية، ولكن السؤال هنا ما الذي يحرك هاتين الاستعارتين ويقودهما إلى طريق العولمة والحدثة في التعامل مع النصوص؟ وما الذي يساهم في وضعهما في إطار هيمنة حديثة إبداعية مفتوحة على التطور المفاهيمي والإبداعي، وهنا يأتي الجواب إنها الاستعارة الحاسوبية (الرتابية) والتي تدعو إليها اللسانيات العرفانية، لأنها البوابة السحرية للدخول إلى بوتقة الانتشار والتوسع ووضع النصوص الأدبية في حلقة الجودة العالمية المبتغى الوصول إليها بأي طريقة كانت.

فكيف يتم تفعيل هذه الاستعارة (الاستعارة الحاسوبية) وربطها بالاستعارية (الحضورية القاعدية والشعرية)؟

لابدّ بادئ ذي بدء أن نتعرف على ماهي الاستعارة التصويرية القاعدية والاستعارة الشعرية لنصل إلى العلاقة الرابطة بينهما، ثم إلى تدخل الاستعارة الحاسوبية كأداة تفعّلها، وتجعل لهما بنية ملموسة، يتشابه فيها الجانب النظري ذو البعد الدلالي بالجانب التطبيقي المحسوس، الملموس.

1. ماهية الاستعارة التصويرية القاعدية عن العرفانيين:

قبل التطرق إلى الاستعارة التصويرية القاعدية من منظور اللسانيات العرفانية، فلا بدّ أن نؤمى إلى الإشارة إلى تقديم قراءة ولو موجزة لمفهوم العرفانية.

• العرفانيّة:

العرفانيّة، علم ارتبط وجوده بالذهن البشري وبكيفية التّواصل معه، وقد تقاطع هذا العلم بعلوم مختلفة ومتشابهة، كالسميوطيقا وعلم الأعصاب والفلسفة وعلوم الدّماغ وعلم الحاسوب والأنترولوجيا واللّسانيّات، وغيرها من العلوم.

وعلى هذا الأساس فقد جاءت هذه المعرفة لتحاول الإجابة على مجموعة من الأسئلة، من قبيل ما هو العقل؟ وكيف نفكر؟ وكيف نتمثّل الوجود من حولنا، وما النّسق التّصويري؟... إلخ. وبهذا نفهم من يركّز على العلاقة الموجودة بين الذّهن والجسد، وقد أوضح ذلك (لايكوف) في قوله "علم العرفانيّة حقل جيد يجمع ما يعرف عن الذّهن في اختصاصات أكاديميّة عديدة، علم النّفس واللّسانيّات والأنترولوجيا والحاسوبيّة، وهو ينشد أجوبة مفصلة عن أسئلة من قبيل: ما هو العقل وكيف نعطي لتجربتنا معنى؟ وما هو النّظام المفهومي وكيف ينتظم؟ وإن لم يكن كذلك ما هو بالتّحديد ذاك الشّيء المشترك بين بني البشر جميعهم فيما به يفكرون؟ فالأسئلة ليست جديدة ولكن بعض الأجوبة جديدة؟"⁽¹⁾

إنّ ونظير التّشابه الوارد بين العلوم المتباينة ظهر مصطلح علم مهم وهو علم الدّلالة العرفاني Sémantique Cognitive متخذاً مبادئه التّأسيسيّة من حقل اللّسانيّات العرفانيّة وعلم النّفس العرفاني، ولما كان الخيال هو المحرّك الرّئيس للذهن الإبداعي للذّات الفنّانة، كان هو المجسّد الفعلي للإدراك الفكري واللّغوي، وحتى الوجودي، وهنا نجد أنّ النّقد قد وجد لنفسه مساحة يجول فيها خاصة وأنّ مادته الأولى هي قراءة الرّوابط الموجودة بين اللّغة والفكر والخيال... ونحن من خلال هذا المنطلق سنغوص في هذه الثّلاثيّة في بعدها الأدبي انطلاقاً من بعدها اللّساني. ذلك أنّ عدد من النّقاد يستهلون بحوثهم بالبحث حول العلاقة الرّابطة بين اللفظ

والمعنى ومدى الأهمية التي يكتسبها كل طرف، وقد أخذ هذا البعد غماراً ومسلكاً حديثاً في أواخر القرن التاسع عشر، وكان ذلك على يد (فرديناند دي سوسير) والذي يعد الأب الروحي للسانيات العامة، وقد كان منهج هذا الناقد المفكر هو دراسة اللغة من ذاتها ومن أجل ذاتها، وبهذا فقد قدم هذا الأخير تطوراً شاملاً للغة موضوعاً ومنهجاً. ثم جاءت مرحلة أكثر انغماساً في هذا البعد وكان ذلك في الخمسينيات من القرن الماضي حيث اهتم في هذه الحقبة باللغة الداخلية من حيث كيفية تصميمها وإنتاجها ضمن نظرية النحو "التوليدي أو الكلي" والذي جاء على يد الناقد (تشومسكي) الذي قدم نظرية لغوية، تركز على البعد الذهني فهي "ترى أن اللغة نظام ذهني تمثيلي ينتج لغة معيارية و(تشومسكي) قد ركز جل اهتماماته على التتبع "نمط الإدراك الذهني للتعبير اللغوي"⁽²⁾ أي طريقة استيعاب وإدراك الذهن البشري لمختلف الاماءات والمفاهيم والتعبير التي ينتجها، وبهذا قدم مفهوم (جهاز اكتساب اللغة) والذي يقوم بتخزينها واسترجاعها كلما كان ضرورة لذلك. فقد ربط هذا الناقد المفكرين (اللغة والإدراك) بطريقة تقنية فاللغة حيث هذا الاتجاه يعدّ بمثابة "بنية Structure اللغة قائمة على بنية الوجود من جهة وعلى بنية الفكر من جهة أخرى"⁽³⁾ وبالتالي فهي هنا تعدّ بمثابة عالم إدراكي، يمس جوانب الفكر المتعددة والمتباينة (الفلسفة المنطق، وبالأخص البعد اللساني العرفاني في مقاربتها الاستعمالية من حيث اهتمام هذا الأخير بمفهوم التجسد Embodiment في تشكيل المعنى، فحسبه أن جميع تطوراتنا ومفاهيمنا لا يمكنها أن تتشكل إلا من خلال الجسد" وبذلك فكل فهم لدينا عن العالم وعن أنفسنا والآخرين لا يمكن تأطيره إلا من خلال المفاهيم التي تشكلها أجسادنا"⁽⁴⁾ فالذهن هنا لا تكمن مهمته فقط في تخزين المعنى عشوائياً، بل يفهم الملفوظات ويؤولها عبر ضرورات ذهنية ويتم ترجمتها في صورة إشارات، معارف كذلك اللغة ينتقل بصورة مباشرة الى الذهن بنفس

طريقة تنظيم الذّهن التّجربة التي تأتّيه من العالم الخارجي، ليعيد إخراجها في صورة تجربة خاصّة أو معرفة خاصّة وفقا لتكوين البنى التّصوريّة لديه.

وعليه يمكننا القول ان كل ما يلتقطه الذّهن عن طريق اللّغة او الأنساق العرفانيّة الأخرى المرتبطة بالحواس وغيرها "يقيم بنيّة تصوّريّة تلعب فيها كل من اللّغة والانسقة الادراكيّة دورا، هذه البنيّة التّصوريّة تجعلها في غنى عن القول بمستوى دلالي خالصّ يمثل فيه للبنيات اللّغويّة فحسب"⁽⁵⁾

• الاستعارات التّصوريّة القاعديّة

القول بالاستعارة، يحيلنا مباشرة الى الزّخرفة اللّفظيّة والتي تعطي جماليّة للنّصوص الإبداعيّة، اذ تعد هذه الأخيرة اهم ضروب المجاز على الاطلاق، ولكنها لم تكفي في هذا المقام بالبعد الفني، اذ أصبحت مفهوما قائما بذاته، يؤدي مهامها خاصة في النّص، بعدما كانت استعمالاتها لا تخرج عن دائرة اللّغة، ولكن الفكر العرفاني ولد لديها ابعاد أخرى، لما لها من دور في تأسيس ابنيّة تفكير الانسان.

ومن منا جاءت أنواع متباينة للاستعارات من بينها الاستعارة التّصوريّة، والتي لها طرائق مختلفة في ايراد المعاني وتوصيلها من خلال الاستعمالات اليوميّة للكلام اذ ان هذه الأخيرة وضمن الاتّجاه العرفاني فإنها تعتمد على عمليّة التّقابل والربط بين متصوّرين من خلال تعيين مجال مصدرهما.

وقد تناول هذا النوع كل من (لايكوف LOKOFT) و(جونسن) اللّذان قدما تفسيراتهما حول هذا النوع من الاستعارات. هذا وان اهم ميزة تخصّها أنّها تستخدم في الكلام المبدع والكلام العادي، بمقصوديّة وبغير ذلك، لأنّها جاريّة في اللّغة، ولا تذكر بعد تخطيط دائم ومسبق بمثل مثيلاتها (الاستعارة الشّعريّة).

تقوم الاستعارة التّصوريّة في تذليلها للمفاهيم المراد ايصالها للمتلقّي، عن طريق التّقابلات التّمثيليّة. اذ يتم فهم معنى ما عن طريق ما يقابله من معنى مماثل.

الميدان التّصوري (أ) هو الميدان التّصوري (ب) فعلى سبيل المثال "الإرهاب حرب" تتضمّن الرّبط بين مجالين تصوّريين من خلال تعيين مجال مصدر هو "الحرب" ومجال هدف هو "الإرهاب"⁽⁶⁾

هنا نفهم أنّ الميدان (ب) متوافق مع مكونات الميدان (أ)، فالترابط بين المصدر والهدف بيّن وواضح من خلال هذا المفهوم وهو ما يحيلنا إلى المعنى الكلي المعلن من الملقّي.

وقد أورد النّاقدان السّابقان أمثلة متباينة لهذا النّوع من الاستعارات.

- النّاس نباتات: فنحن نفهم الإنسان عن طريق النّبات فهو ينمو مثل النّبات ويقطع رحلة الحيات فيمرّ من الطّفولة إلى المراهقة إلى الشّباب فالنّضج فالكهولة فالشيخوخة، انتهاء بالموت، مثلما أنّ الشّجرة تغرس فتتمو وتورق وتزهو وتنتج التّمر وتموت.

- الحياة يوم: هذه الاستعارات تعتبر أنّ الميلاد هو الشّروق والنّضج هو الظّهيرة والشيخوخة هي الغسق والموت هو الغروب، وحالة الموت هي اللّيل.

- واستعارات من قبيل (الحياة بنيّة) و(الحياة ملك خاص) و(الحياة لعبة) و(الحياة شعلة) و(الحياة عصارة) و(الحياة عبوديّة) و(الحياة عبء) و(الموت ليل) و(الموت استراحة) و(الموت نوم)⁽⁷⁾

ومن هنا فالاستعارة التّصويريّة هي عمليّة واعيّة تأسس لمفاهيم ادراكيّة في العقل البشري وتفعّل الادراك المكتنز في الفكر الإنساني وذلك عن طريق تهيئة

مجال مناضر له يومئ إلى تصور ما لا نستطيع إدراكه. أي " يتحقق هذا الفهم بملاحظة مجموعة من التوافقات أو الترابطات النسقية بين المجالين"⁽⁸⁾

ولكننا ركزنا في كل هذا على التمثيلات الذهنية أغفلنا اللغة المعبرة عن كل هذه التصورات، وهنا وجد العرفانيون أن اللغة تعد إحدى الآليات والتي من خلالها تتجلى هذه الاستعارات التصويرية أي "أن الاستعارات التصويرية طريقة في التفكير وإنّ التعابير الاستعارية طريقة في الكلام"⁽⁹⁾

هذه الإقتضاءات الاستعارية Entailments metaphorica هي النوع الأدنى والذي يمثل المستوى الأولي للاستعارة التصويرية، إذ اتفق مجمل العلماء الباحثين على أنّ الجزء الأكبر من نسقنا التصويري العادي استعاري بطبيعته فيقوم باثبات المشابهة الظاهرة والصريحة.

تدرجات انتاج الاستعارة التصويرية

يتدرج ظهور هذا النوع من الاستعارات بالمنطق الذهني أي مرحلة التفكير وبناء صورة فكرية ذهنية لدى الكنزم العقلي، ثم تأتي اللغة لنقوم بتطبيق هذه الصورة وتخرجها في قالب لغوي يصدي الى إظهار الحضور الضمني la presence implicite للبنية الذهنية لدى العقل البشري لكون ذلك الاصداء له دور فعال في اطراد المعنى وتناميهِ، وفقاً لبرمجيات منتظمة متناسقة بين العقل واللغة، وهو ما يتجسد من خلال المنتج النهائي الذي يظهر في شاكلة مجموع من الرؤى ذات طابع مبسط يستوعبه المتلقي للإشارات المفرغة من الإبهام، والمعبأة بمفاهيم وأفكار ومعارف متباينة، وهنا لا يكاد يتطلّب من المقتفي للإشارة إلا المتابعة والاصغاء إلى الإصداءات وترتيل المعاني والدلالات.

إنّ فاللغة هنا تعتبر أداة ومجموعة آليات استعارية تخدم الوجود العائلي لهذه الاستعارة بمعنة أنظمة معرفية أخرى، فهي تتزاج مع عناصر الطبيعة العقلية للذات البشرية ومعاني الحسّ والشعور، لتشكل لنا من ذلك نظاماً تتسجم فيه الدلالة عبر تراسل الحواس، وتعاكس الذات/المرايا.

فالذات هي المنطلق الأول للاستعارة القاعدية، من حيث أنّ المتحدث في هذا النوع من الاستعارات يكون من عوام الناس، ولا يشترط أن يكون من صنف المبدع والشاعري، وهنا فالقيمة المتوخاة من تعبيرات الذات هي استحضر خلجاتها من حيث أنّ الاستعارة التصويرية القاعدية منبعها يتم من الذات وفي الذات.

وعليه فالفاعلية (الصورة التصويرية القاعدية) من فاعلية (ملقيها)، وحضور الأول من حضور الثاني وقدرتها على التلاحق الفعلي، باعتبار أثر الحضور هنا، ماثلاً في القدرة على تشطي المعاني وإيصالها إلى المتلقي ومن هنا فالصورة التصويرية تسير على قاعدة التجانس Cohérence بين الفكر واللغة، هذا النظام التجانسي كليل باستقراء المعاني المبنوثة إلى قارئ الرسالة (أي كان نوعها) هذا الاستقراء الذي يقوم بدوره على أساس مقولاتي كما نجده كفكرة مبلورة عند (ج ب ريشار) حيث إنّ تصنيف المعنى عنده "يعني وضعه في مقولات Catégorie وكل مقولة تتطوي على مجموعة من النظائر التي يمكن إبدالها من بعضها"⁽¹⁰⁾ الأين أو المكان (Le lieu)، متى أو الزمان (Le Temps) الوضع أو النصية (La Situation) له أو الملك (Avoir) أن يفعل أو الفاعل (Agir)، أن يفعل أو المنفعل (Pâtir)

وقد كانت "دراسة اللغة على وجه التحديد هي التي قادت (أرسطو) إلى اكتشاف المقولات المنطقية، ولم تكن نظرية اللغة هي التي اتخذها (أرسطو) مصدراً له حينما أقام نسق مقولاته، بل كان مصدره دراسة اللغة نفسها"⁽¹¹⁾

إنّ فالمعرفة والعلم المنتج من قبل أي طالب معرفة أو باحث أو حتى إنسان عادي يسمو إلى حالة من التطوّر الفكري، حسب (أرسطو) وأستاذه (أفلاطون Platon) ما هو إلّا نسق من التّصورات، تبعاً لهذين المفكرين تشكل تدرجاً يحتل كل تصور معيّن موضعاً محدّد "ووفق نظرتي (أفلاطون) و (أرسطو) تكون التّصورات أبدية، لا يلحقها التّغيير، وتربطها علاقة لا تبديل، وتلك العلاقة هي علاقة اندراج (Subordination) التّصورات الأقل عمومية تحت التّصورات الأكثر عمومية والتّصورات الدّنيا (الأقل عمومية) تعتمد على التّصورات الأكثر عمومية"⁽¹²⁾ وعلى هذا النحو يتكرس المفهوم الأرسطي للتّطور في إطار مقولاتي، ففي قمة تدرج التّصورات توجد المقولات، وهي أعلى التّصورات مرتبة وأشدها عمومية، ومن المستطاع تغطية سائر التّصورات، وأخيراً لتصنيف أجناس الوجود ذاته"⁽¹³⁾

ومن ثم فإنّ المقولات "تشكل تعيينات الوجود عينه، وكل هذه التّعيينات موجودة موضوعياً، ولكنّها لا توجد على نحو مستقل (باستثناء الجواهر الأولى) بل كتعيينات للأشياء المفردة وفي كثرة هذه الأشياء هناك تعيين عام يوجد على نحو موضوعي ويدخل إلى فكرنا في شكل تصورات كلية، والمقولات هي أشد تلك التّصورات كلية وشمولية، كما أنّ جميع موضوعات فكرنا تناظر هذه المقولات أو تلك من المقولات العشر"⁽¹⁴⁾

ومن خلال نظرية التّصور الأرسطي والتصنيف المقولاتي نخلص إلى العلاقة التّناشحيّة بين (الفكر واللّغة)، الذي يخرج في شكل مجموعة من المقولات المنتجة بمعنيّة تداخل مجالات أخرى (فلسفة، علم النفس، وغيرها)، ومن هنا فالوصول إلى المعنى حسب (ريشار) لا بد أن يتم وفق محورين "فمن المقولات الكبرى التي جزئيات المعنى، والعكس صحيح، إنّّه يلتقط جزئيات المعنى منطلقاً من المقولات الكبرى ويصل إلى المقولات الكبرى عبر جزئيات المعنى"⁽¹⁵⁾

ننتهي من هذه الجزئية، إلى أنّ المقولات وحسب ما قيمه (ماجليوط) تقوم على مفهوميّين (أحوال الوعي، مضامين الوعي).

وتتضمّن أحوال الوعي: المعرفة، الإرادة، الانفعال، الإدراك، الزّمن، الذاكرة والمكان والخيال، وتتخصّص مضامين الوعي في العالم بما يتضمّن غير الذات أيّ النّاس الأغيار، والأحداث (المجريات) والأشياء والكائنات الأخرى، أو ما يسمى (غير الوحدات الإنسانيّة)، يضاف إلى ذلك "النفس" بوصفها مضمون الفعل القصدي عند الشّخص⁽¹⁶⁾

إذا تحدثنا عن المقولات الفنّية، فإننا حتماً سنربطها باللّغة، إذ أن غايّة المبدع تمثيل الصّورة قبل تشكيلها، بمعنى أنّ الشّعْر رغبة وهاجس يتوغّلان في عمق البنية النّفسية ثمّ يتجسّدان في شكل صورة، بما يعنيه، كل ذلك من أن "الشّعْر تشكّل لغوي في النّهائية، وأنّ كل المشاعر والأحاسيس والمعاني تظل عناصر غير شعريّة حتى تتشكّل في أبنية لغويّة خاصّة، وأنّ هذه الأفكار والأحاسيس تمتاز بهذه الأبنية وتتلّشى فيها، وأنّ اللّغة في العمل الشعري ليست أداة توصيل، وإنّما هي أداة إبداع وخلق..."⁽¹⁷⁾

وهنا تصل إلى أنّ الاستعارة الشعريّة امتداد للاستعارة التّصوير القاعديّة، إذ تستمد الأولى مصداقيتها ومفاهيمها القاعديّة من الثّانيّة، وعليه فلاستعارة التّصويريّة، التي هي ملك مشاع بين النّاس جميعاً هي الأساس للاستعارات الشعريّة، إذ أنّ الاستعارة الشعريّة ماهي إلّا توسيع للقاعديّة والبحر الرّابط بينهما الفعل الاستعاري. "فنحن عندما نستعمل الميدان المصدر (أسد) نفهم الميدان الهدف (رجل) لا نستعمل كل الخصائص التي تتم الأسد، من ذلك مخالبه وأنيابه وهيئته وعبالة عنقه، ولكننا نستعمل خاصيّات مثل الشّجاعة والجرأة والإقدام.

ولكن هذا لا يمنع من استعمال خاصيّات غير مستعملة في ممارستنا اللغويّة اليومية وتسلّيط الضوِّء عليها من أجل توليد استعارات لغويّة جديدة، ولعلّ جانباً كبيراً من القدرة الإبداعية للشاعر يكمن في هذه الزاوية⁽¹⁸⁾

• ماهية الاستعارة الشعريّة من تطور العرفانيين:

إذا أردنا أن نتعرّف على هذه الاستعارة فإننا سنجدّها استعارة ينقل فيها الأسلوب من الطّريقة التّصويريّة من خلال المستوى الدّاعي إلى اثبات المتشابهة الظّاهرة والصّريحة إلى مستوى إثبات دعوى لا أصل لها في الواقع ولا طريق إلى تحصيلها فالأسلوب المستخدم فيها إيحائي، كثيف يتعذّر معه الرّجوع إلى ظاهرة المعنى والتّصريح بوجه المتشابهة بين الطّرفين، وعليه فهي تختلف عن سابقتها من حيث أنّ هذه الأخيرة ليس لها مقصدية خارج نصيّة أو غاية غير جماليّة. فهدها بين فني محض، وعليه فإنّ هذه الاستعارة تخلق علاقات سحرية، وتبنى على مشاهد مألوفة صورة مخالفة ومبهرة من حيث أنّك وأن تتعامل معها ترى الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبيّنة، والمعاني الخفية بادية جليّة، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها لا ناضر لها أعز منها، ولا رونق لها ما لم تزنها وتجد التّشبيهات على الجمل غير معجبة ما لم تكنها، إن شئت أرتك المعاني اللّطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانيّة حتى تعود روحانيّة لأنّها لا تتألها الظّنون، فالاستعارة الشعريّة هنا ومن خلال تعريف الجرجاني لها، يبرز مدى اشتغالها على تشكّل المعطيات الماديّة بمظاهر جميلة مغايرة عن المألوف، والملاحظ من خلال هذا القول مدى تركيز هذه الاستعارة على بعد التّخييل، والذي ينطوي عليها التّعبير الاستعاري والذي تحدّد قيمته وخصوصيّة الفنّيّة في قدرته العاليّة على تخييل المتشابهات واحداث وقع في النّفس البشريّة، لأنّ الأسلوب التّصويري ضمن هذا

النوع من الاستعارات لا يقوم على المقارنة بين الأشياء والظواهر ولا يقف عند مستوى الادعاء المحدود والسطحي الذي يجعل أحد الموضوعين شبيهاً بالآخر بل إنه يبالغ في الادعاء حتى يقارب بينهما ويجعلهما موضوعاً واحداً⁽¹⁹⁾ ويتوهم الرائي لهما في حالين أنه رأى شيئاً واحداً⁽²⁰⁾ فالفعل الجمالي المتوخى من هذا التشانج بين الحاصل بين الصورتين، مائل أمام العيان.

فالرؤية أساس الوجود الشعري للصورة، كما أن (الرؤيا) تصنع المفهوم الفني للوحة الإبداعية من حيث أن الرؤية والرؤيا محوران مقترنان يقتسمان حياة الشاعر ويصنعان شعره، والشعر رؤيا، كما أن الرؤيا شعر بمعنى ثانٍ⁽²¹⁾

وكلتا المفردتين تتبان بحضور هاجس الوصول إلى المعنى المتوخى من الأنا المبدعة والتي تؤدي "وظيفة فنية خاصة وهي الإيحاء"⁽²²⁾ الذي يصنع من آلة الخيال والتخييل وكذا الهوس الذي ينتاب المبدع أثناء قيامه بالفعل الإبداعي.

وفي هذا نستحضر أبيات شعرية، نتعل فيها جانبنا النظري.

يقول الشاعر: وهو يعبر عن (عظمة النظر) بأساليب متعددة.

1. ذكره في الأرض سار وفيه الشهرة العالمية.

2. اسألوا أسطول روما وفيه الإفحام والالزام

3. هز أعطاف الديار وفيه فرحة الشعب الغامرة

4. صارت الإسكندرية وفيه عزة الوطن الباهرة⁽²³⁾

في قول الشاعر: (ونصرًا هز أعطاف الديار)، نلاحظ أن جزئيات الرؤيا ماثلة في لفظه (النصر) من حيث هي نتاج فاعلية (الديار) من خلال تفعيل الفعل الاستعاري المحسوس على الملموس، فقد جعل للديار أعطافاً تهتز، وجعل النصر

شيئاً محسوساً له القدرة على أن يهز، باعتبارهما ممارسة إبداعية تشدّ الرّؤيا
لالتّماس البعد الفني الشّعري، غير فعل الخيال أو الحلم، حيث أن "الرّغبات
اللاشعورية التي تختمر داخل العمق النّفسي، مع ما يواكبها من انفعالات وذكريات
تشكّل المضمون الخفي للحلم" (24)

فالحلم والخيال يعدان بمثابة المولد الرئيس للاستعارات الشّعريّة، هذه الأخيرة
والتي استطاعت بفاعليتها الجماليّة أن تولد للمبدع عالماً جديداً وأن تغيّر رؤى
الإنسان المألوفة والمحدودة للواقع والأشياء وكذا قدرتها المهيمنة على النّفاذ إلى
أعماق النّفس الإنسانيّة وتحريكها، فقد عدّت هذه الأخيرة أقوى التّعابير المجازيّة،
وبخاصة عند (عبد القاهر الجرجاني) الذي رأى أنّها أفضلها وأعلاها شأنًا من
حيث هي تمثيل لأقوى الادعاء وأبلغ اثباتاً للمشابهة وتقريراً لها في النّفوس
والأوهام، يقول في هذا الإطار "إنّ الاستعارة وإن كانت تعتمد التّشبيه والتّمثيل
وكان التّشبيه يقتضي شيئين مشبها ومشبهاً به، وكذلك التّمثيل، لأنّه كما عرفت
تشبيهه إلّا أنّه عقلي فإن الاستعارة من شأنها أن تسقط ذكر المشبه من البيت
وتطرّحه، وتدّعي له الاسم الموضوع للمشبّه به، كما مضى من قولك "رأيت أسداً،
تريد رجلاً شجاعاً و"وردت بحرّاً زاخراً" تريد رجلاً كثير الجود فائض الكف، و
"أبديت نوراً" تريد علماً وما شاكل ذلك، فالاسم الذي هو المشبّه غير مذكور بوجه
من الوجوه كما ترى، وقد نقلت الحديث إلى اسم المشبّه به، لقصدك أن تبالغ،
فتضع اللفظ، بحيث يخيّل أن معك نفس الأسد والبحر والنّور، كي تقوم أمر
المشابهة وتشدّد (25)

وأما عن آليات هذه الاستعارة فقد "ضبط كل من (لايكوف/La Koff) و
(تيرنر/Turner) و(جيبس/Gibbs) و (سلطان/Z. Kovecse) الآليات التي يستعملها

الشاعر من أجل إنتاج لغة استعارية جديدة لا تواضعية إنطلاقاً من المعين الاستعاري المتواضع عليه وحددوها في أربع آليات:

2. التوسّع / Extending:

ويتمّ فيها الانطلاق من الاستعارة القاعدية لتتوسّع بعد ذلك مستخدمة في ذلك وسائل لسانية جديدة، فـ (البارودي) مثلاً يعبر عن استعارة (محالين) بتعابير لسانية جديدة وسّعت في هذه الاستعارة القاعدية يقول:

محالين ما أبقت عيون المها مني
فشبت ولم أقض اللبنة من سني⁽²⁶⁾

فهذه الاستعارة الشعرية، تنطلق من استعارة قاعدية هي (محالين)، لكنّ الشاعر لما جعل البين مسبب في المحب، أضاف إليها لازمة من لوازمها وهي عيون المها التي أكّدت شغفه للقاء.

والبارودي عبّر عن هذه الاستعارة القاعدية بتعابير لسانية أخرى
فإن أك فارقت الديار فلي بها
فؤاد أضلّته عيون المها عنّي⁽²⁷⁾

إذن فقد شبّه البين بإسنان يحو ثم حذف المشبه به وأبقى صفة من صفاته.

3. الإضافة / Elaboration:

وهي تعنى بإخراج عنصر من الميدان المصدر بطريقة غير مألوفة حتى إذا نسيت يا حبيبتي يوماً/ستبقى عشيقتي الكآبة، تلك التي لا تعرفينها/الحديقة/ البحيرة السحابة/ تلخ ثوبها على قصائدي/ تطل في ابتسامتي⁽²⁸⁾

انطلق الشاعر (محمد مفتاح الفيتوري) في هذه اللوحة الشعرية من استعارة قاعدية هي (ستبقى عشيقتي الكآبة) ولكنه بالغ فيها فعل (الكآبة) حتى جعلها تلازمه بوصفها (العشيقة) فتنعكس على ابتسامته، فالصورة الاستعارية هنا تكون "نتيجة القيمة الكامنة ضمناً في التعبير الاستعاري" (29) وهنا القول بأن "كل صورة شعرية تحتوي على قدر ما من الاستعارة، فهي تنظر من مرآة لا تتلقى مظهر الحياة فحسب، وإنما تمثل شيئاً من هاجس الحقيقة الكامنة وراء هذا المظهر" (30)

4. المسألة / Questioning

تتعلق من استعارة قاعدية، ولكن يتبعها شك وريب، مثال قول الشاعر لك وجه كأنه البدر لكن إذا كُشفَ وقوامُ كأنه الغُصنُ، لكن إذا قُصِفَ وعِذارُ كأنه النمل لكن إذا نُفِ وبنانُ، كأنه البحر لكن إذا نشِفَ (31)

✓ علاقة الاستعارة القاعدية والشعرية بالاستعارة الحاسوبية:

من أجل بسط العلاقة بين الاستعارة وبين الاستعارة واللغة والاحصاء والحاسوب لابد من وجود تقنيات حديثة، تسير بهذا المنطق، فتجعل اللغة أكثر قرباً من الانسان المتعلم، والذي بات لا يعترف بكل ما فيه مجهود ووقت، إذن فنحن نتحدث على وسائل التواصل الاجتماعي بمختلف أشكالها والتي تستخدم عن طريق الحاسوب هذا الجهاز الذي أصبح اليوم المرافق الدائم للفرد، فماذا نعني بداية بالحاسوب ثم ما علاقته باللغة؟

الحاسوب أو علم الحاسوب هو علم الأعداد، يقابله باللغة الإنجليزية (Computer) باللغة الفرنسية (Ordinateur) أي ناظمة آلية.

✓ تعريف الحاسوب:

فالحاسوب (Computer)، (Ordinateur) هو عبارة عن جهاز إلكتروني قابل للبرمجة، يقوم باستقبال البيانات ومن ثم معالجتها ومن ثم تخزينها أو إظهارها للمستخدم على إشارات إلكترونية⁽³²⁾

ونحن ما يهمنا في هذه الدراسة التعرف أولاً على (اللّسانيّات الحاسوبية) والتي تجمع بين اللّسانيّات وعلم الحاسوب، أي تدخل فيما يسمى بـ (تخصص البرمجة الحاسوبية) Computer Science وهو نشاط حاسوبي يعتمد على المعلومات اللّغوية، ويتم برمجة ما يعرف بمعالجة اللّغات الطّبيعيّة Natural Language Processing والتي تشمل: التّرجمة الآليّة، فهم النّصوص القراءة الآليّة التعرف على المحارف والأصوات، إنتاج الأصوات آلياً، الاملاء الآلي التّدقيق الإملائي والنحو، المكشاف السياقي Concordance وغيرها وهذا كلّ ما هو إلّا حوار آلي يحتاج إلى وجود تقنيات الذّكاء الاصطناعي Artificial Intelligence.

إذن فاللّغة "جوانب عدّة لا بد أن تشغل في البحث فيها هندسة اللّغة الحديثة وذلك مثل التّركيب الاصطناعي والادراك الآلي له، وبذلك يتمّ تطبيق الأجهزة وخاصّة الحاسوب⁽³³⁾ ومن هنا جاءت اللّسانيّات الحاسوبية أو الرّتابيّة Linguistique, Computationnelle لتقوم بخلق عالم مدمج بين علوم اللّغة وعلم الكمبيوتر في عالم واحد، وهذا عن طريق الاستفادة من معطيات الحاسوب في دراسة قضايا اللّسانيّات المتعددة، مثل: رصد الظواهر اللّغوية وفقاً لمستوياتها، الصّوتية، الصّرفيّة، النّحويّة، البلاغيّة، والعروضيّة، وإجراء العمليات الإحصائيّة، وصناعة المعاجم والتّرجمة الآليّة وتعليم اللّغات⁽³⁴⁾

وبهذا فمهمتها معالجة اللّغة الطّبيعيّة آلياً، أي بوضع دماغ آلي قادر على استعمال اللّغة مثلما يستعملها الانسان، أي "ترجمة اللّغة إلى رموز رياضيّة يفهمها

الحاسوب، أو تهيئة اللغة الطبيعية لتكون لغة تخاطب وتداول مع الحاسوب بما يفضي إلى أن يؤدي الحاسوب كثيرًا من الأنشطة اللغوية التي يؤديها الإنسان مع إقامة الفرق في الوقت والكلفة⁽³⁵⁾

نفهم من هذا أننا أمام معادلة ثلاثية الأطراف

اللغة ← الرياضيات ← الحاسوب أي أنه يتم تحويل الحروف والأصوات والألفاظ إلى رموز رياضية، ليتم التعامل معها حاسوبيًا، يقول (عبد الرحمن الحاج صالح) في هذا "إن أكبر غلط يمكن أن يرتكبه الباحث في هذا الميدان، هو أن يعتقد أن التحليل اللغوي مهما بلغت أهميته هو شيء ثانوي بالنسبة للصياغة الرياضية، وقد لا يصرح غير لغوي بذلك، إلا أن عمله وأفعاله قد تدل على غير ذلك في الكثير من الأحيان"⁽³⁶⁾ وعليه فاللغة الحاسوبية هي تحويل اللغة إلى مجموعة من الرموز ليتمكن الحاسوب من التعامل معها.

هذا وإذا رجعنا إلى البدايات الأولى لهذا العلم المنقرّد، فسنعود إلى أستاذ علم الدلالة الأمريكي (د. زارتنناك / M.Zarechnak) وإلى (مركز التحليل الآلي للغة بمدينة كالارات / Galarat) الإيطالية، الذي كان يشرف عليه (روبارتو بوزا / Roberto Busa) حيث وضع سنة 1962، الدعائم الأولى لاستخدام الحاسوب في دراسة اللغة، وشهد بعد ذلك تزايد افتتاح المراكز الحاسوبية للغة في كل من أوروبا والاتحاد السوفياتي⁽³⁷⁾

أما بالنسبة للعرب فالفضل الأول يعود للدكتور (إبراهيم أنس) الذي تساند مع الدكتور (علي حلمي موسى) أستاذ الفيزياء في جامعة الكويت لي يقيما بحوسبة معجم (الصّاح للجوهري)، وتعدّ هذه المبادرة، بمثابة قنبلة تدميرية في العالم العربي لأنها فتحت هذا المجال أمام الباحثين والمتخصصين في المجالين، المجال اللغوي والمجال العلمي ليتعاونوا على إعطاء صبغة جديدة للغة الأم (العربية).

ولكي تتمكّن اللغة العربيّة من الانفكاك من الجمود الذي بات يهدّد كيانها، ولتعود إلى الانبعاث من جديد وتحتل المراتب الأولى في العالم من حيث الاستخدام والتّعامل، كان لا بدّ من استغلال المفاهيم النظريّة والتّطبيقية للسانيات العامّة ودمجها بعلوم دقيقة (رياضيات، فزياء)، وذلك لإثراء البحث اللّساني الحاسوبي، والذي لا بدّ أن يمرّ بثلاث مستويات (38)

✓ مستوى الميكانيزم:

يعني بوصف المهام التي تقوم بها العناصر الماديّة للدّماغ، وهنا بطبيعة الحال يقصد الدّماغ الآلي.

✓ مستوى الخوارزمي:

وهي وصف الخوارزمية التي تتحكم في نشاط الجهاز، وتتبع هذه المقاربة عدّة تشكيلات وعمليات ممكنة وغير محدودة بما أنّها على ارتباط بالجهاز المتوفّر.

✓ المستوى الحاسوبي:

ويمثّل أعلى مستويات التجريد ووظيفته تحليل المشاكل في إطار معالجة المعلومة وهذا يعني تحديد ما أمكن حسابه وتوفير نماذج رياضية للمشاكل.

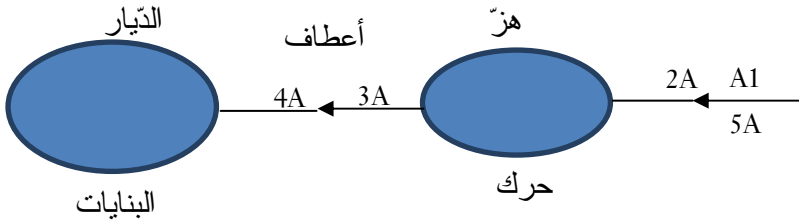
فإذا أردنا أن نسير على نفس الفكر النّمودجي الذي قدّمه (شومسكي) في أنّ "اللغة - باختصار- يبدو أنّها في جوهرها نظام حوسبي غني معقد البنية بدقّة كاملة وصارم في عملياته الأساسيّة" (39) فإننا سنحاكي الفكر الباطني في ترجمة الاستعارات القاعدية والشعرية إلى مخطط رياضي حاسوبي.

نأخذ على سبيل المثال، الاستعارة اللّغوية التي أخذناها كنموذج للدراسة في هذه المدخلّة

هزّ أعطاف الدّيار وفيه فرحة الشّعب الغامرة

- هزّ أعطاف الدّيار
- حرك أعطاف الدّيار
- هزّ أعطاف المساكن
- حرك أعطاف المساكن
- هزّ أعطاف البنايات
- حرك أعطاف البنايات

A1 إلى A5 نمثل إلى طريقة توليد الاستعارة من الجملة الأولى إلى الجملة النهائيّة



نموذج الاستعارة الشعريّة الحاسوبية

إذن من خلال هذا النموذج، يمكن اعتبار "الحاسوب وسيلة من وسائل تقييس النّماذج المعرفيّة لأنّ المشتغلين بالبرمجيات في إطار الذّكاء الاصطناعي ذلك المجال الذي يحاول فيه المتخصّصون جعل الآلات تؤدي مهام تعتمد عادة على العقل"⁽⁴⁰⁾ فالحاسوب يعمل وفق نظام يقوم على التّرجمة، حيث يزود ببرمجيات دقيقة تعمل على ترجمة النّصوص من خلال تزويدها بمؤثرات لغويّة معينة تجعل الآلة قادرة على قراءة ما ينتجه الانسان من نصوص فنيّة، وذلك بعد أن تؤدي هذه المؤثرات وظيفة تتميط ما يقوم به العقل البشري من فهم المجاز وتحليل أنواعه.

ولا يمكننا أن ننهي هذا الباب دون الحديث عن العمل الجاد المقدم من قبل (د. عشري محمد علي) من خلال كتابه (صور الاستعارات في الشّعر العربي المعاصر) من خلال وجهة نظر إحصائيّة حاسوبية، فقد وضع هذا الأخير نمط

رقمي يمكن معالجته بالحاسب الآلي لأشكال الاستعارات الشعريّة، وما يرتبط بها من أنماط لغويّة سواء كانت صرف أو نحو أو دلالة.

فهناك الأنماط الصرّفيّة نحو: الاستعارة في الاسم والاستعارة في الفعل، والاستعارة في الظرف والاستعارة في الأدوات والضمير ... وغيرها.

الهوامش:

(¹) د. عطية سليمان أحمد: الأشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظريّة العرفانيّة والمزج المفهومي والتداوليّة (سورة يوسف أنموذجاً) الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة 2015، ص 131.

(²) جواد ختام: التداوليّة أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط 1، 2016، ص 61.

(³) حنفي عيسى: محاضرات في علم النفس اللغوي

(⁴) عبد الله الحراصي: دراسات في الاستعارة المفهوميّة، كتاب مجلّة، نزوي، أفريل 2002، ص 41.

(⁵) عبد المجيد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحدائيّة، دار تبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2000 ص 46.

(⁶) Lakoft. 1993. P. 208- 209.

(⁷) La Koft and truner, More. Than. Cool Reason. Afield. Guid. TA. Poetic Metaphor. Op. PP. 6. 13.

(⁸) Kovecses, 2010, P 324

(⁹) Kovesse. Metaphor, Apractical Introduction, op, cit P4.

(¹⁰) عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعاتي ، شراع للدراسة، التوزيع دمشق، سوريا، ط2، 1996، ص 45.

(¹¹) ماكلوفسكي ألكسندر: تاريخ علم المنطق، ص 116-117.

(12) ماكلوفسكي: تاريخ علم المنطق، ص 119.

(13) م ن، ص ن.

(14) م ن، ص 129.

(15) م ن، ص 48.

(16) لحميدان، حميد: سحر الموضوع، عن النّقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، أنفو، بيروت، لليدو، فاس 2014، ط2، ص 33.

(17) زايد، علي عشري: قراءات في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر 1998 ص 48.

(1) محمد الصّالح البوعمراني: استعارة القوة في أدب حبران خليل جبران (مقاربة عرفانية) مكتبة علاء الدّين صفاقص، تونس 2016، ص 04.

(19) د. يوسف الادريسي: مفهوم التّخيل في النّقد والبلاغة العربيين، الأصول... والامتدادات، المملكة العربيّة السّعوديّة، الرّياض، ط1، 2015، ص 228.

(20) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود شاعر، مطبعة المدني، دار المدني، جدة ط1، 1991، ص 252.

(21) الصّانغ عبد الإله: الخطاب الشعري الحداثي والصّورة الفنيّة، الحداثة وتحليل النّص، المركز الثّقافي العربي، دار البيضاء المغرب، ط1، 1999، ص 59.

(22) زايد علي عشري: قراءات في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، 1418هـ — 1998م، ص 51.

(23) د. عبد الحميد طلب، موافي عطية هوافي: الصّدق في اللّغة العربيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة الجزائر 1979، ص 191.

(24) فليكوس، جان كلود: الآفاق الرّمزيّة للحلم، و نحو منهجيّة علميّة لتفسير مضمون الحلم ودلالات النّفسيّة، تر، على وطفة: البيان ع 356 مارس 2000، ص 09.

- (25) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 577-578.
- (26) د. عبد الحميد طلب: مرجع سابق، ص 24.
- (27) د. عبد الحميد طلب: مرجع سابق، ص 24.
- (28) د. شراف د. عبد الله العشي: جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2003-2004، ص 180.
- (29) فضل صلاح: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1998، ص 311.
- (30) نفسه ص 318.
- (31) محمد الصالح البوعمراني: استعارة القوة في أدب، جبران خليل جبران، ص 47.
- (32) وسام مكي كاظم علوش: مقدمة عامة عن الحاسوب، جامعة بابل/كلية القانون 2004/02/12
- على الساعة 00:27:33، شبكة جامعة بابل 2019 على الساعة 10:30.
- (33) عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ح 2، د ط، للنشر، الجزائر 2007 ص 125.
- (34) عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ط 1، دار الصفاء، الأردن، 2002، ص 181.
- (35) اللسانيات مجلة علوم اللسان وتكنولوجيا العادات 14، 15، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية الجزائر 2008-2009، ص 84.
- (36) عبد الرحمن الحاج صالح: مرجع سابق، ص 85.
- (37) عبد الرحمن حسن العرف: توظيف اللسانيات خدمة للدراسات اللغوية العربية، مجلة اللغة العربية الأردن عمان 2007، ع 73، ص 49.
- (38) رضا بابا أحمد: اللسانيات الحاسوبية، مشكل المصطلح والترجمة، مخبر المعالجة الآلية للغة العربية الجزائر، د ط، د ت، ص 19.
- (39) تشومسكي: (نوم) المعرفة اللغوية: طبيعتها وأصولها واستخدامها، تر: محمد فتوح، دار الفكر العربي القاهرة، ط 1، 1993، ص 107.
- (40) Malmkjaer (Kirsten) The linguistics encyclopedia, op. cit. pp. 28-29.

الاستعارة المفهومية تمثلاتها الفكرية وقدراتها الإنجازية

د. عبد القادر حمراي

ج. حسبية بن بوعلی بالشلف

الملخص:

تعدّ اللغة من أدقّ وأرقى الوسائل المعبرة عن انشغالات الإنسان ومتطلباته الفكرية ونوازعه النفسية. ففيها من الطاقات التعبيرية الخلاقة ما يؤهلها للتعبير عن اللامحدود من المعاني بالمحدود من الألفاظ، بطريقة رياضية قائمة على مختلف الاحتمالات الممكنة للتأليف بين الوحدات على سبيل الحقيقة أو المجاز الذي يمثل حيوية اللغة وسرّ عطائها الذي لا ينضب معينه، ولا تبلى سرائره. وبخاصة إذا تعلق الأمر بالنسق الاستعاري الذي يقوم على براعة التأليف بين المتباعدات وتجسيد المجردات. وما ينجم عن ذلك من قوة الدفق الدلالي والشحن المعنوي ذي الطاقات الإيحائية المثيرة لكوامن العقل والوجدان عبر أساليب البيان التي تجمع بين حجية الإقناع وجماليات الإبداع. ونظرا لهذه الخصوصية التي تضمنتها الاستعارة المفهومية فقد حظيت بدراسة متميزة في حقل اللسانيات العرفانية التي منحتها تفسيراً علمياً دقيقاً يأخذ في الحسبان مختلف العمليات الذهنية ذات الصلة بعملية التحليل اللغوي وعلم النفس والخيال وكلّ ما تقوم عليه البنية التصورية، حيث لا انفصال بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام. من هذا المنظور يمكن القول بأنّ الاستعارات بنيات لسانية تصويرية تعكس قوة إبداعية خاصّة تؤطرها كثافة التفاعل الحاصل بين عوالم الذات المنتجة للخطاب واللغة والوجود المنطبع في

مرآة التجربة الإنسانية السارية في الأنساق اللسانية. وهو ما نودّ الكشف عنه عبر تلك العلاقات التلازمية التي يمكن استثمارها من خلال قواعد التركيب والإسقاط.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة المفهومية، اللسانيات العرفانية، البنية التصورية العلاقات التلازمية قواعد الإسقاط.

تعدّ قضية المجاز بصفة عامّة والاستعارة بصفة خاصّة من أبرز القضايا التي نالت اهتمام المفكرين اللغويين والفلاسفة والمتكلمين قديما وحديثا. ولئن كانت قضية المجاز في موروثنا البلاغي والديني قد مثّلت ذروة الصراع الفكري بين الفرق الكلامية وما ترتّب عن ذلك من فهم الخطاب واستنباط الأحكام وما أفرزته من مذاهب لا يزال مفعولها ساريا في فهم النصّ وإن خمدت جذوة البحث في أنساقه البلاغية وتفرعاته الفكرية على خلاف الغربيين الذين تعمّقت بحوثهم بشكل لافت للأنظار في هذا العصر فلم تعدّ قضية الاستعارة ظاهرة بلاغية يتمّ فيها توظيف كلمة مكان أخرى لجامع بينهما بل غدت ظاهرة ذهنية تعكس تفاعل العقل البشري مع المجرّدات واستنطاق الجمادات، والتعبير عن خلجات النفس ومكامن الوجدان. وقد سعت كثير من البحوث إلى استكشاف الاستعارة وسبر أغوارها في أبعادها الفكرية والجمالية. ومن العوامل التي دفعت الباحثين إلى إثراء البحث في حقيقة الاستعارة واستقصائها تطوّر البحث العلمي في كثير من المجالات ذات الصلة بهذا المعطى البياني وهي كثيرة جدّا. إذ لم تعدّ الاستعارة حكرا على أهل اللغة والأدب بل صارت من توجّهات علوم أخرى كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والأنثروبولوجيا... إلخ.⁽¹⁾ ولعلّ كتاب " الاستعارات التي نحيا بها " على سبيل المثال لجورج لاکوف ومارك جونسون الصّادر عام 1980 قد قدّم تفسيراً نوعياً معمّقا مفاده أنّ الاستعارة ظاهرة ذهنية يتمّ تناولها في مختلف مجالات الحياة على شكل إسقاطات. وبهذا تكون ظاهرة الاستعارة قد شغلت عقول الباحثين من فلاسفة

ولغويين ومتكلمين، حيث نظر إليها كل فريق منهم من زاوية تخصّه لذلك تعددت نظرياتها وتباينت تفسيراتها. ومردّد ذلك الاهتمام إلى أنّ الاستعارة تمثّل جزءاً من البنية تصوّريّة للإنسان الذي لا يمكن له أن يحيا من دونها. لقد عبّرت عنها مقاربات لسانية عديدة حاولت الوقوف على خصائصها التركيبيّة، ومقاصدها الدلاليّة، ومجالاتها التداوليّة من خلال سؤال المعنى الذي سيظلّ حادي التفكير الإنساني.

الاستعارة في البلاغة القديمة:

يقوم النسق الاستعاري في الفكر البلاغي القديم على مبدأ النّقل والاستبدال. نلاحظ ذلك جلياً في في الدّراسات اليونانيّة والعربيّة القديمة. ففي الفلسفة الأرسطيّة يقوم هذا التّصوّر على مبدأ المشابهة والإعارة مثلما يُفهم ذلك من قول أرسطو: "المجاز نقل اسم يدلّ على شيء إلى شيء آخر. والنّقل يتمّ إمّا من جنس إلى نوع أو من نوع إلى جنس. ومن نوع إلى نوع. أو بحسب التّمثيل." (2)

وهي في الموروث البلاغي العربي ضرب من النّقل والاستبدال مثلما يفهم من دلالتها الحرفيّة للمصطلح. تقوم على الإمعان في التّشبيه والمبالغة فيه. فهي عند الجاحظ (ت200هـ): "تسميّة الشّيء باسم غيره إذا قام مقامه." (3) وقد بيّن القاضي الجرجاني (392هـ) آليتها والغرض منها فقال: "الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت مكان غيرها وملاكها تقريب الشّبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا توجد منافرة بينهما، ولا يتبيّن في أحدهما إعراض عن الآخر." (4)

وركّز أبو هلال العسكري (395هـ) على توضيح أغراضها وقضل بلاغتها على الحقيقة في بيانها فقال: "الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره لغرض. وذلك الغرض إمّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين

المعرض الذي يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة. ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً.⁽⁵⁾

وقد سار البلاغيون العرب على هذا المنوال في فهم الاستعارة ووضع حدودها التي توحى بتعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة ومن ثم فهي عملية استبدالية في جوهرها. وقد عارض هذه الفكرة عبد القاهر الجرجاني (471هـ) مفنداً أن تكون العملية هي انتقال من أصل إلى فرع، ومثبتاً أنها عملية ادعائية أي ادعاء معنى لمعنى آخر. وفي هذا يقول: "وإطلاقهم في الاستعارة أنها نقل العبارة عما وضعت له من ذلك فلا يصح الأخذ به، وذلك أنك إذا كنت لا تطلق اسم الأسد على الرجل إلا من بعد أن تدخله في جنس الأسود من الجهة التي بيتا لم تكن نقلت الاسم عما وضع له بالحقيقة لأنك إنما تكون ناقلاً إذا أنت أخرجت معناه الأصلي من أن يكون مقصودك ونفصت به يدك، فأما أن تكون ناقلاً له عن معناه مع إرادة معناه فمحال متناقض."⁽⁶⁾ مدلول هذا الكلام أن عملية النقل لا ينبغي أن ينظر إليها على أنها نقل للمعنى الأصلي في المستعار بل يجب أن يحمل ذلك على جهة التأويل أو ما يُعرف عند بعضهم بالاستدلال البلاغي الذي نستوحيه من تعليل عبد القاهر: "وذاك أن موضوعها على أنك تثبت بها معنى لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ ولكنه يعرفه من معنى اللفظ، بيان هذا أنا نعلم أنك لا نقول رأيت أسداً إلا وعرضك أن تثبت للرجل أنه مساو للأسد في شجاعته وجراته وشدة بطشه وإقدامه. ثم نعلم أن السامع إذا عقل هذا المعنى لم يعقله من لفظ الأسد ولكنه يعقله من معناه."⁽⁷⁾

لقد فسرت الاستعارة في تراثنا العربي عبر نظرتين اثنتين، أولاهما: فكرة النقل الاستعاري التي اتكأت على الدلالة اللغوية التي تدل على أن الاستعارة مأخوذة من العارية. وثانيهما: فكرة الادعاء التي نادى بها عبد القاهر الجرجاني الذي يرى أن

المجاز لا يتم على مستوى المعاني انسجاما مع فلسفة نظرية النظم التي أرسى دعائمها. وهو يرى أن الدلالة نوعان هما: المعنى ومعنى المعنى. والمراد بالمعنى الدلالة المفهومة من ظاهر اللفظ من دون واسطة. وبمعنى المعنى هو الانتقال من المعنى الأول الذي يرشح من اللفظ إلى معنى آخر. فإذا قلت: رأيت أسدا تكون قد ادّعت أن ذلك الشخص المرئي أسد بجامع الشجاعة والقوة. وقول الشاعر: "إذ أصبحت بيد الشمال زمامها." هو محض ادّعاء وتصور بأنّ للشمال يدا. والواقع أنّه لا يمكن أن تكون للريح يد.⁽⁸⁾

هكذا نرى أن الجرجاني يبطل أن يكون النقل حرفيا لأن حركة النقل يليها إنتاج للمعنى من المعنى الأول والمتمثل في صفات الشجاعة والإقدام. لاشك أن هذا التعمق في فهم الاستعارة يجعله قريبا مما نادت به النظرية التفاعلية فهو يدرك تمام الإدراك أن بين الموجودات روابط وصلات تتجلى في العلاقة الرابطة بين المستعار والمستعار له. وعليه فإن الصلة بين طرفي الاستعارة هي صلة دلالية وقد جلى ذلك بقوله: "فأنت تستعير معنى الأفضل لما هو دونه. ومثاله استعارة الطيران لغير ذي الجناح إذا أردت السرعة وانقضاض الكواكب للفرع إذا أسرع في حركته من العلو. والسباحة لأنه إذا عدا عدا كان حاله فيه شبيها بحال السباح في الماء. ومعلوم أن الطيران والانقضاض والسباحة والعدو كلها جنس واحد من حيث الحركة على الإطلاق. إلا أنهم نظروا إلى خصائص الأجسام في حركتها فأفردوا حركة كل نوع منها باسم. ثم إنهم إذا وجدوا في الشيء في بعض الأحوال شبيها من حركة غير جنسه استعاروا العبارة من ذلك الجنس فقالوا في غير ذي جناح طار. كقوله: وطرت بمنصلي في يعملات. وكما جاء في الخبر: كلما سمع هيعة طار إليها."⁽⁹⁾

لقد أدرك عبد القاهر بحدقه حقيقة التفاعل والتماهي الذي يحدث بين الحقول الدلالية فينجم عنه تكاثر في دلالة الألفاظ في سياقاتها المختلفة. هذه الخاصية التي تعكس رغبة الإنسان في التوسع الدلالي من خلال التفاعل المستمر بين اللغة والفكر.

لقد استوعب السكاكي فكرة الادعاء التي أثبتتها عبد القاهر وجعلها علامة فارقة في تعريفه للاستعارة حيث قال: "أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به."⁽¹⁰⁾

الاستعارة عند الغربيين المحدثين:

إنّ التطور الذي عرفته البلاغة الجديدة في فهم أساليب البيان ومنها الاستعارة وكيفية حدوثها وآليات تفسيرها وطريقة اشتغالها كان وليد تفاعل مكثف بين علوم اللسان وسائر حقول المعرفة الإنسانية. وقد نجم عن هذا التفاعل بروز تفكير معمق في سيرورة النسق الاستعاري، ومسالك بنائه الذهني ومعمارهِ المعرفي. لقد أسهمت تلك البحوث المعقدة في تخليص البلاغة بصفة عامة من ربة التصورات المعزولة عن روافد التصور الاستعاري في أبعاده النفسية والاجتماعية والسياقية. حيث أسهم علم النفس الإدراكي في الكشف عن أنظمة الإدراك الذهني للمعرفة وتحديد مساراتها وتوضيح آليات اشتغالها.

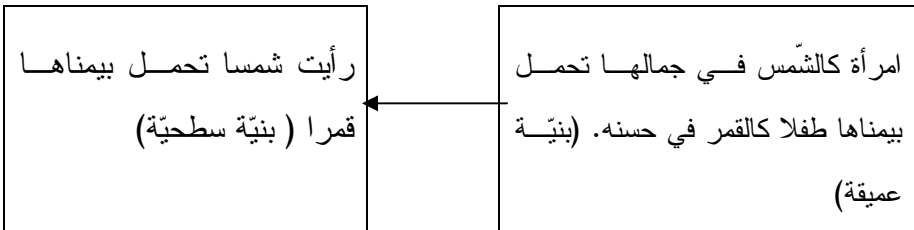
لإشارة فإنّ نظرات النقاد الغربيين إلى الاستعارة قد تباينت فمنهم من يرى بأنّ " الاستعارة تزود القراء برؤية عميقة لما وراء ظواهر الأشياء وجوهرها. أمّا الثّانية فتتنقص من شأن الاستعارة ولا تعتبرها إلاّ ضرباً من الزخرفة اللغوية المضلّة للقراء."⁽¹¹⁾

لقد مثّلت الاستعارة لدى الفريق الأول مظهرا من مظاهر اللغة الإبداعية التي تنفذ إلى حقائق الأشياء وبواطنها من دون الوقوف عند أشكالها ومظاهرها الخارجية. فلو قلت: حاورت بحرا بهرني حسن بيانه. لكان القصد غير البحر المعروف على وجه الحقيقة. إنما جملة من صفاته التي تزيد المرء رفعة وتجمع له صفات الحلم والعلم بجامع رحابة الصدر، وعدم تكدر صفوه مع موفور العلوم والمعارف التي لا تسبر أغوارها. فكلوريدج يرى أنّ الاستعارة مرآة عاكسة لقدرة الخيال على رصد دلائل التشابه في الكون ، إنها وسيلة تعيد تشكيل الكون عن طريق خلق واقع جديد.

وعلى النقيض من هذا يذهب الفريق الآخر إلى أنّ الاستعارة ليست إلاّ ضربا من الزخرف اللغوي المضلل الذي يحجب عنا إدراك العالم الخارجي الذي لا يمكن إدراكه إلاّ عبر اللغة الواضحة التي تركّز على التواصل المباشر المفيد. أمّا تفسير حقيقة الاستعارة فيمكن حصره في ثلاث نظريات وهي:

01- نظرية الاستبدال:

وفحواها أنّ كلّ استعارة تتضمن تناقضا ما، يدفع المتلقي إلى إيجاد تأويل يرفع الإشكال. فقولنا: رأيت شمسا تحمل بيمنها قمرا. يقرأ ضمنا رأيت امرأة كالشمس في جمالها تحمل بيمنها طفلا كالقمر في حسنه. ولعلّ استحالة الفهم الحرفي للعبارة يدفع المتلقي إلى إعادة تشكيلها وفق ترتيب ينتظم في العقل بما يحقق القصد من الكلام. ويمكن رسم معالم هذه العملية كالآتي:



02- نظرية التشبيه:

مضمون هذه النظرية هو أنّ الاستعارة تجلّي الصفات الجامعة بين المستعار والمستعار له. فالجامع بين طرفي الاستعارة في المثال السابق هو الحسن والجمال بين كلّ من المرأة والشمس من جهة ، والولد والقمر من جهة أخرى. " وهناك صورة معدّلة من نظرية التشبيه اقترحها تفيرسكي وأيده فيها أوركوني . ترى أنّ القارئ لا يفهم الاستعارة إلّا عبر استرجاع الفوارق بين الموضوع والصورة في الاستعارة أي أنّ القارئ يزن وجه الشبه في ميزان الاختلافات. وحسب هذه النظرية فإنّ القارئ يشعر بشيء من المفاجأة الجمالية أو الإدهاش لغرابة الربط بين الصورة والموضوع."

03- نظرية التفاعل:

تذهب هذه الرؤية إلى أنّ النسق الاستعاري يتمّ على مستوى الجملة أين تتفاعل الكلمات فيما بينها وينتج عن ذلك المخاض جمال الاستعارة. " إنّ الاستعارة الجيدة تؤثر أحيانا في منتجها وتذهله وتستولي على لبه. نودّ أن نقول أننا بالاستعارة نحصل على ومضة بصيرة ولسنا مجردّ مقارنين بين (س) و (ص) أو أننا نتعامل مع (س) على أنّه (ص)".⁽¹²⁾

نبّه الغربيون إلى أهمية عنصر التّداول في النسق الاستعاري الذي تستدعي فيه حضور المتكلّم والمخاطب والمقام، حيث تتفاعل تلك الأطراف لبلوغ الهدف بعد سلسلة من الاستدلالات والتأويلات التي تستند إلى المرجعية اللغوية والاجتماعية رابطة إتيها بالسياق. " إنّ تأويل الاستعارات عند أمبيرتو إيكو يرتكز على تخيل عوالم ممكنة حيث تسيل الورد ولا يمكن أبدا أن تؤخذ بشكل مناف للمعنى الواقعي، ولا يمكن أن نفرض شروطا خيالية نستند إليها في القول بأنّ المؤول لا يقصد قول الحقيقة، فمن خلال الفعل التأويلي نقرّ أنّ قراءة الملفوظ يجب أن تكون استعارية، وليس النظر إليها

من حيث تطابقها مع الواقع.⁽¹³⁾ وعلى هذا الأساس فإنه لا بدّ من مراعاة قصديّة المتكلّم لبلوغ الهدف من خلال التّأويل الاستعاري الذي يتمّ عبر التّفاعل بين النّص والمؤوّل الذي تتدخّل معارفه في عمليّة التّحليل والاستنتاج.

— الاستعارة عند سورل (J. Searl): يميّز "سورل" بين معنيين اثنين للجملة هما:

01 — المعنى الحرفي للجملة.

02 — المعنى الدّلالي النّاجم عن قصد المتكلّم.

حيث تتحكم المقصديّة من الاستعارة في توجيه المعنى صوب الهدف المنشود من الكلام . على ضوء هذه الرّويّة استبعد "سورل" فرضيّة ازدواج المعنى داخل الجملة من خلال الدّلالة الحرفيّة والدّلالة الاستعاريّة لها. فالمتكلّم عند توظيفه للنّسق الاستعاري لا يقصد إلّا شيئاً واحداً يجب أخذه بعين الاعتبار.⁽¹⁴⁾ من هذا المنظور يرى "سورل" أنّ تأسيس نظريّة للاستعارة يقوم على تحديد الكيفيّة التي تربط بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الاستعاري لها. ولكي يقف المتلقي على قصده لا بدّ له من دراية باللّغة وطرق استعمالها.

الاستعارة والنّظريّة العرفانيّة:

عرف مفهوم الاستعارة في الدّراسات الغربيّة الحديثة منحى متقدّماً جدّاً عمّا كان عليه قديماً فلم تعد الاستعارة ظاهرة لغويّة قائمة على النّقل والاستبدال، بل أصبحت عمليّة إدراكيّة مرتبطة بالذهن الذي يؤسّس لأنظمتنا التّصوريّة من خلال تجربتنا الحيائيّة. فالاستعارة في حقيقتها ذات طبيعة تصوّريّة تعتمد على الذّهن في إدراك الأشياء حتى تلك التي لم نرها من قبل. من هذا المنظور تكون الاستعارة حاضرة في حياتنا اليوميّة . ولا شكّ أنّ التّنبية إلى هذه الفكرة يمثّل ثورة علميّة

أحدثها العرفانيون في تصوّرنا للاستعارة وحقيقة الإنسان وعلاقته بالعالم واللغة والثقافة. (15)

أسس النظرية الاستعارية عند العرفانيين:

أسهمت النظرية العرفانية في الكشف عن عمل العقل في بناء الصورة الاستعارية. وقد أوجدت هذه الأخيرة مجموعة من الأسس التي تركز عليها في تفسير توجهاتها بخصوص ماهية الاستعارة، منها:

01 — قيام النظام التّصوّري في معظمه على أسس استعارية.

02 — الاستعارة في حقيقتها ذات طبيعة تصوّرية، وما الاستعارة اللّغوية إلّا تجلّ من تجلياتها.

03 — تكمن وظيفة الاستعارة في تمكيننا من تصوّر أفضل للأفكار المجردة.

04 — عنصر المشابهة ليس قائما في الأشياء بل في تفاعلنا معها.

الاستعارات التي نحيا بها وليدة تصوّراتنا الثقافيّة، وكلّ استعارة خارج التّصوّرات الثقافيّة التجريبية قد تودّي إلى عمليّة الفهم والتّواصل. (16)

كيفية بناء الاستعارة عند العرفانيين:

يتمّ بناء النسق الاستعاري لدى العرفانيين عبر عمليتين اثنتين، أولاهما: عمليّة ذهنيّة تصوّريّة للفكرة الجامعة بين مختلف المكوّنات الأساسيّة لرسم معالم الاستعارة. وثانيهما: عمليّة لغويّة يتمّ فيها اختيار القلب اللّغوي الذي تتمظهر فيه الاستعارة حيث يتجسّد النطق بها وإجراؤها عبر ألفاظ لغويّة. وعلى هذا الأساس " يجب أن نميّز مع العرفانيين بين الاستعارة القاعدية التي هي استعارات تصوّريّة، وبين التّجليات اللّسانية لهذه الاستعارات . فالاستعارات تبين نظامنا الصّوري

واللغة هي إحدى الآليات التي من خلالها تتجلى هذه الاستعارات التصويرية، أو لنقل بعبارة العرفانيين: إن الاستعارات التصويرية طريقة في التفكير ، وأنّ التعابير الاستعارية طريقة في الكلام.⁽¹⁷⁾

البنية التصويرية وأثرها في التبليغ:

إنّ البنية الدلالية السارية في اللغة مصوغة بطريقة تسمح للذهن بتنظيم التجارب ومختلف المعارف والإدراكات وهذا ما يعرف بالبنية التصويرية، لأنّ تحديد العلاقات الدلالية يدفعنا إلى توظيف عناصر غير لغوية لإحداث ذلك التّصور حول اللفظ في الذّهن وفي هذا المستوى من التمثيل الذهني الذي نعبر عنه بالبنية التصويرية تتسجم المعلومات اللغوية والحسية والحركية. وفيه يحدث الرّبط بين سائر التجارب الفكرية والحسية والألفاظ التي تدلّ عليها وينجم عن ذلك انصهار كلّ الأطراف فيما يسمّى بالبنية التصويرية، لهذا يمكن القول بأنّ " النظرية الدلالية للغة الطبيعية جزء فقط من النظرية العامة للبنية التصويرية، وقواعد سلامة الدلالة مجموعة فرعية لقواعد سلامة التّصورات والبنى الدلالية الناتجة عن تطبيق قواعد الإسقاط طبقة خاصة من التّصورات.⁽¹⁸⁾

- إنّ البنية التصويرية الناشئة في ذهن الإنسان وليدة جملة من المعارف والتجارب التي تنظمها اللغة ويكون للمجاز دور فعّال في بنية الأنساق التصويرية التي تكون استعارية في طبيعتها. إنّ إدراكنا للأشياء يتمّ حسب بنيّتنا العقلية وتفاعلنا معها. هذا يعني أنّ عقولنا تضع أبعادا للأشياء كي تدركها. يتمّ ذلك بالقياس إلى ما يحمله الفكر من ثقافة وتجارب ومعارف لذلك يبدو الاختلاف واضحا في تصوّرنا للأشياء. وكذا في فهمنا للنصّ الذي يمثّل مجالا لممارسات دالة تجمع بين مختلف العلاقات الذاتية والاجتماعية التي تتضمن أنساقا استعارية توظف لاقتصاد الميولات التي يقتضيها النصّ ضمن مجموعة من الأطر اللسانية

والمفاهيم الاجتماعية⁽¹⁹⁾ التي ترفد بعضها بعضا خدمة للفكرة المراد إجلاؤها على عتبة الفكر. وبهذا يمكن القول بأنّ " البنية الكلية للاستعارة تشكّل مضمونا معرفيا ، وطاقة تصوّريّة تتصهر فيها مختلف المعطيات متفاعلة مع الذات واللغة والفضاء الخارجي. حيث تُجسّد البنيات الاستعارية في بعدها الدلالي، وعمقها الإشاري، نماذج معرفية متماسكة. وتصورات مجالية متناغمة، تنهض بتكثيف الحالات الذهنية والوجودية. كما تمثّل آليات تخيلية متميزة تعنى بتنظيم العلاقات الرابطة بين المحسوسات والمجردات في إطار التناغم والانسجام. وفحوى القول في هذا أنّ الاستعارة تنهض على بُعدين اثنين هما الملفوظ الذكري، والملحوظ الفكري⁽²⁰⁾.

— الاستعارة المفهومية من خلال كتاب الاستعارات التي نحيا بها:

يشير عنوان هذا الكتاب إلى الدور المركزي للاستعارة في حياتنا اليومية والتي لا غنى لنا عنها كونها جزءا من لغتنا. هذه النظرة هي خروج عن المفاهيم التقليدية التي قصرت الاستعارة على المجال الأدبي. يبحث هذا الكتاب الطريقة التي يفهم بها الإنسان لغته مقرونة بالتجارب المعيشية التي تؤثر في اللغة وتتأثر بها، حيث يكون للنسق الاستعاري حضور مكثف في معاملتنا اليومية. ويكون للاستعمالات الضعية الماثلة في أذهاننا وتصوراتنا بمختلف مناحيها الاتجاهية والبنوية والوجودية أثر في بناء لغتنا الاستعارية كاعتبارنا الزمن مالا، حيث تترتب على ذلك جملة من الأنساق الاستعارية نحو: لا تضيع وقتك. أو استثمر وقتك. أو حافظ على وقتك واغتمه...إلخ. وهي استعارات مؤسسة على بنية تصوّرية تتدخل في بناء اللغة.

تقوم النظرية الاستعارية في هذا الكتاب على جملة من المفاهيم التي نوجزها فيما يلي:

— الاستعارة ظاهرة ذهنية قبل أن تكون لغوية. فلو تحقنا جملة من العبارات المستخدمة في حياتنا اليومية ذات النسق الاستعاري لوجدناها تجمع بين عالم الأفكار المجردة وعالم الأشياء الملموسة. وقد تكون تلك الأفكار واضحة أو غامضة تحتاج إلى تبين عبر بيان يكشف حقيقتها ويجلي أبعادها فينقلها من ذلك المستوى الذهني المجرد الذي لا يدرك إلا بإسقاط ما هو مادي معروف على ما هو مجرد غير مألوف. وهنا تتدخل الاستعارة لتوظيف ما هو معروف من الظواهر المادية لتشكيل وبناء ما هو غيبي من الظواهر التجريدية. هذه العملية تدل على أن الاستعارة بناء وتشكيل وليست عملية تشبيه شيء بشيء لأننا "نشكّل تصوّراً وفهماً معيّناً عن ظاهرة التفكير ونشكّل بنية هذا التّصوّر من خلال ظاهرة البصر المادية".⁽²¹⁾

— إن الاستعارة من هذا المنظور تمثّل جلّ معاملاتنا الكلامية في حياتنا اليومية وبالتالي فهي ليس حكرًا على الأدب إنّما تسري في تعابيرنا على أوسع نطاق فمنها ما يثير انتباهنا ومنها ما لا تستوقفنا لكثرة دورانها على اللسان في الاستعمال ذلك أن كثيرا من الاستعارات المفهومية تتوارى في تفكيرنا غير الواعي الذي يفتر فيه الإحساس بعملية التشكيل الاستعاري. فقولنا: الحياة معركة وهي طريق شاقّ يثقل كاهل الإنسان بأعبائه، يمنعنا من التوقف عند رسوم هذه العبارة التي من الشّيع والتّردّد ما يسلبها بريق التأمّل في أعطافها. ولعلّ هذا ما يميّز الاستعارات العادية التي يستخدمها عامّة الناس عن الاستعارات الأدبية التي يبدعها الشعراء والأدباء. فإذا كانت الاستعارة المفهومية واحدة في الأذهان فإنّ طريقة التعبير عنها تختلف باختلاف درجات البيان.

- لاشك أن هذا التوجه الذي تضمنه كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" قد عبّد الطريق نحو دراسة خاصة للاستعارة الأمر الذي أثار حفيظة المحافظين على الرؤية التقليدية للاستعارة التي تؤطرها نظريات التشبيه والتفاعل. وقد وجدت هذه النظرية في مجالات الحياة اليومية من سياسة واقتصاد وغير ذلك تطبيقات جمّة أثبتت أن التفكير الاستعاري يسري في حياتنا اليومية دون شعور منا. " وأنّ جزءا كبيرا من البنية التّصوريّة للغة ذو طبيعة استعاريّة. "(22) كما أنّ هذه البنية التّصوريّة تتبع من التجربة الذاتيّة للفرد الذي تمثّل اللغة جزءا من نمط تفكيره، وتمثّله للعالم من حوله. وعليه فإنّ بناء المعنى - حسب التّصور المعرفي - لا يتمّ بمعزل عن مكونات الفهم البشري والاختلاف الفكري. وعلى هذا الأساس يمكن القول بأنّه من المستحيل "بناء لغة منطقيّة وحيدة تنطبق بصورة كليّة، وتترجم إليها كلّ اللّغات بشكل كاف. "(23) وما ذاك إلّا لأنّ التعبير عن الأفكار لا يمكن أن يتّصف بالحياد والموضوعيّة لعدم استقلاله عن الذات المنتجة للخطاب، وما بُنيت عليّة من خلفيات نفسيّة وثقافيّة واجتماعيّة. ولما كانت " الأبعاد الطّبيعيّة لمقولاتنا الإدراكيّة والوظيفيّة تنتج عن تفاعلاتنا مع العالم، فإنّ الخصائص التي تصفها هذه الأبعاد ليست خصائص تنتمي بشكل خاصّ إلى الأشياء في ذاتها، بل هي خصائص تفاعليّة أساسها الجهاز الإدراكي البشري والتّصورات الوظيفيّة عند البشر. "(24) وإذا كان الأمر على هذا الشّكل الذي يتدخّل في بناء المعنى وتفكيكه فإنّ نظريّة التّواصل القائمة على النّزعة الموضوعيّة تذهب إلى أنّه " بالإمكان موضوعيا أن نقول ما نعبّئه فعلا وتكون الإخفاقات في التّواصل عبارة عن أخطاء ذاتيّة. وبما أنّ المعاني تمثّلها موضوعيا الكلمات، فإنّ هذه الأخطاء لا يمكن أن تأتي إلّا من مصدرين: إمّا أنّك لم تستعمل الكلمات المناسبة في قولك لما تعنيه، وإمّا أنّك فهمت خطأ. "(25)

- وحسب هذه النظرة فإنّ اللغة الموضوعية تقتضي تجنّب اللغة المجازية ومنها الاستعارة لأنّها " ليست واضحة ودقيقة، ولا توافق بصفة واضحة الواقع." (26) الذي لا يمكن التعبير عنه إلّا بأسلوب مباشر خال من اللغة المجازية. وهو ما ذهب إليه لوك Lock وأكّده في قوله: " إذا أردنا أن نتحدّث عن الأشياء كما هي، يجب أن نعترف أنّه باستثناء النظام والوضوح، كل الأشكال الفنية والبلاغية التي نعطيها للألفاظ تتبع قواعد فصيحة لا تكمن وظيفتها إلّا في دسّ أفكار خاطئة، وفي تحريك العواطف. وبذلك فهي تخطئ أحكامنا عن طريق أحتيالات مضبوطة. ولهذا فإنّه رغم جدارتها بالثناء وجوازها في الخطابة يجعلانها مستحسنة في الخطب الرئانة الموجهة إلى الشعب، فهي يجب أن تتجنّب بدون شكّ، كناية في الخطابات الإخبارية والتعليمية. أمّا فيما يخصّ الصدق والمعرفة، فإنّه لا يمكن أن ننظر إليها إلّا باعتبارها نقيصة كبيرة سواء في اللغة أو في الشّخص الذي يستعملها." (27)

إنّ فلسفة التيار الوضعي التجريبي ترى في الاستعارات وسيلة ملبسة تفتقر إلى الصدق العلمي والعقلانية في الطّرح. وقد عبّر عن هذا الزيف التعبيري - حسب رأيهم - صامويل باركر Samuel Barker بالقول: " كلّ هذه التّطبيقات الفلسفية التي تعبّر عن نفسها بواسطة مفاهيم استعارية فقط، ليست صادقة حقيقة، إنّها ليست سوى إنتاجات خيال مكسوة (مثل دمي الأطفال) بألفاظ فارغة برّاقة... وبهذا فأهواؤها اللّعب والخصبة التي تتسلّل إلى سرير العقل لا تدنس العقل بعدم عفّتها وعناقها غير الشرعي له فحسب، بل عوض التّصورات الحقيقية وتقرير الأشياء، تلقّح الذّهن بأوهام مائعة." (28)

— أسس النظرية المعرفية التجريبية للاستعارة: تقوم أعمال لايفوف

وجونسون في مقاربتها للاستعارة على مجموعة من الأسس المذكورة فيما يلي:

— "لا ترتبط الاستعارة باللغة أو بالألفاظ، إنما ترتبط بالنسق التصوري للتفكير

البشري والسلوك الإنساني الذي يُعدّ في جزء كبير منه ذا طبيعة استعارية. ولهذا

فإنّ الاستعارة تشمل اللغة العادية واللغة التخيلية الإبداعية.

— التصور الاستعاري ذو طبيعة نسقية تكشف عنه التحقيقات اللغوية المجازية

التي ترشد إلى مقولة دلالية كبرى متّمة بصفتي التشاكل والانسجام.

— إنّ الخاصية النسقية الاستعارة تقوم على مبدأ التجريد L'abstraction حيث تُظهر

سمات مخصّصة، وتخفي أخرى حسب المقاصد التداولية والبنيات الثقافية السائدة.

— إنّ الاستعارات تركّز على تجربة الإنسان الفيزيائية والثقافية، إذ هي التي

تمنحها النسقية والكفاية الإنتاجية والتأويلية والبرمجة السلوكية.

— إنّ الاستعارة هي نقل المجرّد إلى المحسوس بناء على تجربتنا الفيزيائية

وتصوراتنا الثقافية.

— تضيف الاستعارة على الأشياء طابعا تشخيصيا تقويميا يحدّد نظرتنا إليها،

ويرسم لنا مسارا تأويليا منسجما مع رؤية العالم السائدة في ثقافة معينة.

— اعتماد الاستعارات على عقد مشابهة بين نشاطين مختلفين من تجربتنا انطلاقا

من بنية جزئية تقوم على انتقاء بعض الجزاء لا غير.

— اعتماد فهم الاستعارة على سمات ناجمة عن تفاعلنا مع العالم وتجربتنا مع

المحيط يجعله مبانيا للطرح الموضوعي للحدّ الذي يفترض حيازة الشيء خصائص

ملازمة ضرورية حتى تشمل مقتضيات المقولة الآتية: "كلّ شيء يعجز عن

امتلاك خاصية أو خاصيتين يسقط خارج المقولة.

- إنَّ علاقةَ المشابهةِ عليها الاستعارةُ الإبداعيةُ، ولا تتركز على السّمات المشتركة بين المستعار منه والمستعار له، وإنّما تعتمد على التّوافق في التجربة والإحساس.

- الوظيفة الأساس للاستعارة هي الإفهام وتقديم المعرفة وليس التّزيين والزّخرفة.

- لانتحكم في الاستعارة إلى معيار الصّدق، وإنّما إلى معيار النّجاعة العلميّة وما يستتبع ذلك من إدراكات واستنتاجات. ومعنى هذا أنّ الدّقّ نسبي، ويرتبط بثقافتنا وتجربتنا، وهو ما ينزع عنه صفة الموضوعيّة المطلقة.⁽²⁹⁾

إنّ تنوّع نظريات الاستعارة وتوسّع البحوث العلميّة في حقولها المختلفة لهو أكبر برهان على أنّ الاستعارة تمثّل نسقا لسانيا متميّزا في المنظومة البلاغيّة بفعل ما تقوم عليه من براعة التّأليف بين المتباعدات. وما تتوفّر عليه من قوّة الدّقّ الدّلالي والشّحن المعنوي. وما ينجم عن ذلك من طاقات إيحائيّة مثيرة لكوامن العقل والوجدان. " فليست الاستعارة في جوهرها إلّا استثارة لكوامن الرّوح والوجدان. وقدحا لزناد العقل النّاظر في مطويات البيان المبطن بقوّة الشّحن المعنوي، والدّقّ العاطفي المركّز في خبايا الأفكار المضغوطة. وحناياها المختزلة في أنساق استعاريّة آخذة بالألباب، بفعل ما تتمتع به من اكتناز معنوي، يغذّيه الإعجاب ببراعة التّصوير التي تجعل التّعبير خصبا ثريا. وتحيل ثماره رُطباً جنيا. حيث تتحوّل الفكرة الماثلة في الأعيان إلى نسق لساني، يحكمه نسيج البيان، المتجلّي على طور الأفهام المتناغمة مع لوحات الأكوان. فما النّصوص في كنهها إلّا فهم لهذا الكون البديع البليغ المنطبع في مرآة الذات المنتجة للخطاب، المنسلك في عقْد التّعبير وصوّرهِ العاكسة لنوازع الفكر على صفحات الذّكر.⁽³⁰⁾ وما ذاك إلّا لأنّ في الاستعارة تجديدا للغة. وبثا للحياة فيها نتيجة التّوليد المستمرّ لمختلف

الصَّوَرِ النَّاجِمَةِ عن التَّفَاعُلِ بين الذَّاتِ المبدعة وبين الواقع المعيش، حيث يبرز المعنى المجرّد الخفيّ في قالب محسوس جليّ. يتضاءل فيه الأصل. ويتوارى خلف المعنى الاستعاري الذي يجسّده الفرع بمستجدّاته اللافتة للانتباه. وستظلّ الاستعارة صورة رامية إلى التَّفَاعُلِ بين الموجودات، ومعربة عن خلجات الذات. ولعلّ ذلك هو الدّافع الذي كان يملّي على الشّاعر العربي قديما مخاطبة الأطلال ومساءلة الدّيار التي علقّت صوّرَها وذكرياتها بمخيّلته وصارت جزءا من كيانه. وجملّة القول في هذا هو أنّ الاستعارة ظلّت تمثّل بؤرة المجاز الذي تتفاعل فيه مجموع العناصر المكوّنة للخطاب والمنتجة له. ومن خلالها تتجلّى معالم اللّغة الجماليّة المنبثقة من رحم الفكر في شكل صوّر فنيّة ذات الدّوال المتداخلة فيما بينها. والتي تمتاز بقدرتها على الإحياء والإيماء. فهي «تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصّدفة الواحدة عدّة من الدّرر وتجنّي من الغصن الواحد أنواعا من الثّمَر.»⁽³¹⁾

إنّ فعاليّة الاستعارة لا تقف عند حدود استخدام الكلمة في غير ما وضعت له ولكن في قدرتها على تجلّيّة المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل المدبّر وإبرازها في معرض حسن مشحون بطاقة تأثيريّة تجد صداها في نفسيّة المتلقّي. وبذلك فهي تتعدّى حدود النّقل والتّشبيه إلى إعادة صياغة الأشياء وإخراجها في قالب مثير تتفاعل فيه الخطرات النّفسية، واللّطائف العقليّة، والتّصوّرات الفكرية التي تذيب الشّيء في غيره بدعوى الاتحاد والحلول المفضي إلى الإبداع والإمتاع المشفوع بقوة الإقناع.

الهوامش:

- (1) تتضمن بيبليوغرافيا الاستعارة التي أنجزها " وارين شيبيل عام 1971م ما يقارب ثلاثة آلاف عنوان.
- (2) أرسطو ، فنّ الشعر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، لبنان، ص:58.
- (3) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:05، 1986
- 153/01.
- (4) القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد إبراهيم وعلي البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ص:41.
- (5) أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي ومحمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت 1986، ص: 135.
- (6) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تحقيق: رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981، ص:334
- (7) المصدر نفسه، ص:331.
- (8) ينظر المصدر السابق، ص:53
- (9) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمد سعيد اللحام، دار الفكر العربي، بيروت ط:1999، 01، ص:37.
- (10) أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، دار الرسالة، ط:01، ص:599.
- (11) عبدالله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، كتاب نزوى، ط:2002، 03، ص:15.
- (12) *Black M Metaphor and thought, cambridge university press, p: 31*
- (13) أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد الغانمي، ط:01، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2000، ص:156—157.
- (14) ينظر: *J.Searl, Sens et expression, les éditions de minuit, Paris, 1974, P :121-122.*

- (15) ينظر دراسة نظريّة وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني ، محمد الصّالح البوعمراني، صفاقص، تونس ص:123.
- (16) المرجع نفسه، ص:124.
- (17) المرجع السابق، ص:126.
- (18) الفاسي الفهري، 198/02.
- (19) *Julia Kristiva , la révolution de la language poétique, lauréatmont et Mallarmé, édition du Seuil, 1974, p28. ينظر:*
- (20) عبد القادر حمراني، مكن الإثارة في الاستعارة، مجلة جسور المعرفة، العدد الرابع، ديسمبر 2018، ص:62.
- (21) عبدالله الحراسي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص:20.
- (22) جورج لايفوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد حجة، دار توبقال، ط:2009، ص:190.
- (23) المرجع نفسه، ص: 195.
- (24) المرجع نفسه، ص:166.
- (25) المرجع نفسه، ص:186.
- (26) المرجع نفسه، ص: 183.
- (27) المرجع نفسه، ص: 185.
- (28) من كتاب النقد الحرّ والنّزّه للفلسفة الأفلاطونية، نقلا عن: الاستعارات التي نحيا بها، ص:185.
- (29) نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، عبد العزيز لحويّدق، دار كنوز المعرفة للنشر والتّوزيع، ط:01، عمان، 2015، ص: 265-266.
- (30) عبد القادر حمراني، مكن الإثارة في الاستعارة، مجلة جسور المعرفة، ص:59.
- (31) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص:30.

الاستعارة من البلاغة العربية إلى اللسانيات العرفانية

د. نور الدين مناع

أ.د. مباركة خمقاني

ج. قاصدي مرياح ورقلة

ملخص:

الاستعارة من الصّور البيانيّة الكثيرة الاستعمال، أو لاها العلماء قديما وحديثا عناية بالغة، لذلك نتناول في هذه الورقة البحثيّة المعنونة بـ"الاستعارة من البلاغة العربيّة إلى اللّسانيّات العرفانيّة" حيث تمّ توضيح الاستعارة اللّغويّة عند علماء البلاغة وعلاقتها بالتّشبيه، ثم الانتقال إلى الحديث عن الاستعارة في المنظور العرفانيّ والتركيز على النّظريّة التّصوريّة للاستعارة، ونظريّة المزج التّصوري.

مقدمة:

اهتمّ القدماء والمحدثون بالصّور البيانيّة وألّوها عناية من حيث الشّرح أو الأثر البلاغي، أو علاقاتها بغيرها من الصّور البيانيّة.

وشهد الدّرس البلاغي تطوّرًا مذهلاً في فهم الاستعارة من حيث المفهوم والآليات وكيفيّة الإنتاج وهذا راجع للتّفاعل الجاد والتّداخل بين مختلف علوم اللّسان وغيرها من العلوم الأخرى كعلم النّفس، وعلم الاجتماع وعلم النّفس الإدراكي...

وسنحاول في هذه الورقة البحثية المعنونة بـ "الاستعارة بين المنظور البلاغي والمنظور العرفاني" توضيح الاستعارة في الفكر العربي البلاغي، وفي المنظور العرفاني.

أولاً - الاستعارة في الفكر البلاغي:

نبدأ بتحديد مفهوم الاستعارة فهي عند الجاحظ: «تسميّة الشيء باسم غيره إذا قام مقامه»⁽¹⁾.

وعرفها ابن المعتز بقوله: «هي استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عُرِفَ بها»⁽²⁾.

وقال قدامة بن جعفر: «هي استعارة بعض الألفاظ من موضع بعض على التوسّع والمجاز»⁽³⁾.

وعبد القاهر الجرجاني يقول: «اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفاً تدلّ الشواهد على أنّه اختصّ به حين وضع، ثمّ يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غير لازم فيكون هناك كالعاريّة»⁽⁴⁾.

فالاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني ليست مجرد (نقل) للفظ من أصله اللغوي والتعبير عن واضع آخر، وإنما هي إثبات المعنى لا يعرفه السامع من اللفظ، ولكن يعرفه من معنى اللفظ.

أمّا السكاكي في مفتاح العلوم يقول: «هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبّه في جنس المشبّه به، دالًا على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخصّ المشبّه به»⁽⁵⁾.

ويضيف السكاكي أنّها عند الأكثر جعل الشيء الشيء لأجل المبالغة في التشبيه.

إنّ الاستعارة ترتكز بالدرجة الأولى على التشبيه، فالمنطلق هو التشبيه ثمّ القيام بالاستعارة حيث يقول الجرجاني: «الاستعارة كانت من أجل التشبيه وهو كالعارض فيها، أو كالعلة والسبب في فعلها»⁽⁶⁾.

والاستعارة عند ابن رشيق القيرواني: «إنّما هي من اتساعهم في الكلام اقتدارًا ودالة ليست ضرورة، لأنّ ألفاظ العرب أكثر من معانيهم، وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم، فإنّما استعاروا مجازًا واتساعًا»⁽⁷⁾.

فالاستعارة هنا علامة قوّة لا ضعف فالإنسان لم يلجأ إليها ضرورة، وإنّما هي دالة تمكّن وفطنة، وهي ليست تعريضاً لقلة الألفاظ أو ضيق المعاني، والربط بين المعاني المختلفة، وإيجاد علاقة بينهما، راجع إلى توظيف العقل.

وإذا كانت الاستعارة بجميع أنواعها عمليّة نقل اللفظ من مسمّاه الأصلي على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه يمكن أن نورد مثالا أكثر وروده في جلّ الكتب البلاغيّة وهو تشبيه الرّجل بالأسد كقولنا: "أسد في المعركة" فهذا تعبير مجازي مفاده تشبيه الرّجل بالأسد فتّم حذف المشبّه وذكر المشبّه به، فتّم استعمال لفظة "الأسد" في غير معناها الأصلي لتدلّ على الرّجل القويّ المقدام والشّجاع، وحتىّ يتمّ ذلك لا بدّ من وجود علاقة مشابهة بين المعنى المنقول منه وهو الأصلي والمعنى المنقول إليه وهو (العارض)، مع وجود قرينة تمنع ورود المعنى الأصلي، وهي لفظة أو حالّة وهي هنا (في المعركة) فالرّجل شجاع قويّ مثل الأسد، ولكنّه في ميدان المعركة أو ساحة القتال، فيقول السّكاكي: «ويسمى المشبّه به سواء كان هو المذكور أو المتروك مستعاراً منه، واسمه مستعاراً، والمشبّه مستعاراً له»⁽⁸⁾.

فالمستعار منه هنا هو "الأسد" والمستعار له هو الرّجل.

حيث يقول عبد القاهر الجرجاني: «أنّ المستعير يعمد إلى نقل اللفظ عن أصله في اللغة إلى غيره، ويجوز به مكانه الأصلي إلى مكان آخر لأجل الأغراض التي ذكرنا من التشبيه والمبالغة والاختصار»⁽⁹⁾.

ونوضح ذلك بلفظ "الشمس" فعند إطلاق هذا اللفظ لا نفكر في شيء غيره، ولكنّ يمكن أن نأخذ هذا اللفظ ونعبّر به عن المكانة والرفعة.

وفي هذا المجال يرى عبد الإله سليم أنّ عبد القاهر الجرجاني قد «انتقل في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة من النظر إلى الاستعارة باعتبارها عملية نقلية تفصح عن إمكان انتقال اللغة من الأصل إلى الفرع إلى النظر إليها باعتبارها عملية إدعائية، إنّ الاستعارة في نظره ليست نقل معنى من طرف هو مالكه وصاحبه الأصلي إلى طرف هو مستعيره ومقترضه، بواسطة مسوّغ ما إنّما هي عكس ذلك ادّعاء المعنى لمعنى آخر»⁽¹⁰⁾. ويقول كذلك: "وإطلاقهم في الاستعارة أنّها نقل العبارة عمّا وضعت له من ذلك فلا يصحّ الأخذ به، وذلك أنّك إذا كنت لا تطلق اسم الأسد على الرجل إلّا من بعد أن تدخله في جنس الأسود من الجهة التي بيّنا لم تكن نقلت الاسم عمّا وُضع له بالحقيقة لأنّك إنّما تكون ناقلًا إذا أنت أخرجت معناه الأصلي من أن يكون مقصودك ونفصت به يدك، فأما أن تكون ناقلًا له عن معناه مع إرادة معناه فمحال متناقض»⁽¹¹⁾. وفعلًا فإنّ مجادلة الجرجاني للنظرية البلاغية التي يتبنّاها سابقوه تقوم على الطعن في نقل المعنى.

زد على ذلك أنّه كان يدرك العلاقة بين المستعار والمستعار له وأنهما ينتميان إلى عالم تتفاعل فيه الأقطاب الدلالية وهذا ما يسمّى فيما بعد بالنظرية التفاعلية⁽¹²⁾. وجدت لها جذورًا عند السكاكي، والقزويني، والجرجاني.

هذا هو مفهوم الاستعارة في الفكر البلاغي، وعند أكبر أعلامها ومنه يمكن لنا أن نصل إلى جملة من الحقائق، وهي⁽¹³⁾:

1- الاستعارة ضرب من المجاز اللّغوي، علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. والمجاز اللّغوي هو «الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له بالتحقيق في اصطلاح به التّخاطب مع قرينة مانعة عن إرادته»⁽¹⁴⁾.

2- الأساس الذي تقوم عليه الاستعارة هو التّشبيه، كونها تشبيه حذف أحد طرفيه فالأصل إذن هو التّشبيه، والاستعارة جزء منه.

3- الأساس في الاستعارة النّقل من الأصل المعروف أو المعنى الذي دلّ عليه اللفظ الوضعي إلى شيء آخر لم يوضع له ذلك اللفظ مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي أو الأصلي. وعرف السّكاكي الحقيقة اللّغويّة بـ: «الكلمة المستعملة فيما وُضعتْ لَهُ من غير تأويل في الوضع»⁽¹⁵⁾.

أركان الاستعارة:

للاستعارة ثلاثة أركان وهي⁽¹⁶⁾:

- المستعار منه (المشبّه به).
- المستعار له (المشبّه).
- الجامع أو المستعار (وجه الشّبّه).
- والمستعار منه والمستعار له يسميان طرفي الاستعارة.

أنواع الاستعارة:

قسم البلاغيون وخاصة المتأخرون منهم، الاستعارة إلى عدّة أقسام وباعتبارات كثيرة، وسنركّز على أهمّها⁽¹⁷⁾:

أ- الاستعارة التّصريحية: يقول الخطيب القزويني: «وقسمها إلى المصّرّح بها والمكنّى عنها، وعنى بالمصّرّح بها أن يكون المذكور هو المشبّه به»⁽¹⁸⁾.

فالاستعارة التّصريحية هي ما ذكر المستعار منه (المشبّه به) وحذف المستعار له كما في قول المتنبي واصفاً رسول الروم داخلاً على سيف الدولة⁽¹⁹⁾:

وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبَسَاطِ فَمَا دَرَى
إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي

حيث شبّه سيف الدولة بالبحر في كرمه وجوده فحذف المشبّه (المستعار) وصرّح بالمشبّه به (المستعار منه).

ب- الاستعارة المكنية: هي ما ذكر المستعار له، وحذف المستعار منه، كما في قول الهذلي⁽²⁰⁾:

إِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَطَافِرَهَا أَلَفَتْ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

حيث شبّه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة فأثبت لها الأظفار وهي القرينة اللفظية.

ج- استعارة تحقيقية: وهي ما كان المستعار له محققاً حسياً أو عقلياً نحو قول المتنبي في مدح كافور⁽²¹⁾:

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا

حيث استعار لفظتي "البحر" و"السّواقي" فالأولى لكافور وتعني أنه كثير العطاء والثانية لغيره، وتعني أنهم قليلو العطاء، فالمستعار له حسّي معلوم يمكن أن يشار إليه بإشارة حسية.

د- استعارة تخيلية: وهي ما كان المستعار له غير محقق لا حساً ولا عقلاً نحو (أنشبت المنية أظفارها بفلان)، حيث شبهت المنية بالسبع الذي يفتك بالناس وتركت للمنية صورة شبيهة بالأظفار التي تمزق الفريسة.

فالاستعارة حاصلة في لفظة (الأظفار) ولكن الصورة التي رُسمت للمستعار هي صورة خيالية غير محققة لا حساً ولا عقلاً.

هـ- استعارة أصلية: هي ما كان المستعار اسماً جامداً لذات أو لمعنى نحو قوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا لَهُ الْإِنشَاجَ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ إبراهيم 01.

حيث شبهت الضلالة بالظلمة وهي اسم ذات، والهدى بالنور وهو اسم ذات أيضاً.

و- استعارة تبعية: وهي ما كان المستعار فعلاً، أو اسم فعل، أو اسماً مشتقاً أو حرفاً أو اسماً مبهماً، وسُميت بذلك لأنها تكون تابعة لاستعارة أخرى (رقدت همومي) فالمستعار "رقدت" والمستعار له "الهموم"، والمستعار منه الهموم بالإنسان من حيث اشتدادها وتلاشيها، فإنّ الاشتداد باليقظة، والتلاشي بالنوم.

ز- استعارة مرشحة: وهي إذا اتصل بالجامع ما يناسب المستعار منه، نحو قول أبي تمام:

من عهدٍ إسكندرٍ أو قبل ذلك ضدٌ
شابت نواصي الليالي وهي لم تشب

فالنواصي هي شعر مقمّ رأس الإنسان، وقد استعارها من الإنسان والصق بها ما يناسبها وهو الشيب.

الفرق بين الاستعارة والتشبيه:

معلوم أنّ الأساس في الاستعارة هو التشبيه، فهي متضمنة للتشبيه ومنبثقة منه ونجد خطأ في الاستعارة والتشبيه، فيطلقون على الاستعارات تشبيهات، وعلى التشبيهات استعارات، كما أنّ كلّ استعارة تشبيه، والعكس غير صحيح. ويرجع هذا الخلط إلى أمرين اثنين هما⁽²²⁾:

أولهما: أنّ الاستعارة ليس لها آلة، فما كان فيه آلة التشبيه ظاهرة فهو تشبيه، وما لم تكن فيه ظاهرة فهو استعارة، فقولك "زيدٌ كالأسد" لا آلة فيه، فوجب كونه استعارة.

والأمر الثاني: أنّ المفهوم من قولنا "زيدٌ أسد" مثل المفهوم من قولنا "لقيت الأسد" و"زارني الأسد" فإذا كان مفهومهما واحدًا في المبالغة في المجاز، فإذا قضيت يكون أحدهما استعارة وجب أن يكون الآخر كذلك من غير تفرقة بينهما.

وأهمّ الفروق بينهما هي⁽²³⁾:

1- الاستعارة تتضمن التشبيه وزيادة، وهذه الزيادة تتمثل في زيادة المبالغة والإدعاء في إثبات المعنى، لأنّ الاستعارة تقرّب بين المشبّه والمشبّه به إلى الحدّ الذي يدعي زوال أي فرق بينهما.

2- أنّ التشبيه معنى من المعاني، وله حروفه وأسماءه الموضوعه له والمصطلح عليها فإذا صرّح بها كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني، وكلّ تشبيه صريح لا يكون فيه نقل للفظ، بخلاف الاستعارة لا تكون بغير النقل.

3- أنّ الاستعارة لا تدخل في قبيل التّخييل، لأنّ المستعير لا يقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة، وإنّما يعتمد إلى إثبات مشبّه هناك، فلا يكون مخبره على خلاف خبره.

وعليه فالتشبيه يقع بين ما يكون الشبه بين المشبه والمشبه به محسوساً أو معقولاً أو متخيلاً، لأنه لا يمكن إثباته للمستعار له.

بلاغة الاستعارة:

تحقق الصّور الاستعارية الكثير من الأغراض البلاغية، والتي تؤثر في نفسية المتلقي ومن أهمها ما يلي (24):

- شرح المعنى وفضل الإبانة عنه: ونجد هذا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّسَ الْمَصِيرُ﴾ (٦) إِذَا الْفُؤُا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْتِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾.

فاستعارة "الغيظ" لشدة الغليان أبلغ وأبين في الدلالة على المعنى المراد لأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس.

- تأكيد المعنى والمبالغة فيه: وهذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكِ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (١١) حقيقة المعنى: لما علا الماء وطما، والاستعارة أبلغ لأن المعنى لا يقف عند الزيادة والعلو، بل يتعداه إلى دلالات أخرى لا يصل إليها اللفظ الحقيقي كالقهر والتجبر والتكبر.

- الإيجاز: يكون بالإشارة إلى المعنى الكثير باللفظ القليل ومنه قول ابن المعتز:

أَثْمَرَتْ أَغْصَانُ رَاحَتِهِ بِجَنَانِ الْحُسْنِ عِنَابَا

فأراد أن يقول: أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن شبه العناب من أطرافه المخضوبة.

- التشخيص والتجسيد: وهذا من أهم الأغراض وذلك لأن النفوس تأنس بالمدرجات الحسية أكثر من المدرجات المعنوية، فالتشخيص يجعل ذهن المتلقي

يتخيل مشاهد وأحداث كقوله تعالى: ﴿أَوَيَأْتِيهِمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ولا يوجد يوم من الأيام يحمل هذه الصّقة، إنه منفرد وضّحه لفظ "عقيم".

ثانيًا - الاستعارة في المنظور العرفاني:

إنّ علم البيان يهتم بالجانب الدلالي لأنّه يعمل على صياغة المعاني وبالتالي مخاطبة الذّهن البشري.

والاستعارة سواء في الفكر القديم أو الحديث هي: «عملية استبدال أو عدول عن مستوى الكلام العادي، وهي انحراف يمكن أن نستغني عنه دون جهد كبير»⁽²⁵⁾.

ويرى محمّد الصّالح البوعمراني في كتابه "دراسات نظريّة وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني" أنّها تخترق ممارستنا الحيائيّة اليوميّة في مختلف تجلّياتها، وتؤسس بنيّة تفكيرنا، وتحكم نسقنا التّصوّري، لقد أضحت الاستعارة آليّة تستعمل بشكل عادي وبطريقة لاشعوريّة، وبقليل من الجهد يمكن بيانها واكتسابها⁽²⁶⁾. لأنّ الاستعارة هي من أكثر الصّور البيانيّة استعمالاً على السّنة الصّغار والكبار.

ويرى عطية سليمان أنّ الاستعارة في أبسط صورها وسيلة لفهم مجال من خلال مجال آخر، وهذا الفهم يتطرق إلى كلّ مجالات الحياة التي يعيشها النّاس جميعاً فيستخدمونها في إدراك العالم من حولهم بكلّ دقّاته التي يرونها والتي لم يرونها⁽²⁷⁾.

ويضيف أيضاً: أنّها الوسط بين الذّهن البشري وما يحيط به من أشياء فبها يفسّر الملتبس والمبهم، ونتجاوز كثيراً من عراقيل التّواصل بين البشر⁽²⁸⁾.

ومنه فالاستعارة تصوّر لنا الأشياء، فنستطيع أن نربط بينها وبين غيرها من الألفاظ المتناثرة، والجانب اللّغوي يؤدي إلى التّصوّر الذّهني، فتعمل على استدعائه من الذّهن.

على اعتبار أنّ الاستعارة هي تحوّل من منطقة الحقائق إلى منطقة المجاز، بأن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطّرف الآخر على وجه إدعاء دخول المشبّه في جنس المشبّه به، وقد يكون المشبّه حقيقيّاً، حسّيّاً أو عقليّاً، أو خياليّاً أو وهميّاً لا تتحقّق له في الخارج الواقع⁽²⁹⁾.

وهذه البنية المرتكزة على مبدأ (الإدعاء تعبّر عن تشكيل أكثر إيغالاً وأعمق بُعداً في حيويّة التجربة الشعوريّة ممّا يتطلّب كفاءة في الحركة اللّغويّة الدّلاليّة تتمثّل بتفاعل السيّاق وتركيب الجملة -تركيب استعاري- الذي يمثّل بدوره إطاراً معرفيّاً محيطاً لبؤرة استعاريّة نتيجة كلمة الاستعارة بوصفها مجازاً⁽³⁰⁾.

والإطار المعرفي هنا يقودنا إلى التّركيز على لفظ المعرفة والتي تدلّ على «الفعل العقلي الذي يتمّ به النّفوذ إلى جوهر الموضوع لتفهّم حقيقته بحيث تكون المعرفة الكاملة بالشّيء خاليّة ذاتيّاً عن كلّ غموض والتّباس، أو محيطية موضوعيّاً بكلّ ما هو موجود للشّيء في الواقع»⁽³¹⁾. وذلك لأنّ اللّوازم الذّهنيّة تأخذ أشكالاً عدّة ومن اعتبارات مختلفة، فقد تكون ناتجة عن منطق المقايسة والتّمثيل في علاقات تقوم على (المشابهة) كما في التشبيه والاستعارة، وما ينتج عن ذلك من علاقات من لوازم فرعيّة تؤدي إلى تبئير المعاني ووفرته⁽³²⁾.

وذلك لأنّ تحولات صياغيّة تحدث على مستوى طرفي الاستعارة المستعار والمستعار له، واشتراكهما في وجه الشّبّه، وهذه التّحولات يمكن إدراكها ذهنيّاً سواء تعلّق الأمر بالجانب الحسيّ أو الجانب العقلي.

كم أنّ ورود لفظة تبئير في المعاني مأخوذة من لفظ (بؤرة) والتي يقصد منها مركز الشّيء، ودلالاتها على الذّخيرة والكثرة⁽³³⁾.

أما في الاصطلاح فهو عملية خلق بؤرة قد تكون شكلية أو فكرية في العمل الأدبي⁽³⁴⁾.

المدرسة العرفانية حاولت رجّ هذا التّصوّر من أساسه، وانتقلت بالاستعارة من مستوى الممارسة اللّغوية إلى مستوى العرفان حيث يرى لايكوف وجونسن أنّه «إذا كان صحيحاً أنّ نسقنا التّصوّري في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية، فإنّ كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكياتنا في كلّ يوم... ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة»⁽³⁵⁾.

ويمكننا تحديد البؤرة من خلال مثال ورد في كتاب صالح بن عبد الهادي في قول ابن زيدون⁽³⁶⁾:

وَإِذَا هَصَرْتَا فَنَوْنَ الْوَصْلِ دَانِيَةً قَطَافَهَا فَجَنِينَا مِنْهَا مَاشِينَا

إنّ البؤرة في هذا البيت هي معنى التّلمذ بالوصل، وقد حملتها عبارة جني الثّمار أو القطف.

مبادئ التّصوّر العرفاني:

تقوم الاستعارة في التّصوّر العرفاني على مجموعة من المبادئ نجملها في التّالي⁽³⁷⁾:

- مركزيّة الإدراك، وانطلاقاً من ذلك الجسد في بناء الاستعارة وفي فهمنا للوجود فنظامنا التّصوّري مؤسس على نظامنا الإدراكي والحركي والعصبي وأكثر مفاهيمنا تجريداً لا يمكنها أن تتشكّل إلّا من خلال الجسد والإدراك الذي يخصّ المعرفة، ما هو إلّا عملية داخلية تتمّ في العقل بعبارة أخرى عملية عقلية فكرية تتطلّب صورة من الضّبط والنّقّين تهدف إلى تحوّل استراتيجي في التّنظيم المعرفي، من الحالة العضوية إلى الحالة المفهومية، فهي بذلك تعدّ معرفة من نوع النّشاط العقلي (Cognhion) التي

تعني بعمليات الاكتساب والتّخزين والاسترجاع المعرفيّة فضلاً عن نشاطها الوظيفي (Knowledge) الذي يهتمّ بعملية الأداء المعرفي⁽³⁸⁾.

وعملية الفهم الدقيق كفيلة بإنتاج المعرفة السليمة لأنها تستند إلى التحليل والتّعلّل وما يقَدّمانه من تعليلات، واستنتاجات في بناء الأفكار والصّور⁽³⁹⁾.

- إنّ النظام التّصوّري قائم في جانب كبير منه على أسس استعارية.

- إنّ الاستعارة حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليومية، ولا تمثّل اللغة إلّا وجهًا من وجوه حضورها المختلفة فهي حاضرة في الرّسم والنّحت واللّافتات، والإشهار والسينما، والأسطورة، وأعمالنا وحركاتنا، وتعبير سلطان كوفيتش (Z.Kovese) فإنّ الاستعارة التّصوّرية طريقة في التّفكير والتّعبير الاستعارية طريقة في الكلام.

- رفض النظريّة الموضوعيّة والنّظريّة الدّاتيّة، وتأسست نظريّة للفهم تقوم على التّفاعل بين المؤلّ والعالم القائم على أسس استعارية.

- رفض مقولة الصّدق المطلق، والتّأسيس لنسبة الصّدق، ولنسبة الإدراك والفهم. وهذا ما أبانه محمّد غاليم في قوله: «فإنّ الخصائص التي تقدّمها ليست خصائص تفاعلية قائمة على الجهاز الإدراكي للإنسان وتصوراته للوظائف»⁽⁴⁰⁾.

التّصوّر العرفاني للاستعارة:

أهمّ ما يقوم عليه المبحث العرفاني هو البحث في "آليات اشتغال الدّهن البشري" وآليات إنتاجه للرّموز، وتعامله معها تصنيفاً وفهماً، وتداولاً⁽⁴¹⁾.

كما أنّ الاستعارة في حضورها في العالم تحضر علامات سيميائية مختلفة في إطار تداولها بين النّاس، وفق ضوابط وإكراهات ثقافية تحدّد معانيها ودلالاتها، وبدونها يستحيل أن تؤدّي وظيفتها وأن تُفهم. والعلاقة بين الاستعارة والثّقافة

مبنوثة في كتب البلاغة قديمها وحديثها، فالاستعارة مرتبطة بثقافة البيئة لأنها يمكن أن تحمل في بيئة ما معنى من المعاني ويختلف عن المعنى في بيئة ثقافية أخرى ويمكن أن يقرأ بطريقة جديدة

النماذج الذهنية للاستعارة:

النماذج الذهنية هي إطار من المفاهيم الذهنية، تساعد على إدراك وتقريب لمفاهيم أخرى، وتفسح المجال لإشراك سياقات لغوية أو اجتماعية أو أفكار عامّة، وتفعيل دورها في إدراك بنية تلك المفاهيم، فهي آلية ذهنية تساعد على فهم القضايا والأفكار وذلك بالزيادة على الفهم الذي يحصل عبر التحليل المجرد للمعاني والكلمات وعبر التحليل لمكونات (المنطق الصوري) الذي لا يقبل إمكانية التداخل أو التعارض⁽⁴²⁾. ومثال ذلك نجده في الاستعارة التحقيقية في قول زهير بن أبي سلمى⁽⁴³⁾:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَذَفٌ لَهُ لِبْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمِ

جاءت الاستعارة التحقيقية بذكر المشبه به والذي يقصد منه (المشبه) ويكون للاستعارة تحققاً في المشبه حساً وعقلاً وهي هنا في قول (أسد شاكي) ليدل بها على الشجاع وهذا أمر متحقق في الخارج الحسي.

أما التحقق العقلي في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة 06 تتحقق الاستعارة في الدين الإسلامي (المستعار له) وهو أمر عقلي غير مرئي والصراط (المستعار منه).

الاستعارة اللغوية البلاغية والاستعارة التصورية العرفانية:

إن صورة الاستعارة قائمة على النسق التصوري في الذهن الإنساني، وأنه لا انفكاك بين صورة الاستعارة التي تشكلها اللغة، وبين مظاهر النسق التصوري

الذي أسست عليه تلك الصياغة، ولاسيما في المهمة الإعلامية (الإبلاغية) التي تقدّمها الاستعارة اللغوية، من خلال عملية قياس في مفاهيم تصوّرية ينتج عنها استعارة مفهومة مختزنة في الذهن معرفيًا، وإنّ درجة التفاعل بين الاستعارة اللغوية بوصفها بنية في النص، وبين الاستعارة المفهومية بوصفها بنية معرفية هي التي تجعل عملية فهم النص بصورة متنامية⁽⁴⁴⁾.

إذا عدنا إلى المثال السابق: أسد في المعركة تكون هنا تسلسل المقومات والأحداث ومتغيراتها مبنية على ترابط سببي يصل إلى حدّ التداخل والامتزاج بين المشبه والمشبه به، عندها تكون مراحل تسلسل المقومات والأحداث ومتغيراتها في الإعداد والإنجاز والنهائية ونحلّ ذلك كالتالي⁽⁴⁵⁾:

- الطرف الأول (المشبه) المتمثّل في الإنسان، فإنّ مظاهر المراحل وتفاصيلها تكون على وفق التسلسل التالي:

الولادة والصبيانية ← النمو (النضوج، القوة، الشجاعة) ← العوارض: (الكهولة، المرض، الموت).

- الطرف الثاني المشبه به المتمثّل في (الحيوان) فإنّ مظاهر المراحل وتفاصيلها تكون وفق التسلسل الآتي:

الولادة والشبابية ← النمو (الافتراس، القوة، الجرأة) ← العوارض: (الكهولة المرض، الموت).

فكلّ هذه المراحل تدخل في بناء صورة الاستعارة في التنسيق التّصوري الذهني متأسسة على صفة المبالغة لعنصر الإدعاء في التداخل والتمازج على وجه يدخل المشبه في جنس المشبه به.

والتَّصوُّر العرفاني للاستعارة يضمّ نظريتين أساسيتين هما⁽⁴⁶⁾: النَّظَرِيَّةُ التَّصَوُّرِيَّةُ للاستعارة ونظرية المزج التَّصَوُّري وسنركِّز عليها حسب ما جاء في كتاب محمد الصَّالح البوعمراني⁽⁴⁷⁾.

1- النَّظَرِيَّةُ التَّصَوُّرِيَّةُ للاستعارة: أهمّ مَنْ أسَّس لهذا التَّصوُّر وبنى معالمه جورج لاكوف (G/Lakoff) ومارك جونسون (M.Johnson) بدايةً من كتابهما الحث "الاستعارات التي نحيا بها" وما تلاه من كتب منفردة أو مشتركة مع غيرهم يقوم هذا التَّصوُّر على الأسس التَّالِيَّة:

- تعتبر الاستعارة في نظر لاكوف وجونسون آليَّة عرفانيَّة، فهي ليست شيئاً مضافاً إلى الفكر بل هي الفكر نفسه الذي يشتغل في جانب كبير منه على الخيال وتقوم الاستعارة في نظرهما على فهم ميدان تصوُّري وليكن الميدان "أ" عن طريق ميدان تصوُّري آخر وليكن الميدان التَّصَوُّري "ب" ويطلق على الأوَّل اسم الميدان الهدف (Targetdomain) وعلى الثَّاني الميدان المصدر (Source) فاستعارات مثل "الحجاج حرب" و"الحياة رحلة" و"الأفكار غذاء" تقوم على فهم ميادين الحجاج والحياة والأفكار عن طريق الحرب والرحلة والغذاء.

- تقوم الاستعارة على إسقاط لترسيمة الميدان المصدر على الميدان الهدف. فنحن نفهم الحياة عن طريق إسقاط خاصيّات الرحلة عليها، فالحياة كالرحلة لها بداية هي ساعة الميلاد ولها نهاية هي ساعة الموت، وهناك مسار يسلكه المرحّل وفي هذا المسار عوائق ومطبّات ومنعرجات واستراحات وغيرها.

ولكنّ هذا الإسقاط ليس آلياً فيه نُسقط جميع خاصيّات الميدان المصدر على الميدان الهدف، ولكنّه انتقائي، فيه التَّبْيِير على خاصيّات دون أخرى، وهو بذلك إسقاط تتحكم فيه الثَّقَافَة، التي تحدّد فهمنا للاستعارة، وفهمنا للعالم، فعندما نستعير

الأسد للرجل لا نسقط عليه جميع خاصيّات الأسد ومن ذلك عبالته ورائحة فمه وغيرها، وإنّما ننقّي الخاصيات التي تتناسب مع السياق، وهي ليست ضرورة خاصيات موضوعيّة في الأسد، بل هي خاصيات ثقافيّة ولدتها رؤية ثقافة معينة لهذا الحيوان، مثل: الشّجاعة والإقدام والقوّة. وتعرّف ماريّا ثيريزاه كابريه (Maria Thérèse cabré) التّصوّر الاستعاري بكونه بناء ذهنيّا يكوّنه الفرد أو المجموعة عن شيء من الأشياء دون أن يكون ذلك الشّيء موجودا على الحقيقة⁽⁴⁸⁾.

ويذهب لايكوف وجونسون إلى أنّ التّصوّر الاستعاري هو استعمال دلالة ما خاصّة بشيء للتعبير.

وقد نفهم ميدان تصوري ما عن طريق ميادين متعدّدة، فيقع التّبئير في كلّ استعارة على خاصيّة من خاصيات الميدان الهدف، مثل: استعارات الحجاج حرب والحجاج بناء والحجاج رحلة والحجاج وعاء، ففي كلّ استعارة يقع التّبئير على عدد من خصائص الحجاج، ففي استعارة الوعاء يقع التّركيز على مضمون الحجاج، وفي استعارة الرّحلة يقع التّبئير على تطوير الحجاج ومضمونه، وفي استعارة الحرب يقع الاهتمام بحالة الصّراع، وفي استعارة البناء تُضاه خصائص بناء الحجاج، فكلّ استعارة تضيء جوانب من تصوّر الحجاج ولكنها تخفي أخرى.

ففي استعارة الحجاج حرب يمكن استعمال تعابير مثل:

- مقولاتك لا يمكن الدّفاع عنها.
- تحصيناتك النظريّة هشّة.
- لقد هاجم نقطة "مركزيّة" في حُجّتي.
- لقد دمرَ حُجّته.

- إن استعملت هذه الاستراتيجية سيُلقَى بِكَ خَارِجًا.

- عادة ما نفهم عن طريق الاستعارة الميادين الأكثر تجريدًا عن طريق الميادين الأكثر حسّيّة، فنفهم تصوّرات مثل: الحياة والحجاج والأفكار عن طريق الرحلة والحرب والغذاء، وهذا يعود إلى مركزيّة الجسد في تفكيرنا وإدراكنا للعالم.

- إنّ الاستعارات الشعريّة ما هي إلّا توسيع EXTending وإعادة تركيب Combining وإفاضة Elaboratio ومساءلة Questioning للاستعارات القاعدية التي تستعملها ثقافة مخصوصة.

- تقسّم الاستعارات وفق لايكوف وجونسن إلى ثلاثة أنواع، أولّها استعارات تصوّريّة قاعدته تقوم على فهم ميدان هدف عن طريق ميدان مصدر، واستعارة تقوم على الآليّة نفسها ولكننا نفهم فيها صورة عن طريق صورة أخرى، وهي ما يوسم باستعارة الصّورة، واستعارة خطاطيّة تنظم وجودنا وجميع تعبيراتنا الثقافيّة. ويمكن أن نجسّد ذلك في الآية القرآنيّة:

- قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

الجمعة 05.

استعار الله صفة (الحمل) وبطبيعة خلقهم أنّهم يحملون الأشياء فقط دون السّؤال عمّا يحملون، وهي صفات ثابتة في هذه المخلوقات بُنيتْ الصّورة الذهنيّة أنّهم يحملون الأشياء فقط في عقول البشر، ثمّ تحوّلت هذه الصّورة في البنيّة التّصوّريّة للبشر إلى نموذج لمن يحمل الأشياء ولا يعرف ما فيها⁽⁴⁹⁾. ثمّ استعارها الله يتصور بها صفة ثابتة في من حمّلوا التّوراة، ولا يدركون ما فيها رغم تطوّر الحياة وتعاقب الأجيال.

الحمار له صفات أخرى ومنها الغباء وهي الصفة الغالبة عليه وتظل صفة الغباء في هؤلاء القوم الذين حُمِّلُوا التَّوراة ولم يعملوا بها حكما دائما ثابتا فيهم، رغم مرور الزمان عليهم، فالحمار وحده كفيل بتصوير حالتهم وإفهامنا هذه الصُّور، فهي استعارة مفهومية مرتبطة بتلك البيئة وحيواناتها.

الميدان المصدر (الحمار) ← الميدان الهدف ﴿الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾.

ومنه أيضا قول الله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوَّشَدُ قَسْوَةً﴾ البقر 74.

الميدان المصدر (الحجارة) ← الميدان الهدف قلوب اليهود.

فلعلطة الحجر تدلّ على القسوة وتجسّد لنا الصُّورة الذهنية المادية لتبيين صورة ذهنية تصوّرية عن قسوة قلوب (بنّي إسرائيل) ونجد أنّ الاستعارة مسّت كلّ جوانب حياتنا تحدثت عن الإنسان والحيوان، والجماد، والنبات، والمعاملات الإنسانية... وهذا ما نراه في كلام العرب أو في القرآن الكريم أو الحديث الشريف.

ب- الاستعارة في نظرية المزج التّصوّري: في كتابهما "ما نفكر به" أقام فوكونيي وثيرتر أسس نظرية الدّمج التّصوّري (conceptual blending)⁽⁵⁰⁾:

[G.Fauconnier and M.turner , The way wethink ,conceptual Blending and The]

[mind s Hidden complexities, Edition Basic Book , 2002, p 11 .

مزج التّصوّري (Conceptual integration) وهي نظرية تُفسّر آلية اشتغال الدّهن البشري، فنظام تفكيرنا قائم على بناء الأفضلية الذهنية والربط بينهما، وهي آلية عرفانية تحكم تفكير الإنسان وتميّزه. فالتّفكير ذاته هو دمج بين فضاءات ذهنية مختلفة، ونحن في شتى ضروب تفكيرنا، حتى البسيطة منها نقوم بالدّمج بين

الفضاءات الذهنية، والفضاءات الذهنية، كما يعرفها جيل فوكيني (G.Fauconnier) ومارك ثيرنر (M.Turner) هي الخانات التّصوّريّة الصّغرى التي من خلالها نستطيع أن نفكر ونتكلّم⁽⁵¹⁾.

والمزج هو «ذلك المرقّع الذهني الذي نشأ بفضل التّطوّر البيولوجي. فالمزج يشغل على ما هو حاصل في ما نعرفه بأن يشغل بين الأشياء بوجوه جديدة يكون لها نشوء بنيّة 5 ← 6 جديدة لا تتأتّى تأتيا مخصوصا ممّا يكون تجميعه من العناصر. ومن الأمثلة التي يضربها فوكوني وثيرنر لإيضاح هذا المزج الذي يحدث في عمليّة التفكير لغز الرّاهب البوذي»⁽⁵²⁾.

إنّ المزج التّصوّري آليّة عرفانيّة ساريّة في جميع ضروب تفكيرنا وعيينا ذلك أو لم نع، وجميع النّاس يستعملون هذه الآليّة حتى الأطفال، لأنّها ما به نفكر، بل هي التفكير نفسه، وتتجلّى في كلّ أنشطتنا الرّمزيّة، وأنظمتنا العلاميّة، وأهمّها: اللّغة وتقوم على جملة من المفاهيم أهمّها: الفضاء الدّخل، المزج التّصوّري الفضاء المزجي، الإسقاط الانتقائي...وهي آليّة تحكم أبسط أنشطتنا وأشدّها سذاجة كما تحكم أعلى درجات تفكيرنا، وإنتاجاتنا المعرفيّة الكبرى، وهي ليست شيئا مضافا إلى الفكر، بل هي الفكر نفسه في آليّة اشتغاله.

الاستعارة نتاج عمليّة مزج بين فضاءات ذهنيّة، فهي إذن آليّة في التفكير، فجانّب كبير من المزج الذي نقوم به هو مزج يقوم على الاستعارة مثال: تكلّم فجمع بين الأروى والنّعام.

تقوم هذه الاستعارة على المزج بين فضاءين دخلين، الفضاء الدّخل الأوّل ويمثله الرّاعي الذي يجمع بين الأروى وهو حيوان يسكن الجبال، ويرتاد الوعر منها، والنّعام وهو حيوان يعيش في الصّحاري والفيافي، أي ما نبسط من الأرض

والفضاء الثّاني يمثله المتكلم الذي يجمع في حديثه متتافر الكلام، أو موضوعات غير متلائمة، ولا رابط بينهما.

أمّا الفضاء المزجي، وهو الفضاء الذي يقوم على إسقاط انتقائي لعناصر الفضاءين الدّخلين، فالمتكلم هو الرّاعي، وموضوعات الكلام تناسب الأروى والنّعام وفعل الرّعي والجمع بين حيوانين لا يجتمعان في فضاء واحد، يمثله فعل الكلام الذي يجمع موضوعات متباينة، فتكوّن بهذا المزج فضاء جديدًا، نشأت عنه معادن جديدة ما كان لها وجود قبل هذا الزّج، ورغم أنّ الفضاءين الدّخلين مختلفان وينتميان إلى إطارين مختلفين، فالمزج يجعل بينهما انسجامًا واشتراكا.

الجمع بين شيئين مختلفين في فضاء واحد (الأروى والنّعام/موضوعات مختلفان)

فشل عمليّة الجمع، وعدم تأديتها غايتها (فشل الرّاعي، وفشل المتكلم)

فالإسقاط تمّ باعتبار الأدوار والوظائف، الفاعل: المتكلم/الرّاعي، الحدث: الكلام/الرّاعي، المفاعل موضوعان غير متجانسين الأروى والنّعام.

النتيجة: فشل الخطاب/ فشل عمليّة الرّعي.

هاتان النظريتان (نظريّة الاستعارة التّصوريّة، ونظريّة المزج) رغم جهازهما الاصطلاحي المختلف فهناك من رأى أنّهما متكاملتان ففي مقالهم "الدمج والاستعار" (Blending and Metaphor) فسّر كلّ من فرادى (Joseph.E) وأوكلي (Todd Oakley) وكولسن (seana Coulson) مظاهر التّكامل بين هاتين النظريتين، فقد غيرت نظريّة الدمج الميدان الهدف والميدان المصدر بالفضاءات الدّخل أو الفضاءات الذّهنيّة فالفضاء ليس هو الميدان ولكنه يتوقّف عليه، فالفضاءات تقدّم سيناريوهات مخصوصة مبينة عن طريق ميادين معطاة. ونظريّة الاستعارة والتّصوريّة تقوم على فهم المعنى الاستعاري باعتباره ذا طبيعة تصوّريّة يقوم على

فهم "أ" عن طريق "ب" فالميدان الهدف والميدان المصدر مختلفان بينما في نظرية الدمج التصوري هناك تمش داخلي في شبكة من الفضاءات الذهنية تنتج دمجا أو انصهارا بين العناصر المكونة للفضاءات الدّخل.

قال الله تعالى: ﴿فَذَرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١﴾ يونس 11
البنية التصورية المبينة في ذهن المتكلم هي صورة ساهرة لرجل طاغية متجبر وتائه متخبط معاً، فتتكون بالجمع بين المتناقضين صورة ساهرة، من خلال هذا التركيب (في طغيانهم يعمهون).

حيث استعيرت صورة الطاغية من البنية التصورية للمتكلم، وصورة المتخبط التائه من المكان نفسه، ثم ركبتا معاً لتكون بذلك صورة جديدة محصلتها السخرية فهي المشهد النهائي الذي يجمع الصورتين، فصورة الطاغية تدخل الخوف والرعب لمن يراها، وصورة المتجبر التائه تثير الشفقة، والعطف على صاحبها ولكن الجمع بينهما في شخص واحد وفي لحظة واحدة يخلق معنى جديد هو السخرية وليس أن الله تعالى قد سخر منهم⁽⁵³⁾.

جمع الله بين صفتين متناقضتين في شخص واحد هو كل متكبر جبار فأصبحت الصورة الجديدة هي سبب السخرية منه.

وفي الأخير الحديث عن الاستعارة متشعب وكثير حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية التركيز على بعض القضايا البسيطة بين المنظور البلاغي والمنظور العرفاني، ووجدنا أن الاستعارة منطلقها علاقة التشبيه ثم القيام بها. ففي الفكر البلاغي هي ظاهرة لغوية قوامها العدول عن المعنى الحرفي، أو المجازي. وفي المنظور العرفاني ذات طبيعة تصورية لا لسانية، لأنها عملية تقوم على استغلال آلة الذهن في إدراك ما حولنا، كما أن النظريات الحديثة تتاولن الاستعارة من

جوانب كثيرة، بعضها لم تتعرض به النظريات القديمة، وهي بذلك تفتح المجال للمزيد من البحث.

الهوامش:

-
- (1) الجاحظ، البيان والتبيين، البيان والتبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت650هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت-لبنان، دط، دت، 153/1.
- (2) ابن المعتز، كتاب البديع، ص: 2.
- (3) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1963، ص: 64.
- (4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط3 1421هـ-2001م، ص: 27.
- (5) السكاكي (أبو يعقوب يوسف محمد بن محمد بن علي ت 626هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م، ص: 477.
- (6) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 178.
- (7) ابن رشيق القيرواني، العمدة، مطبعة حجازي، القاهرة، 243/1.
- (8) السكاكي، مفتاح العلوم، ص 478.
- (9) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 179.
- (10) عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربيّة، مقارنة معرفيّة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء 2001م، ص: 20.
- (11) نفسه، وصفة.
- (12) ينظر: صالح بن عبد الهادي رمضان، النظريّة الإدراكيّة وأثرها في الدرس البلاغي، الاستعارة أنموذجا ندوة الدراسات البلاغيّة الواقع والمأمول، 1432هـ، ص: 820، 822.
- (13) ينظر: ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجيّة في علوم البلاغيّة العربيّة (دروس ودراسات)، دط 2004م، ص: 149.

- (14) الخطيب القزويني، التّخليص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، لبنان، ط2، 1932م، ص: 329.
- (15) نفسه، ص: 328.
- (16) راجي الأسمر، علوم البلاغة، إشراف: إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط1، 1426هـ-2005م، ص: 101.
- (17) ينظر: راجي الأسمر، علوم البلاغة، ص: 101، 104.
- (18) الخطيب القزويني، التّخليص في علوم البلاغة، ص: 330.
- (19) المتنبّي، الدّيان، شرحه واعتنى به: إبراهيم شمس الدّين، دار صبح، بيروت-لبنان، ط1، 1428هـ-2008م، ص: 249.
- (20) الخطيب القزويني، التّخليص في علوم البلاغة، ص: 327.
- (21) المتنبّي، الدّيان، ص: 539.
- (22) ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجيّة في علوم البلاغة العربيّة (دروس ودراسات)، ابن خلدون للنشر والتّوزيع، ط1، 2004م، ص: 149، 150.
- (23) ينظر نفسه، ص: 150، 152.
- (24) ينظر: ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجيّة في علوم البلاغة العربيّة، ص: 183، 189.
- (25) محمّد الصّالح البوعمراني، السّيميائيّة العرفانيّة الاستعاري والتّقافي، مركز النّشر الجامعي، تونس، ط1، 2015م، ص: 01.
- (26) محمّد الصّالح البوعمراني، دراسات نظريّة وتطبيقيّة في علم الدّلالة العرفاني، مكتبة علاء الدّين، صفاقس ط1، 2009م، ص: 107.
- (27) عطية سليمان، الاستعارة القرآنيّة في ضوء اللّسانيّات العرفانيّة، ص: 08.
- (28) نفسه والصّفحة.
- (29) ينظر: آزد حسان شيخو، النّقد المعرفي في الدّرس البلاغي -نسقيّة البيان- عالم الكتب الحديث للنشر والتّوزيع، إربد-الأردن، ط1، 2013م، ص: 70.
- (30) نفسه والصّفحة.
- (31) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللّبناني، بيروت-لبنان، 1979م، 393/2.

- (32) نفسه، ص: 66.
- (33) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، إعداد: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، دط، دت، 1/151.
- (34) شامو سعيد، التّبيّر الفلسفي في الرواية، دار سدرم للطباعة والنّشر، العراق، ط1، 2007م، ص: 71.
- (35) لايكوف وجنسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط1 1996م، ص: 21.
- (36) ينظر: صالح بن عبد الهادي رمضان، النّظرية الإدراكية وأثرها في الدّرس البلاغي، ص: 862.
- (37) محمّد الصّالح البوعمراني، السّيميائية العرفانية، ص: 2.
- (38) راشد مرزوق راشد، علم النّفس التّربوي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005م، ص: 126.
- (39) آزاد حسان شيخو، النّقد المعرفي في الدّرس البلاغي، تنسيقية البيان، عالم الكتب الحديث للنشر والتّوزيع إربد-الأردن، ط1، 2013م، ص: 16.
- (40) محمد غاليم، التّوليد الدّلالي في الدّلالة والمعجم، دار نوبقال للنشر، ط1، 1987م، ص: 95.
- (41) محمّد الصّالح البوعمراني، السّيميائية العرفانية، ص: 09.
- (42) آزاد حسان شيخو، النّقد المعرفي في الدّرس البلاغي، ص: 97.
- (43) زهير بن أبي سلمى، الدّيان، شرح: الإمام أبي العباس ثعلب، تحقيق: أحمد زكي العدوي، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، دط، 1964م، 2/143.
- (44) آزاد حسان شيخو، النّقد المعرفي في الدّرس البلاغي، ص: 193.
- (45) نفسه والصّححة.
- (46) ينظر: محمّد الصّالح البوعمراني، السّيميائية العرفانية، ص: 3، 4.
- (47) ينظر: نفس، ص: 3، 8.
- (48) ينظر: صالح بن عبد الهادي رمضان، النّظرية الإدراكية وأثرها في الدّرس البلاغي، ص: 849.
- (49) عطية سليمان، الاستعارة القرآنية في ضوء اللّسانيات العرفانية، ص: 20.
- (50) G.Fauconnier and M.turner, The way wethink,conceptval Blinding and The minds Hidden complexities, Edition Basic Book, 2002, p 11 .[
- (51) عطية سليمان، الاستعارة القرآنية في ضوء اللّسانيات العرفانية، ص: 5.

(52) نفسه، ص: 6.

(53) نفسه، ص: 122، 123.

المصادر والمراجع:

- 1- ابن رشيق القيرواني، العمدة، مطبعة حجازي، القاهرة، دط، دت.
- 2- ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية (دروس ودراسات)، ابن خلدون للنشر والتوزيع، دط، 2004م.
- 3- ابن عبد الله شعيب أحمد، بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية (دروس ودراسات)، دط، 2004م.
- 4- ابن منظور، لسان العرب، إعداد: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، دط، دت.
- 5- آزاد حسان شيخو، النقد المعرفي في الدرس البلاغي، تنسيقية البيان، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، ط1، 2013م.
- 6- آزاد حسان شيخو، النقد المعرفي في الدرس البلاغي -تنسيقية البيان- عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، ط1، 2013م.
- 7- الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت650هـ)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت-لبنان، دط، دت.
- 8- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1979م.
- 9- الخطيب القزويني، التخليص في علوم البلاغة، دار الفكر العربي، لبنان، ط2، 1932م.
- 10- راجي الأسمر، علوم البلاغة، إشراف: إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت-لبنان، دط، 1426هـ-2005م.
- 11- راشد مرزوق راشد، علم النفس التربوي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2005م، ص: 126.
- 12- زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرح: الإمام أبي العباس ثعلب، تحقيق: أحمد زكي العدوي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1964م.
- 13- السكاكي (أبو يعقوب يوسف محمد بن محمد بن علي ت626هـ)، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.

- 14- شَاهُو سَعِيد، التَّبْيِيرُ الفَلَسْفِي فِي الرِّوَايَةِ، دَارُ سِرْدَمَ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، الْعِرَاق، ط1، 2007م.
- 15- صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْهَادِي رَمْضَانَ، النَّظَرِيَّةُ الْإِدْرَاكِيَّةُ وَأَثَرُهَا فِي الدَّرْسِ الْبَلَاغِيِّ، الْإِسْتِعَارَةُ أَنْمُودَجًا، نَدْوَةُ الدِّرَاسَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ الْوَاقِعِ وَالْمَأْمُولِ، 1432هـ.
- 16- عَبْدُ الْإِلَهِ سَلِيم، بَنِيَاتُ الْمَشَابَهَةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مَقَارِبَةٌ مَعْرِفِيَّةٌ، دَارُ تَوْبَقَالٍ لِلنَّشْرِ، الدَّارُ الْبَيْضَاءُ، 2001م.
- 17- عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِي، دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ، تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدُ الْفَاضِلِي، الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ، صَيْدَا، بَيْرُوت، ط3 1421هـ-2001م.
- 18- قَدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ، نَقْدُ الشَّعْرِ.
- 19- لَيْكُوفُ وَجَنْسُونُ، الْإِسْتِعَارَاتُ الَّتِي نَحْيَا بِهَا، تَرْجُمَةُ: عَبْدُ الْمَجِيدِ جَحْفَةُ، دَارُ تَوْبَقَالٍ لِلنَّشْرِ، ط1، 1996م.
- 20- الْمُتَنْبِي، الدِّيَوَانُ، شَرْحُهُ وَاعْتَنَى بِهِ: إِبْرَاهِيمُ شَمْسُ الدِّينِ، دَارُ صَبِيحٍ، بَيْرُوت-لُبْنَانُ، ط1، 1428هـ-2008م.
- 21- مُحَمَّدُ الصَّالِحُ الْبُوعِمْرَانِي، السِّمِّيَّاتُ الْعَرَفَانِيَّةُ الْإِسْتِعَارِيَّةُ وَالنَّقَافِي، مَرْكَزُ النَّشْرِ الْجَامِعِيِّ، تُونِسَ، ط1 2015م.
- 22- مُحَمَّدُ الصَّالِحُ الْبُوعِمْرَانِي، دِرَاسَاتُ نَظَرِيَّةٍ وَتَطْبِيقِيَّةٍ فِي عِلْمِ الدَّلَالَةِ الْعَرَفَانِيَّةِ، مَكْتَبَةُ عِلَاءِ الدِّينِ صَفَاقْسَ، ط1، 2009م.
- 23- مُحَمَّدُ غَالِيمُ، التَّوْلِيدُ الدَّلَالِيُّ فِي الدَّلَالَةِ وَالْمَعْجَمِ، دَارُ نَوْبَقَالٍ لِلنَّشْرِ، ط1، 1987م.

الأفضية الذهنية وتشكل الروابط العرفانية في نظام اللغة

أ. فاسخ فضيلة

ج. الشيخ العربي التبسي

ملخص المداخلة:

أدّى التّداخل الحاصل بين مختلف الحقول المعرفيّة إلى ظهور نظريات لسانیّة جديدة، أسهمت في تطوير البحث اللّغوي، منها النظريات اللّسانیّة العرفنيّة التي تعالج طرائق اشتغال اللّغة في الدّهن، من حيث طبيعتها ووظيفتها، وتفاعلها مع باقي الملكات الدّهنيّة، كالإدراك والتّدكّر وتصورّ المفاهيم المرتبطة بالبيئة والسّياق، من بينها نظريّة الأفضيّة الدّهنيّة بآلياتها الإجرائيّة التي تعمل على توليد الدّلالات العرفانيّة داخل فضاء الخطاب، وذلك عن طريق عمليات الإسقاط التي تحدث بين عديد المناويل العرفنيّة التي تكاد تتشابه مع بعضها البعض، منتجة شبكة من المفاهيم الجديدة، نقلت مسار البحث إلى توجّه آخر، يبحث عن العلاقة القائمة بين اللّغة والدّهن والواقع، وقوام ذلك الارتكاز على ترابط التّصورات الدّهنيّة التي تؤمّن لها الأطر المعرفيّة المختلفة، المشكلة للخطاب أثناء عمليّة التّواصل .

وتبعا لذلك نطرح الإشكالات الآتيّة: ما طبيعة الروابط العرفانيّة التي تعمل على تشكيل نظام اللّغة؟ هل هي واحدة أم متعدّدة؟ كيف تعمل الأفضيّة الدّهنيّة على تحقيق التّواصل؟

تمهيد:

تداخلت مختلف العلوم المعرفية في الآونة الأخيرة مع بعضها البعض، وتقاطعت مجالات اشتغالها لحدّ يصعب الفصل بينها، ممّا أسفر عن ظهور مناهج بحث جديدة ومقاربات إجرائية، أسهمت بآلياتها في الخروج من دائرة التقليديّة، والارتقاء بالبحث اللّغوي إلى أقصى درجات الدّقة والعلميّة، وقد ساعد على ذلك دخول المعلوماتيّة في جميع ميادين المعرفة، واللّغة العربيّة لم تكن في معزل عن تلك التّطوّرات لما لها من خصائص تمييزيّة، تجعلها قابلة للحوسبة الآليّة، كالاشتقاق، والتّعدّد، والتّوليد والتّحويل والتّرجمة الآليّة...، ومن ثمّ ظهرت ممارسات إجرائيّة لحوسبتها، والاستفادة منها في مجال التّواصل الرّقمي، وفي الآن ذاته اتّجه التّركيز على إنتاج جبل من الحواسيب الذّكيّة تحاكي التّفكير الإنساني، فانطلق البحث في العلاقة بين اللّغة، والدّهن، والواقع ومحاولة فهم طرائق اشتغال الدّهن، ممّا أدّى إلى ظهور مجموعة من النّظريات بآليات مختلفة ضمن ما يعرف باللّسانيّات العرفانيّة.

ونظرية الأفضيّة الذّهنيّة هي أحد المباحث العرفانيّة التي فسّرت أوليات اشتغال الدّهن وطرائق بناء تصوّراتنا لما حولنا في الواقع أو العالم المتخيّل. منظرها اللّغوي الفرنسي جيل فوكونيائي (Gilles fauconnier) المولود سنة 1944، تخرج في مجال العلوم الصّحيحة سنة 1955، بشهادة مهندس، ونال شهادة الدّراسات المحقّقة في الرّياضيات سنة 1967، لينتقل إلى أمريكا، أين تخصص في اللّسانيّات، متخصّلاً على شهادة الدّكتوراه في جامعة كاليفورنيا سان دياغو، ثمّ عاد إلى فرنسا، وتأثّر بالسّياق العرفاني الذي كان سائداً في البحوث اللّسانيّة، منتجا مؤلّفه الموسوم بـ: "الفضاءات الذّهنيّة: مظاهر من بناء المعنى في اللّغات الطّبيعيّة"، سنة 1984؛ حيث وضّح فيه سبل تشكّل الأفضيّة الذّهنيّة⁽¹⁾ التي تعكسها الظّاهرة اللّغويّة أثناء عمليّة التّواصل.

1- نظرية الفضاء الذهني:

تعني نظرية الفضاء الذهني (space mental) "جملة العناصر والمعلومات المنظمة المتعلقة بها، تشمل العناصر جميع المفاهيم ما تعلق منها بالمعتقدات والأفكار والمشاعر والأحاسيس، وما تعلق منها بالأشياء في الكون. فهو بنية عرفنية تبنى فيها المجالات وتنظم وتترابط بأنواع من الترابطات ما بين المجالات"⁽²⁾ ومفاد ذلك أن طبيعة الفضاء الذهني هي بنية تصوّرية تجتمع فيها مجموعة من الخصائص، والمعلومات المحتواة في مجال واحد، وهي إما أن تكون عناصر داخلية (حالات نفسية، أفكار، معتقدات) أو عناصر خارجية تحيل من خلالها تلك المعلومات على ما هو موجود في الواقع، والعلاقة بين الأفضية الذهنية وما هو كائن خارجها، تضمنها جملة من الروابط، التي تقوم بترتيب، وتنظيم المعلومات في الذهن، وفي اللحظة ذاتها تتفاعل فيما بينها، "متشكلة في كل خطاب، تشكلا مطابقا للبيانات التي توفرها العبارات اللغوية"⁽³⁾؛ حيث إنّ ما نتصوره في أذهاننا من معلومات تقوم اللغة بتفسيره في نظام علامي، يحافظ على نفس ترتيب تلك المعلومات في الذهن، وهذا ما يحدث عند إدخال المعلومات إلى الحاسوب لمعالجتها، فيتم تفسيرها بالنظام الثنائي مع ترتيبها ترتيبا منطقيا.

ومما سبق يمكننا القول أن الأفضية الذهنية هي بنيات تصوّرية تنشأ وتتوالد بشكل آني أثناء ممارسة الحدث التواصلي، فيما يُعرف بالإطار، هذا الأخير الذي يكتسب خصائصه داخليا، وفي الآن نفسه يربط علاقات مع غيره من الأطر بقرائن لغوية يؤمنها نظام اللغة المستعمل، وغير لغوية تفسرها دلالة المقام، وهذا ما يجعلنا نبحث عن مركبات الفضاء الذهني.

2- في بناء الفضاءات الذهنية:

ينطلق الأزهر الزناد في بسطه لمركبات الأفضية الذهنية من تصوّره القائم على هندسة بناية عالية لها بطبيعة الحال أساس، تنبني عليه طوابق، يؤسس فيها السابق لللاحق محققاً تبعيته لها، كذلك الأمر بالنسبة للخطاب يكون له أفضية أساسية وأخرى متولدة عنها، تنبني بآليات مخصوصة تحكمها أدوات بناء⁽⁴⁾ وهو بذلك يعرض لنا التشكيلة الهندسية للأفضية الذهنية، إذ تنقسم إلى قسمين هما الفضاء الأساس الذي تنبني عليه التّصورات الذهنية، والفضاء الجديد، أو الافتراضي المتولد عن الفضاء الأساس، منتقياً منه الخصائص اللازمة لتشكّله، كما أنّ عمليّة التوليد الذهني تتسم بالآنية، فهي مسابرة للحدث التّوصلي خاضعة لمبدأ النظام والترتيب، لتنشئ بذلك مجموعة من العلاقات بين الأفضية، التي تحقّقها الروابط أثناء تشكيلها للأطر العرفانية، وعلى هذا الأساس تقوم الأفضية الذهنية على المفاهيم الآتية: الإطار-بناء الأفضية- الروابط -العلاقات.

فالإطار كما يرى دي بوجراند، هو صور للمعلومات عند اختزانها في الذاكرة أو استخدامها الفعلي "ينظر إليها من حيث هي عرض معين يتكوّن من خلاله تنظيم العناصر بحيث يسهل إتاحة المطلوب من بينها"⁽⁵⁾ أي أنّه نظام من المعلومات ذات المجال الواحد، يمكن له أن يوفّر العناصر المساعدة على تشكيل المعنى المراد بنائه وفي ذات السياق تُعرّف الأطر "بكونها تمثّلات أو تصوّرات منظّمة لوجوه اشتغال الكون، وهذه الأطر تمكّننا من استعمال كلّ ما يتوفّر من معطيات، وإجرائها في وجوه عديدة ممكنة"⁽⁶⁾ ويكتسب الإطار في مجال اشتغاله "دورا، وقيمة، إذ "يتضمّن إضافة إلى الوحدات التي تكوّنه، ما يكون لها من أدوار،... تتحدّد في ضوء تأطير التجربة الماديّة، أو الثقافيّة الاجتماعيّة"⁽⁷⁾ بمعنى أنّ الإطار تصوّر ذهني لما هو موجود في الواقع، ولما كانت اللّغة مجالا خصبا

لنشأة الأفضيّة الذهنيّة فإنّ الوحدة اللّغويّة المشكّلة لإطار عرفانيّ معيّن، يمكنها أن تقوم بعدّة أدوار، وبهذا التّحوّل يأخذ الدّور قيمته.

أمّا بناء الأفضيّة (Space Builders) فقد قال عنها فوكونياي بأنّها كائنات ذهنيّة، يمكن لها أن تنشئ عند استعمالها، ما لا نهائيّة من الفضاءات المختلفة⁽⁸⁾ وهي "آليات يستعملها المتكلّم ليجرّ سامعه إلى تأسيس فضاء ذهنيّ جديد وهي العبارات المتحقّقة في الخطاب"⁽⁹⁾ بمعنى أنّها أفعال لغويّة، يمارسها المتكلّم على السّامع، متحقّقة في شكلها التّواصلي، "ولا تحمل هذه الأدوات بناء الأفضيّة في ذاتها معلومات عن الفضاء الجديد، وهي في اللغات شتات من الأسماء، والصّفات والظّروف، والحروف وكلّ ما يعبر عن الزّمان والمكان، وغيرهما من الأطر الافتراضيّة"⁽¹⁰⁾ إذ تعمل على ربط الأفضيّة بعضها ببعض منتجة شبكة علاقيّة بين معلومات الأطر الافتراضيّة، التي يبنّيها السّامع لحظة تأويله للخطاب.

وقد أورد فوكونياي أنّه عندما يتمّ تشكيل الفضاء الذهنيّ في الخطاب بواسطة بناء الأفضيّة يجب أن تترايط مع الفضاء الأساس، باستعمال عناصر محفّزة مشتركة بين الفضاء الأساس، والأفضيّة المتولّدة عنه⁽¹¹⁾ وهو "يسمّي الروابط بالمدرجات قد تكون ظروفًا أو مركّبات ظرفيّة أو واصلات منطقيّة (إذا كان...إنّ) (إمّا...وإمّا) مركّبات فعليّة، ترافق المدرجات جملا لغويّة تعقد علاقات بين عناصر الفضاءات⁽¹²⁾ إذ تؤدّي الروابط دورا وظيفيا في الوصل بين الأطر، والأفضيّة، مشكّلة نوعا من الانتظام في توزيع المعلومات بمساعدة مختلف وحدات اللّغة المستعملة في التّواصل.

وتنشأ العلاقات بين الأفضيّة، نتيجة لعملية الرّبط، التي تجعل الوحدات الخطابيّة مستمرة، حيث تنفرّع إلى علاقات التّرتيب التي بها تترتّب الأفضيّة، في مواضع

التبشير، وعلاقات الترابط التي تنتجها الروابط عن طريق مبدأ الاهتمام الذي يقوم على إيجاد نظير لكل عنصر من الفضاء الأساس في الفضاء المتولد عنه ⁽¹³⁾ أي أنّ العلاقات تنشأ بين العناصر المشكلة للأفضية الذهنية، نتيجة لاشتغال الأدوات الواصلة بينها هذا الاشتغال ينتج علاقات تعمل على ترتيب الحالات الذهنية النشطة التي تولّد أفضية جديدة في حين تنشأ علاقات الترابط بالاستعمال المتعدد للأدوات الرابطة بين الأطر المشكلة للخطاب عن طريق توريث بعض خصائص الفضاء الأساس للفضاء المتولد عنه.

ولتوضيح الفكرة ندرج هذا النموذج: "اشترى جا يوما دقيقا وحمله على حمّال فهرب بالدقيق فلمّا كان بعد أيام رآه جا فاستتر منه فقيل له: مالك فعلت كذا؟ فقال أخاف أن يطلب كراه" ⁽¹⁴⁾

في هذا الخطاب انتظمت مختلف العناصر اللغوية لتعكس لنا مجموعة من العمليات الذهنية المتولدة آنيا لحظة إنتاجه، إذ يتشكل من مجموعة من الأفضية الذهنية التي تتربط فيما بينها مشكلة شبكة من الدلالات التصورية.

وينقسم فضاء هذا الخطاب إلى مجموعة من الأفضية الذهنية، حيث بدأت بفضاء أساس هو فعل الشراء (اشترى جا يوما دقيقا) بما يستدعيه من أطر معرفية مختلفة كإطار الشراء (بائع، دقيق ثمن...) وإطار جا الذي عُرف بنوادره المضحكة، وهذا الفضاء الأساس مبنيّ على محدّد الزمان "يوما" لينتج بعد ذلك الفضاء الثاني حمل الدقيق (وحمله على حمّال) وما يتطلّبه من أطر عرفانية (حمال، دقيق جا...) منها ما هو موروث عن الفضاء الأساس (جا)، دون أن يرد لفظا بل بعائد (الضمير) الذي يحيل عليه ومنها ما هو جديد أوجده مقام التواصل (الحمال)

بما يحمله من إطار مفهومي شامل: الصفات الأجر...، وهنا يتولد الفضاء الثالث هروب الحمال بالدقيق (فهرب بالدقيق).

تتعلق الأفضية الذهنية السابقة بعناصر مشتركة فيما بينها فجاء كان ظاهرا في الفضاء الأساس وضميرا في الثاني، بينما العنصر "دقيق" ورد ظاهرا في الأول وضميرا في الثاني "حملة" في حين يرد معرفا في الثالث "الدقيق" مما أدى إلى ضمان الترابط بين الأفضية الثلاثة، واستمرار الكلام، مع انتقال بؤرة الانتباه من جحا في الفضاء الأساس إلى الحمال في الثاني والثالث.

وينشأ الفضاء الرابع رؤية جحا للحمال مرة أخرى (فلما كان بعد أيام رآه جحا) بمحدد زمني "بعد أيام" حيث حافظ على ترابطه بالأفضية السابقة عن طريق ظهور الإطار "جحا" من جديد نظرا لبعد المسافة بين الفضاء الأساس والفضاء الرابع المتولد عنه، إضافة إلى ورود الحمال ضميرا "فراه" لقرب المسافة الذهنية بين هذا الفضاء وسابقه⁽¹⁵⁾ وفي الآن ذاته ينتج الفضاء الخامس: استتار جحا من الحمال (فاستتر منه) وهنا يغيب كلا من الحمال وجحا لفظ ليحظرا عن طريق الإحالة إليهما بالضمير، وهذا ما أدى إلى ترابط الأفضية برابط عرفاني تمثل في التطابق بين الحمال في الذي حمل الدقيق والحمال الذي رآه جحا كما أن العناصر السياقية لها دورها في بناء هذه الأفضية، كحسن ظن جحا بالحمال، وغياب سمة الاحتيال عن التصور المفهومي لذلك الحمال بالذات لديه.

إن الأفضية الذهنية الخمسة السابقة كانت سببا منطقيا أدى إلى إنتاج سيرورة تواصلية الهدف منها معرفة الاستعلام عن خبر استتار جحا من الحمال وهو الذي هرب بالدقيق، فبني الفضاء السادس (فقيل له: مالك فعلت كذا؟) بأداة استفهام وفعل القول ضمن إطار عناصر التواصل "متكلم، سامع مشاركين في عملية التخاطب" مولدا

بذلك للقضاء السّابع (فقال أخاف أن يطلب كراه) الذي كان ردًا على السّؤال، وهو فضاء افتراضي أساسه جملة التّصورات، والمشاعر، والأطر المعرفيّة التي بناها جحا في ذهنه نتيجة تجربته في الواقع، وقد بُني بفعل الخوف من طلب الأجر.

الخاتمة:

ممّا تقدّم يمكننا القول أنّ نظام اللّغة يتشكّل بروابط عرفانيّة تعمل على ترابط الأفضيّة الذهنيّة بعضها ببعض وتوالدها، وهي متعدّدة كحروف العطف، ظروف الزّمان والمكان، الجمل الفعلية والعلاقات الدّلاليّة التّصوريّة كالتّطابق إضافة إلى المحدّدات الثقافيّة، والسيّاقية المختلفة. كما أنّ توليد هذه الأفضيّة وبنائها يعمل على تحقيق التّواصل بصورة آنيّة تتحقّق داخل الوحدات الخطابيّة.

الهوامش والاحالات:

(1) ينظر عبد العزيز مجدوب: إطلاّلات على النّظريات اللّسانيّة والدّلاليّة في النّصف الثّاني من القرن العشرين، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، ط1، تونس، ج1، 2012، ص387.

(2) الأزهر الزّناد: النّص والخطاب مباحث لسانیّة عرفنيّة، دار محمد علي للنشر، ط1، صفاقس تونس، 2011، ص206.

(3) عبد العزيز مجدوب: إطلاّلات على النّظريات اللّسانيّة والدّلاليّة في النّصف الثّاني من القرن العشرين، ص408.

(4) الأزهر الزّناد: النّص والخطاب مباحث لسانیّة عرفنيّة، ص207.

(5) روبرت دييوغراندي: النّص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1418هـ-1988م، ص354.

(6) الأزهر الزّناد: نظريات لسانیّة عرفنيّة، دار محمد علي للنشر، ط1، تونس، 1431هـ-2010م، ص204.

(7) الأزهر الزّناد: النّص والخطاب مباحث لسانیّة عرفنيّة، ص215.

(8) "Having informally suggested that pragmatic connectors operate on mental objects and that such objects may fall within different domains" Gilles fauconnier: MENTAL SPACES, Cambridge university, press 1994, p16.

(9) الأزهر الزنّاد: نظريات لسانية عرفيّة، ص207.

(10) الأزهر الزنّاد: النصّ والخطاب مباحث لسانية عرفيّة، ص207.

(11) "when a space M is introduced in discourse by a space builder SB_M , it must be pragmatically connected to its parent space: there must be a connector capable of connecting triggers and targets in the parent and daughter space. ", Gilles fauconnier : MENTAL SPACES p18.

(12) عبد العزيز مجدوب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص409.

(13) ينظر الأزهر الزنّاد: نظريات لسانية عرفيّة، ص 220-221.

(14) ينظر الأزهر الزنّاد: نظريات لسانية عرفيّة، ص 212.

(15) ينظر الأزهر الزنّاد: نظريات لسانية عرفيّة، ص213.

المصادر المراجع:

- عبد العزيز مجدوب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ط1، تونس ج1.

- الأزهر الزنّاد: النصّ والخطاب مباحث لسانية عرفيّة، دار محمد علي للنشر، ط1، صفاقس تونس، 2011.

- روبرت ديبوغراند: النصّ والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1418هـ-1988م.

- الأزهر الزنّاد: نظريات لسانية عرفيّة، دار محمد علي للنشر، ط1، تونس، 1431هـ-2010م.

- Gilles fauconnier: MENTAL SPACES, Cambridge university, press 1994.

النمو اللغوي والتطور الدماغي من منظور اللسانيات العصبية.

د. نورية بن عدي

المركز الجامعي مغنية - تلمسان.

تمهيد:

اللغة مهارة إنسانية اختص بها الله تعالى الإنسان دون سائر مخلوقاته، لاقتصار جهده ووقته نحو الحضارة لأن الحضارة الإنسانية ما كانت لتصل إلى ما هي عليه بدون قدرة الإنسان على اكتساب الرموز اللفظية، وهي باعتبارها وسيلة رمزية لتواصل الإنسان مع عالميه الخارجي والداخلي، قد وجدت فيه نتيجة توفر مجموعة من القدرات الكامنة بدماغه؛ كالقدرة على إصدار الصوت والتحكم في مجراه، والقدرة على الترميز الصوتي والإشاري والقدرة على التعلم والتعليم.

وإذا كانت وظيفة النطق والتواصل من أشد وظائف الدماغ البشري تعقيدا؛ إذ تشترك فيها حوالي مائة عضلة من عضلات الوجه، والتجويف الفموي، والبلعوم، والحنجرة، والرقبة والعضلات الصدرية والبطنية، فإن التحكم فيها لا بد أن يكون مركزيا⁽¹⁾. ونقتضي هذه المركزية وجود مراكز عصبية غاية في الدقة موكلة بهذه العملية.

وتبعا لهذه الأهمية، تتعدد التعريفات الاصطلاحية للغة بتقديم العلوم واختلاف التوجهات العلمية والفلسفية. ذلك ما سنحيل إليه من خلال الوقفات التعريفية الآتية:

تعريف ابن جني:

" حدّ اللّغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" وهو يحمل الحقائق التّاليّة:

*الإشارة إلى الواقع الفيزيائي للغة؛ باعتبارها أصواتا تصدر بصورة تلقائيّة تمثّل طبيعة اللّغة، فلا يكابد المخّ في إنتاجها لأنها تصدر ضمن عمليات بيولوجيّة / حيويّة، تماما كالتنفّس أو بلع الطّعام؛ حيث يصدرها المخ بتأثير انفعال ما كالفرح أو الخوف، ثم يطورها إلى لغة تحقق نشاطا تواصليا أو غيره..

*خصصت اللّغة أصواتا تحقق بها التّواصل لإحداث الصّورة نفسها لها في دماغ المتلقي.

*الأصوات في أدمغة البشر تخرج حاملة أفكارهم لتحقيق لهم التّعبير عن أغراضهم.

*ما ليس بصوت لا يعد لغة، حتى ولو حقق التّواصل كلغة الإشارات.

وقد أكد هومبولت⁽²⁾ W. Humbolt أنّ اللّسانيّات لن تعالج أيّ قضية ما لم ترتقي إلى فهم اللّغة كنشاط ذهني؛ إذ يعرفها بكونها "نشاطا مستمرا للذهن الذي يسعى إلى تحويل الصّوت المنطوق للتعبير عن الفكرة.. كي يعيد تشكيل العالم الخارجي في نطاق الذّهن"⁽³⁾

التّصور اللّساني للغة عند دي سوسير:

بعد أن طُرحت إشكاليّة ارتباط اللّغة بالفكر مع اللّغوي "هومبولت"، سعى دي سوسير للبحث فيها من خلال ثنائيّة اللّغة والكلام في تصوّره للسان باعتباره خاصيّة إنسانيّة مع جزئيّة اللّغة قياسا بشموليته، وفرديّة الكلام قياسا بهما معا؛ فاللّغة اجتماعيّة والكلام فردي. لذلك أشار مرارا أنّ اللّغة هي المظهر الاجتماعي للسان والخارجي بالنّسبة للفرد " كما أنّه لم يهمل المنزاع النّفسي للغة باعتبار

وجودها على شكل مجموعة من البصمات المستودعة في دماغ كل عضو من أعضاء المجتمع" فهي توجد افتراضيا في كل دماغ على شكل نحوي يتحقق من خلال الكلام . وكان ذلك بمثابة تأكيد على الجوهر النفسي للغة الذي هو في جوهره عصبي، كما سيتضح فيما بعد.(4)

تعريف أعلام المدرسة الأمريكية البنوية المعاصرة (بلومفيلد Bloomfield وسابير Sapir):

ربط سابير اللغة — " مجموعة من الرموز التي تمثل المعاني المختلفة"(5) مؤكداً، في البداية، على ارتباطها الوثيق بالثقافة؛ حيث " من الممكن تحديد الثقافة عن طريق ما يفعله ويفكر به مجتمع معين، واللغة أيضا هي ما يعبر عنه أفراد المجتمع"(6) لكن سرعان ما اتجهت بؤرة البحث اللساني - خاصة مع بلومفيلد - تحت تأثير إشكالية الترجمة الآلية للنصوص، نحو فكرة التحليل الشكلي الضروري للغة.(7)

تعريف أعلام البرمجة اللغوية العصبية:

هي وسيلة من وسائل تواصل الإنسان بذاته، بالإضافة إلى وسائل أخرى؛ كال تفكير، والتركيز، والإدراك...كما تشير المقدرة الطبيعية على استخدام اللغة الملفوظة أو غير الملفوظة إلى كيفية عكس كلمات معينة، ومجموعات من الكلمات لصورنا الذهنية ذات الصلة بلغة الصمت(8)؛ لغة الوضعيات والحركات والعادات التي تكشف عن أساليبنا الفكرية ومعتقداتنا في الحياة.(9)

وتعدّ اللغة في الدراسات النفسية العصبية وسيلة للاتصال الاجتماعي والعقلي الذاتي، بالإضافة إلى كونها إحدى وسائل النمو العقلي والحسي والحركي؛ فهي باعتبارها نظاما معقداً من الاستجابات العصبية يساعد الفرد على الاتصال بغيره من الأفراد، تعدّ منتجا يشترك في صنعه عدة أشياء مادية ومعنوية؛ نصل إليه عبر

الفهم والتّصور؛ حيث يقوم المخ (مادي) بمعالجة اللّغة (غير ماديّة) وحل شفرتها وفهمها والتّفكير والحوار والتّواصل بها.⁽¹⁰⁾

أما عند تشومسكي، فاللّغة مجموعة من القدرات وليست قدرة واحدة فهي القدرة على التّرميز الصّوتي وهي القدرة على إصدار الصّوت والتّحكم في المجرى الصّوتي، والتّعلم والإبداع الذي يحدث بالاستخدام المستمر للغة، كما أنّ اللّغة هي المنشط والمجدد الدائم لعملية الإبداع.⁽¹¹⁾

ويختصر الباحث اللساني العصبي عطية سليمان أحمد، في كتابه اللسانيّات العصبية؛ اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبية- عرفانية) هذا المفهوم في عبارة "اللّغة رمز في صوت"⁽¹²⁾، وذلك باعتبار العلاقة بين الجانبين الرّمزي والعصبي وتفاعلهما لإنتاج اللّغة، وبالتالي:

■ إنّ ما يصحّح أن يسمى لغة، في نظر عطية سليمان، هو ما يصدر عن الإنسان من أصوات وظفها مخّه لأجل التّواصل.

■ التّفكير يرتبط باللّغة وهي مظهره للوجود، لكن ليس صحيحا أن لا تفكير بغير لغة فاللّغة ليست شرطا للتّفكير.

■ اللّغة تحقّق التّواصل بين الأدمغة والفكر قيّد بأصحابه، واللّغة تنقله بينهم.

■ اللّغة ليست فطريّة بل مكتسبة⁽¹³⁾، والتّعلم هو القدرة الفطريّة؛ إذ يأتي الأطفال مزودين بقدرة فطريّة على التّعلم تمكنهم من تعلم لغتهم .

■ المخ البشري مزود بقدرة فطريّة على التّعلم يمكنه من تعلم اللّغة، ومن الجدير ذكره أنّ الاستعداد الفطري لتعلم اللّغة ليس محضورا عليها ، بل للإنسان استعداد فطري لتعلم كل العلوم والحرف ومنها اللّغة.

■ اللّغة تتطور بتطور المخ الذي اكتسبها ودوتها، فتطوّرُ المخ المبدع هو الأصل.

■ المخ هو المدير الفعلي لكل العمليات اللّغويّة،⁽¹⁴⁾ وفي موضع آخر الدّماغ مصدر سلوك النّطق واللّغة بأكمله.⁽¹⁵⁾

أمّا عن وظائف اللّغة؛ فإنّ القول بأنّ اللّغة هي مجرد وسيلة للتواصل يبقى قولاً قاصراً، لأنّه لا يستوعب دور اللّغة في بناء أنساق لفهم العالم و تمثيله⁽¹⁶⁾ في المخ بالإضافة إلى باقي وظائف اللّغة؛ كاستخدامها في التفكير وتخزين المعلومات، وبيان دورها في العمليات العقلية المختلفة. يقول تشومسكي "إنّ القول بأنّ وظيفة اللّغة هي التّواصل ليس أكثر من مذهبيّة واضحة"⁽¹⁷⁾

1- الاتجاه العصبي في تفسير السلوك اللّغوي البشري:

لقد تغيرت طرق البحث في مجال اللّسانيّات النّفسيّة حين نأت عن نموذج الاشتراط الكلاسيكي الذي يهتم بالسلوك الظّاهر، بمنأى عن العمليات العقلية، وترك البحث اللّغوي الرّواية اللّغويّة وأروقة الفلاسفة ومخابر علم النّفس خاصة السلوكي منه، ليدخل غرفة العمليات وجراحة المخ والأعصاب بحثاً عن الحلول العلميّة لعلاج آفات الكلام وأمراضه، مستعيناً بما تطرحه علوم الأعصاب وملاحظاتها السّريريّة الحديثة لما يحدث في أدمغتنا أثناء إنتاج الكلام.⁽¹⁸⁾

وقد كان ذلك بمثابة قفزة عملاقة في مجال اللّغويات، بعد أن جرى الاعتقاد لفترة طويلة أنّ السلوك الإنساني تحكمه الأرواح⁽¹⁹⁾ حينما سعى العلماء إلى محاولة إيجاد حلول للظواهر اللّغويّة في الفلسفة بدلا من البيولوجيا وقد ساد طويلا أنّ السلوك تحكمه الأرواح أو القلب والروح العاقلة، كما هي الحال عند رنيه ديكارت R.Descartes (1650 -)⁽²⁰⁾ قبل أن يُقدّم الطّبيب الفرنسي بول بروكا Paul Broka (1880-) فرضياته حول كون المخ مصدر السلوك اللّغوي البشري.

فاللغة سلوك إنساني يظهر في شكل أصوات تعودّ جهازنا النطقي أن يلقاها بصفة تلقائية، وكي تصبح الأصوات لغة كان علينا أن نوظفها لغاية التّواصل؛ وكما أنّ الجهاز النطقي يقوم إلى جانب عملية النطق بعمليات حيوية أخرى كالتنفس والأكل فإنّها تبدو كعملية ثانوية بالنسبة إلى هذا الجهاز . لذلك كان التركيز أكثر على دراسة اللغة والجهاز العصبي وتحديد المخ.(21)

وعليه، فقد كان للحرب العالمية الأولى أعمق الأثر في دراسة آليات النطق واللغة الناتجة عن أذية عصبية (22) وكذلك الحرب العالمية الثانية التي أسفرت عن إصابة آلاف الجنود بالحبسة الكلامية نتيجة أذية في الرأس أو اختراق في لجمجمة. ممّا دعا إلى ضرورة تقييم الآثار السلوكية الناتجة عن هذه الإصابات. وفي منتصف السبعينيات من القرن الماضي شهدت التقنيّة السريريّة المرضيّة، أو ما يعرف بوسائل التّصوير الدماغي التّشريحى أو الوظيفي (23) لتشخيص موقع الآفات العصبية، ثورة بفضل ظهور التقنيات الجديدة؛ كالـتصوير المقطعي، والتّصوير بالرنين المغناطيسي MRI والتّصوير المقطعي الحاسوبي بواسطة أشعة إكس Plain X Ray. (24) وذلك في محاولة لإيجاد الحلول العلاجية في عملية التّشريح الفيزيولوجي، وإتاحة الفرصة للفحص الدقيق لوظائف النّصفين الكرويين للمخ، العقليّة و المعرفيّة والسلوكيّة.

ومما يجدر ذكره في المقام نفسه، قيام الطّبيب الفرنسي بول بروكا Paul Broka عام 1861 بتحديد المنطقة المسؤولة عن الكلام، من خلال تشريحه لمخّ مريض أصيب قبل وفاته بفقدان النطق ، رغم سلامة الأعضاء المتعلقة بهذه الوظيفة؛ حيث لاحظ من خلال التّشريح وجود منطقة مصابة في أحد مناطق المخ تقع في الفص الجبهي الأيسر، فاعتبرها المسؤولة عن فقدان النطق. فسميت، بعد ذلك، بمنطقة بروكا ثمّ جاء كارل فيرنيكه Carl.Wernicke (1848-1905) ليشير إلى وجود أكثر من منطقة للغة.(25)

وقد بات معروفا بعد ذلك، أن لكل منطقة مخيَّة وظيفة معينة، فتحدد التَّغَيُّرات السلوكيَّة يتطلب تحديد موضع الإصابة أوّلا. ولذلك عرفت تلك الفترة ظهور علم جديد مستقل بذاته يسمى علم النّفس العصبي .

2- علم النّفس العصبي : Neuropsychology

يعبّر هذا المصطلح عن علم حديث ظهر منتصف القرن الماضي وسار قدما على المستوى العالمي، لكنه لم يحظ بالاهتمام نفسه، في بلداننا العربيَّة؛ إذ تُدرّس البيولوجيا، عموما، لكن يصعب على طالب الدّراسات العليا أن يكمل تخصصه في علم النّفس العصبي؛ كي يعكف فيه على دراسة العلاقة بين المخ وجميع أنواع السلوك البشري، بالاستعانة بمجال تشريح وبيولوجيا الجهاز العصبي، وخاصة الدّماغ، ويمتلك معرفة كافية بكيفيَّة التّقييم والتّقويم عن طريق استخدام بطاريات الاختبارات النّفسية العصبيَّة للتّفريق بين الأسباب النّفسية والعضويَّة الكامنة وراء مختلف الاضطرابات السلوكيَّة.

ولذلك يعتبر علم النّفس العصبي من التّخصصات التي " تعالج عددا من الوظائف الذّهنيَّة العليا في علاقتها بالبنى الدّماغيَّة" فهو علم " تطبيقي يهتم بالتّعبير السلوكي عن العجز في وظائف المخ" (26) لأنّه يقوم على "دراسة العلاقة بين وظائف المخ من ناحيَّة والسلوك من ناحيَّة أخرى" (27) ويسعى إلى مدّ جسور بين العلوم العصبيَّة والعلوم المعرفيَّة / العرفانيَّة. (28) كما يستمدّ معلوماته من علوم كثيرة؛ كعلم التّشريح وعلم البيولوجيا وعلم الأدوية وعلم وظائف الأعضاء.

تأسيسا على ماسبق، يتوجب على المتخصّص النّفسي العصبي أن يمتلك كفايته المعرفيَّة بطرق عمل المخ وتأثيرات الأدوية على الجانب المعرفي والسلوكي وكذا الأشعة التّصويريَّة ومجموعة أخرى من الشّروط التي يجب أن يتوفر عليها. (29)

3- علم اللغة العصبي: Neurolinguistics

ويعرف تحت مسميات أخرى منها: اللسانيات العصبية، السنية الأعصاب، السنية نفسية عصبية علم الدماغ للنطق واللغة (30) " فاللسنية العصبية هي دراسة العلاقات المتبادلة بين الدماغ والسلوك اللغوي، مرادفها السنية نفسية عصبية ... وقد احتلت السنية الأعصاب مكان الصدارة في ملتقى العلوم العصبية والعلوم المعرفية وهي تجمع التوجه الحديث للتساؤل البشري الدائم حول طبيعة العلاقة التي تجمع الجسد والروح، وبخاصة العلاقات التي تجمع الدماغ باللغة عند الإنسان العاقل" (31) وتقوم على " دراسة العلاقة المتبادلة بين اللغة والدماغ وكيف تدخل اللغة في الدماغ لتتطلب منه على السنتنا" (32)

وللإشارة، يعود تاريخ هذا العلم لأصول مصرية فرعونية، فهم أول من لاحظ أثر الإصابة الدماغية على عملية الكلام ودون ذلك على إحدى بُردياتهم التي تعود إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وهي ورقة أشار فيها الطبيب "عموتيب" أثناء وصفه لحالة الأذى الحاد الذي أصاب الصدغ المخي لأحد مرضاه، وتسبب في فقدان الكلام، إلى أهمية ملاحظة أي طرف من الجسم قد أصابه الأذى (33). وتلك ملاحظة لم تؤخذ بعين الاعتبار حتى نهاية القرن التاسع عشر مع بداية الدراسة السريرية المنتظمة للاضطرابات اللغوية عند أصحاب الجلطات الدماغية وخاصة عند جرحى الحربين العالميتين.

4- الجهاز العصبي أو الجملة العصبية:

يعمل الجهاز العصبي بنظام معجز متاهي الدقة، فهو المعجزة الكبرى التي وهبها الله تعالى للإنسان وجعلها من أهم أجهزة الجسم وأعقدّها (34) كي يسمح له بالقيام بوظائفه الحيوية جميعا على النحو الأمثل (35) ويعتبر من الناحية التشريحية شبكة الاتصالات العامة التي تربط بين جميع أجزاء الجسم عن طريق الأعصاب الممتدة

بين أعضاء الجسم الدّاخلية والخارجية، أمّا من النّاحية الوظيفية فهو الجهاز المسيطر على أجهزة الجسم كلها والذي يشرف على جميع وظائفه العضوية. كما يعتبر عند علماء اللّسانيّات العصبية الآلة التي تصنع اللّغة نطقا وتلقيا وإنتاجا واكتسابا..

ويتكون من الجملة العصبية المركزيّة (الدّماغ والحبل الشوكي) ومن الجملة العصبية المحيطيّة (نظام تنظيم وظائف الجسم المتمثل في الأعصاب بأنواعها)⁽³⁶⁾ . كما تعتبر الخلية العصبية / العصبون الوحدة الصّغرى في الجهاز العصبي والوحدة الأصغر للتفكير؛ إذ تتحكم في الجسد الإنساني وتدبّر شئون حياته، فهي الخلية الوحيدة في الجسم البشري التي تصدر شحنات كهربائية (نبضات) ولهذا فهي الخلية الوحيدة المفكرة في الجسد⁽³⁷⁾، ومن مهامها:

1- تخزين المعلومات؛ ومن عجائبها أنها تملك قدرة تفوق تركيب الكون كله في التخزين، وأنّ الطّول الكليّ للمسارات العصبية في الإنسان البالغ يبلغ 5.8 مليون كلم ، وهي مسافة تعادل محيط الكرة الأرضية نحو 135 مرة.

2- تلقي المعلومات من رؤية وسمع وشمّ وغيرها وربطها ببعضها البعض

3- تنظيم العمليات الحيوية اللاواعية بالجسم، مثل دقات القلب والتّنفّس والهضم

4- نقل الإشارة الكهربائية، وتشكيل المادة الرّماديّة⁽³⁸⁾

أمّا النبضة العصبية أو السيّال العصبي فتقوم بالتّقلّب بين كل خلايا الجسم حاملة رسائل صادرة من المخ أو واردة إليه، في شكل شحنات كهربائية ناتجة عن التّفاعل الكهرو كيميائي الحادث داخل الخلية وما حولها ، بسرعة فائقة وسريّة تامة⁽³⁹⁾. ومن المعلوم أنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى تكمن داخل الخلية العصبية، إلّا أنّه لم يُعرف لحد الآن طريقة الاستدعاء بينهما (عملية القرح)؛ إذ تثار الخلايا العصبية فتتهض لحل شفرتها والردّ عليها ومناقشتها. لكن كلّ ما يملكه علماء

الأعصاب عن هذه العملية هو تصوير لحركة الدم داخل الأوعية الدموية ونشاط الدماغ ممثلاً في نشاط الخلايا العصبية، وتصوير لحركة أيونات الصوديوم والماغنيزيوم داخلية وخارجة عبر عتبة الخلية العصبية. (40)

وقد اقترح العلماء اسم الرقم الكودي (شفرة رقمية خاصة بالكلمة وكل المعاني المتصلة بها) فيُستدعى الأول بذكر الثاني لتوافقهما في الرقم الكودي، وهي فكرة مأخوذة عن الحاسوب .

مثال : للجواب عن سؤال: مافي الصورة؟ فسيأتي الرد في أجزاء من الثانية بعد عمليات مركبة ومعقدة في المخ تشترك فيها مراكز عصبية وإدراكية مختلفة في المخ، منها:

- 1- مركز السَّمْع: يستقبل العبارة وينقلها كنبضات عصبية لمركز الإدراك السَّمْعِي.
- 2- مركز اللّغة (بروكا- فيرنيكه) يقوم بحلّ شفرتها، ومعرفة معناها بالمعجم الذهني.
- 3- مركز الإبصار: يفهم المطلوب من العبارة، فيوجه العين للنظر إلى الصورة
- 4- مركز اللّغة: تجري العودة فوراً إلى مركز اللّغة لاختيار الكلمات المناسبة للردّ في عبارة

- 5- المركز الحركي لعضلات النطق: يصدر أمر النطق بالعبارة الناتجة عن التفكير.
- فإذا حدث عطب في خلايا أحد المراكز تقوم الخلايا المجاورة لها بإتمام العمل ولكن بكفاءة أقل!

5- اللاتناظر التشريحي للمخ / اللاتناظر الدماغي (41):

من المعلوم أنّ النّصف الأيمن من الدّماغ يتولّى إدارة النّصف الأيسر من الجسم حركياً، بينما يتولّى النّصف الأيسر إدارة النّصف الأيمن، ولذلك فإنّ النّصف السّائد

هو الأيسر بنسبة (85-90) وهم الأفراد الذين يستخدمون اليمنى، وبينما تكون السيادة للنصف الأيمن بالنسبة للذين يستخدمون اليسرى بنسبة (10-15)⁽⁴²⁾

أ/ الاختلاف الوظيفي للنصفين الكرويين من الدماغ: تقع وظائف اللغة في النصف الكروي الأيسر (النصف السائد) إضافة إلى الوظائف التحليلية والعقلية ولذلك يسمى بالنصف اللفظي التحليلي المنطقي؛ حيث يتعامل مع الرموز والكلمات والحروف والعمليات الحسابية والمهارات الرقمية، ويفضل أصحاب هذا النصف الأعمال اللفظية والحسابية، ويملكون القدرة على التعبير عن أنفسهم بشكل جيد، فهم يتميزون بالطلاقة اللسانية.

أمّا النصف الأيمن فينفرد بالوظائف المرتبطة بالحدس والانفعال والإبداع والتخيل، والقدرات الحسية المكانية البصرية والسمعية، والإدراك اللمسي، والتوجه المكاني، والقدرات الفنية، ولذلك فهو يسمى بالفص غير اللفظي الحسي الحدسي ويتعامل أصحابه مع الأشياء العيانية المحسوسة وليس الرمزية، وعادة ما تعوزهم القدرة على التعبير عن أنفسهم.

ب/ المناطق المسؤولة عن اللغة: وتتكون من:

1- المناطق الاستقبالية للغة: وتتمثل في منطقة الترابط السمعي الموجودة في الفص الصدغي المسؤولة عن فهم اللغة المنطوقة من الآخرين والمسموعة من الفرد. وتشتمل على:

* منطقة الترابط البصري في الفص الصدغي المؤخري المسؤولة عن فهم اللغة المكتوبة من الآخرين والمقروءة من الفرد

* منطقة فيرنيكه Wernicke's Area التي تقع بين الفصوص الثلاثة (الحداري والصدغي والمؤخري) وهي المنطقة الترابطية لفهم اللغة المكتوبة والمنطوقة.

2- **المناطق التعبيرية:** وهي المناطق المسؤولة عن اللغة المكتوبة والمنطوقة وتتكون من منطقة بروكا Broca's Area المسؤولة عن إصدار الكلام المنطوق، ومنطقة إكزرنر Exner's Area المسؤولة عن الكتابة، وجزء من القشرة المخية المسؤول عن حركة عضلات الكلام؛ كالشفاه واللسان والحنجرة وهي العمليات التي تدخل في صميم عمليات إصدار الصوت والألفاظ⁽⁴³⁾ فإصابة منطقة بروكا مثلاً، يؤدي إلى الحبسة Aphasia.

6- النمو اللغوي من منظور الدرس النفسي:

النمو لغة أصله النماء، ومعناه الزيادة والكثرة،⁽⁴⁴⁾ وهو بمعناه العام مجموعة من التغيرات التي تطرأ على الكائن الحي⁽⁴⁵⁾ في شكل سلسلة متتابعة متكاملة من التغيرات الجسمية والفزيولوجية والحسية الحركية... التي تسعى بالفرد نحو اكتمال النضج وظهور إمكاناته الكامنة في شكل قدرات ومهارات وصفات وخصائص شخصية.⁽⁴⁶⁾

أما بمعناه النفسي، فهو يدلّ على سلسلة من التغيرات الكيفية المتتابعة والمنظمة في جوانب الشخصية الجسمية كالطول والوزن والحجم، والعقلية والانفعالية، والسلوكية كافة، التي تهدف إلى اكتمال النضج وتحقيق أقصى درجات التوافق مع الذات والآخرين. وعادة ما تدرس هذه المظاهر ضمن علم نفس النمو الذي يهتم بالمبادئ والمفاهيم والقوانين والنظريات ذات الصلة الوثيقة بالنمو، كما يهتم بالمراحل المختلفة للنمو بمظاهره المتعددة، فهو ذلك الفرع من علم النفس الذي يهتم بالدراسة العلمية لمظاهر النمو كلها... ودراسة العوامل المؤثرة فيه من خلال مراحل العمر المختلفة.. والكشف عن القوانين المنظمة له مستخدماً في ذلك المنهج العلمي" ⁽⁴⁷⁾

وعموماً، يتأثر النمو بأنواعه؛ العضوي، والاجتماعي، والانفعالي، والعقلي واللغوي بعاملَي النَّضج والبيئة على اختلافٍ في درجة إسهام كلٍّ منهما.⁽⁴⁸⁾ كما يرتبط النمو اللغوي عند الطفل ارتباطاً وثيقاً بنموه العقلي المعرفي، لأنَّ الاستجابة اللغوية هي ثمرة من ثمرات التعلّم. وفي الآن ذاته، تشكّل اللغة باعتبارها وسيلة رئيسة لتواصل الطفل مع بيئته، عاملاً مهماً من عوامل النمو العقلي.

وقد اتضحت أهمية هذه العلاقة التأثيرية التبادلية من خلال الدراسات البيولوجية للعالم السويسري بياجيه J. Piaget (1896-1980)⁽⁴⁹⁾ في النمو العقلي - المعرفي عند الأطفال، لمعرفة كيفية نشوء المعرفة بتتبع وثيرة زيادة المفردات اللغوية وبناء الجمل والقدرة على نطق الكلمات خلال نموهم. ممّا أسفر على وجود أربع مراحل لخصها بياجيه فيما يلي:

1- مرحلة النمو الحسي الحركي (0-2)

2- مرحلة ما قبل العمليات (2-7)

3- مرحلة العمليات العيانية المحسوسة (7-12)

4- مرحلة العمليات الصورية أو الشكلية (12-15)⁽⁵⁰⁾

7- التطوّر الدماغي والنمو اللغوي من منظور اللسانيات العصبية:

إنّ امتلاكنا نحن البشر لمخ كبير على نحو فريد، وجهاز صوتي معدّل على نحو استثنائي، يعدّ سرّاً من أسرار القدرة البشرية اللغوية المبدعة - على رأي بيكرتون ونشومسكي - لأنّ الفرق بين لغة البشر ولغة الحيوان يكمن في كون لغة الحيوان لا تنقل معلومات واقعية أو رسائل مشفرة للمتلقّي من خلال الصّيحات، بل إنّ نظم التّواصل عند الحيوان إما أن تعبر عن حالة المرسل في تلك اللحظة (الحيوان) أو تحاول التأثير في سلوك المستقبل لذلك فإنّها تفتقد القابلية إلى الإبداع.⁽⁵¹⁾

ومع ذلك فإنّ تأثر علماء اللّغة الغربيين بنظريّة التطور الداروينيّة واضح، في اعتبار اللّغة ثمرة مباشرة للتطور. وبغضّ النّظر عمّا تعرّضت إليه نظرياتهم من نقد فإنّ دراسة نشأة اللّغة تجعلنا نتساءل عن أيّهما يتطوّر فينا؛ اللّغة أم القدرات الذهنيّة؟ هل اللّغة تتطور نتيجة تطور البنى الدماغيّة للبشر؟ أم تتطور نتيجة نمو القدرة الذهنيّة الناتجة عن مكتسباته الحياتيّة من خبرة ومهارة ومعرفة؟ أم أنّ ظهور اللّغة ونمو الدّماغ هما من صنع القدرة الذهنيّة للبشر؟ وبالتالي يمكن اعتبار النّمو الفيزيولوجي للدّماغ -الذي أدّى إلى ظهور اللّغة- راجع إلى أصل القدرة الذهنيّة التي في أدمغة البشر. لأنّ كلّ أدمغة البشر تحوي قدرات ذهنيّة كامنة داخلها تمكّنها من إنتاج اللّغة. فبتفاعل هذه القدرة الذهنيّة مع النّمو الفيزيولوجي تزداد القدرة الاستيعابيّة للدّماغ بزيادة النّشاط العقلي. كما يعود التطور اللّغوي في حدّ ذاته إلى النّمو الفيزيولوجي واتساع الأنشطة الحياتيّة للبشر.⁽⁵²⁾ وخاصة منها الأنشطة اللّغويّة والمهارات النّوعيّة التي يسعى الطّفل إلى اكتسابها في المحيط التّربويّ مثلاً - كالقراءة والتّعبير بنوعيه وحلّ التّمارين اللّغويّة .

فالقراءة مثلاً، من المهارات اللّغويّة التي تتطلب مهارة رسم خرائط صوتيّة ودلاليّة لنصّ مكتوب ومرئي وهي تعتمد على النّظم العصبيّة التي تنتشر عبر الدّماغ ويتطلب الفهم الكامل لهذه القدرة المعرفيّة تحديد مسارات تنقل المعلومات بين المناطق الدماغيّة الموكول إليها معالجة هذه السيّورات. وقد استخدمت مؤخراً، تقنيّة التّصوير المغناطيسي لتحديد العلاقات المتبادلة بين خصائص المادة البيضاء ومهارات القراءة؛ حيث أسفرت عن مسارين أحدهما يعتبر خطوة مرحليّة لتحويل الحروف والكلمات إلى أصوات ونقلها إلى باحة بروكا المسؤولة عن الخطاب المنطوق، أمّا الثّاني فيقوم بترجمة مباشرة للحروف والكلمات إلى معاني أو دلالات في منطقة الشّكل البصري للكلمات .

ويعيد النظام البصريّ بناء الحروف في الجهاز العصبي المركزي بعد تحليل دقيق لها. ولذا أصبح من الضروريّ البدء بإكساب المتعلّم معرفة دقيقة وشاملة بالحروف الأبجدية. وكما هو معلوم فإنّ النظام السّمعّي معنيّ بشكل كبير بالقراءة لذا فمن الضروريّ أن تتطلب الخطوة الموالية ترسيخ الروابط بين الحروف المكتوبة والأصوات التي ترمز إليها، ليتّم المرور إلى قواعد تركيب الحروف فيما بينها لتشكيل وحدات لغويّة من مستوى أعلى، وهكذا حتى بلوغ الكلمة ثم الجملة ثم النّص. وبشكل المرور من الحروف كوحدات بصريّة إلى الفونيمات كوحدات صوتيّة بالنسبة للجهاز العصبي المركزي أهم مراحل اكتساب كفايّة القراءة؛ حيث أثبتت الدّراسات التي أجراها باحثون من جامعة كارنيجي ميلون بالولايات المتحدة التي قامت على إخضاع مجموعة من الأفراد على القراءة لمدة ستة أشهر ازدياد حجم المنطقة البيضاء في المنطقة الدّماغية المسؤولة عن تدبير اللّغة. (53)

من المؤكّد إذن، أنّ اللّغة تنمو بنموّ الدّماغ، وأنّ الدّماغ باعتباره مصدر كل السلوك اللّغوي البشري إرسالاً واستقبالاً خاضع لمبدأ التّعلّم الذي يزيد حجم المخ عن طريق إضافة تشابكات عصبيّة في شكل مسارات عصبيّة دماغيّة جديدة فكلما زادت خبرة الفرد زاد حجم المخ بزيادة التّشابكات العصبيّة (54)

8- التّشابكات العصبيّة والتّعلم اللّغوي عند الطّفل (القدرات العصبيّة الدّماغية):

إنّ توقيت اكتساب الأطفال للّغتهم يكون في مرحلة عمريّة واحدة، لأن طبيعة بنائهم البيولوجي واحدة فهم يمرّون بمراحل النّموّ البيولوجيّة نفسها ويتعرضون لعمليات بيولوجيّة واحدة، لهذا كان من الطّبيعيّ أن يتفق توقيت اكتساب الأطفال

للغتهم معا بصورة شاملة. وتأتي أهمية الاكتساب اللغوي عند الطفل، باعتبار اللغة عاملا حيويا في إشباع حاجاته النفسية والانفعالية، عبر التعبير عن رغباته.

وكذلك فإن سرعة اكتساب النحو تتناسب وسرعة نضوج الدماغ؛ حيث يبدأ الاكتساب السريع للغة بعمر سنتين⁽⁵⁵⁾ مع تسجيل تباطؤ شديد في النمو اللغوي في الفترات التي قبلها، أين يحتاج الطفل لمدة أربعة أشهر أو خمسة لإدخال عشر مفردات فحسب، وهو في عمر 15 / 16 شهرا⁽⁵⁶⁾. ثم يتسارع بوثيرة 50 كلمة في الأشهر الموالية. وفي النصف الثاني من عمر السنتين فإن الطفل يستعمل الجملة المكونة من كلمتين ، ثم يصل عدد الكلمات التي يكتسبها في سن الخامسة إلى ما يفوق ثلاث آلاف كلمة.⁽⁵⁷⁾ وللإشارة، فإن معظم كلماته الأولى عبارة عن أسماء. وهي الطريقة نفسها التي علم بها المولى عز وجل آدم الأسماء كلها .

وكلما زاد تعلم الفرد زاد نمو مخه، ولهذا تم الربط بين التوقيت الزمني لنمو المخ وعملية التعلم؛ حيث يُعتبر النمو اللغوي لدى الإنسان مثالا لعملية طبيعية مسترشدة بجدول زمني مع بعض الشروط المقيدة. لأن عملية نمو اللغة في المخ تخضع لجدول زمنية تربط بين النمو الفيسيولوجي للمخ، والنمو الإدراكي والنمو اللغوي لجهاز النطق لتحديد نمو المخ؛ إذ يسير هذا النمو بالتوافق زمنيا مع نمو القدرات العقلية (النشاط الوظيفي للمخ) وبين نمو قدرات الحواس التي تستقبل الرسائل القادمة إلى المخ من العالم الخارجي؛ كالقدرة على التمييز بين الأصوات والمرئيات والملموسات المتشابهة عن طريق التدريب والممارسة. ومن ثم يقوم المخ بتصويرها وطبع نسخ لها فيه وتدوينها بزوائد خلاياه العصبية.

وتظهر آثار هذا النمو متدرجة في نطق الطفل؛ فكل مرحلة في عمره يقابلها نمو في نطقه، ممثلا في المراحل ما قبل اللغوية والمراحل اللغوية التي تُتَوَجَّ

بالنمو المستمر للتشابكات العصبية ودورها في اكتساب اللغة وتوصيلها بين الخلايا العصبية، وتخزينها فيها واستدعائها وقت الحاجة.⁽⁵⁸⁾ وعندما يبلغ المرء أُرذل العمر تبدأ شبكاته العصبية في التّكسر متلفة كلّ مادّون عليها من معلومات ليتحوّل من إنسان عالم إلى شخص لا يعلم شيئاً، كأنه طفل حديث الولادة. ولا تستبدل الشبكات بغيرها نتيجة توقّف عمليّة النّمو، فيتراجع حجم المخّ ويقلّ إلى ما يُقارب حجمه عند الولادة، في حين تبقى الجمجمة على حالها.⁽⁵⁹⁾ وهو ما يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَمْ يُدْرِكْ لَيْلًا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾⁽⁶⁰⁾

9- الجانب العرفاني الحاسوبي للغة:

إنّ مجرد القول بأنّ النّشاط الوظيفي للدماغ أو ما يعرف بالعمليات العقلية هو من مهام العقل الذي يمثّل المظهر اللامادي للدماغ، سيُفضي بنا حتماً، إلى القول بمركزيّة العقل في صناعة اللّغة، باعتباره نتيجة عمل المخ. ونحن نلمس جوهر العقل ومعناه، في كل ما يحدث في أدمغتنا من تفكير و حوار وعمليات عقلية. ولكن صعوبة التّحليل الدقيق لكيفية عمل العقل راجع إلى طبيعته الغير بيولوجية إذ لا وجود له كمادة.⁽⁶¹⁾ فالمخ / الدّماغ آلة والعقل نشاط .

فالعرفنة عموماً، تقوم على معالجة المعلومات في الدّماغ لتمكين الفرد من السّلوك الذّكي، و تستغل اشتغال الحاسوب في تشفير المعلومات في شكل تمثيلي رمزي تجري عليه قواعد تشبه الخوارزميات في لغة البرمجة الحاسوبية⁽⁶²⁾ مع ضرورة الإشارة هنا، إلى صعوبة اختزال العرفنة البشريّة في الطّور الحاسوبي (طريقة عمل الحاسوب)؛ فالدّماغ أداة والعرفنة وظيفة حيوية مركزها الدّماغ، لذلك جرت العودة إلى حقائق علم الأعصاب بدل البرمجة الحاسوبية في فهم طبيعة العمليات العرفانية.⁽⁶³⁾ فالحاسوب هو المصمّم ليحاكي وظائف الدّماغ البشريّ وليس العكس.

نشير إلى ذلك على الرغم، مما تسجله الثورة الرقمية من تقدم في مجال البرامج الآلية والذكاء الصناعي المحاكي لميكانيزمات عمل الدماغ في مجالات متعددة. فعلى سبيل المثال، تحاكي طريقة التعرف الضوئي على الحروف طريقة عمل النظام العصبي عند الإنسان؛ إذ تقوم بتقطيع صورة الحرف المراد التعرف عليه ومطابقتها مع مقاطع مخزنة مسبقاً.⁽⁶⁴⁾

إنّ جوهر الفرق بين العرفنة البشرية باعتبارها عملية عقلية دماغية فطرية والمحاكاة الحاسوبية لعملية العرفنة البشرية - خاصة في المجال اللغوي - يكمن في نظر تشومسكي في القدرة الدماغية الهائلة على التوليد اللغوي والإبداع. لأنّ خاصية التوليد اللغوي هي من أكثر خصائص اللغة الأساسية، وهي تعني أنّ كلّ لغة توفر سلة من التعبيرات غير المحددة المبنية هرمياً التي تؤوّل عند واجهتين هما الواجهة الإحساسية الحركية للإظهار وواجهة التّصوّر القصدي للعمليات الذهنية.. فتشتمل كل لغة... على إجراء حوسبي يفي بالخصيصة الأساس.⁽⁶⁵⁾

وعليه، تحدث اللغة نتيجة قدرة بيولوجية إحيائية داخل المخ جاءت ضمن خلق الإنسان وتكوينه الطبيعي ذلك التكوين الذي أوجد بمخه سلة من التعبيرات تُستدعى في حالة إثارة الإحساس الحركي لدى الشخص، أو في حالة التفكير المتعمّد. لذلك افترض - تشومسكي - وجود حاسوب في مخ الإنسان ليقوم بإجراء الخصيصة الأساس، فيمدّد الفرد في الحالتين بالتعبيرات المناسبة من سلة التعبيرات... فحول استدعاء لفظ قطعة -مثلاً- يرى تشومسكي أنّ العملية تقوم على آلية الكود الرقمي فعلية استدعاء لفظ قطعة لمجرد رؤية صورتها، تقوم على آلية استخدام الكود الخاص بملفات الخاصة بهذا الحيوان؛ حيث يُستدعى الكود الرقمي كلّ ما يتعلق بهذا الحيوان من معلومات مخزنة داخل الذاكرة، لعرضها على الخلية

القائدة التي تقوم بمعالجة القضية ، فكل الإجابات عن لون القط وشكله وصفته موجودة سلفا في ذاكرة الفرد تحت رقم كودي واحد يتم استدعاء مستنداته به.⁽⁶⁶⁾

وعلى الرغم مما جاء به تشومسكي من افتراض لوجود حاسوب داخل المخ البشري، فإنّ العقل البشري ليس حاسوبا لأنه يعمل بآلية تختلف عن الحاسوب؛ إذ يقوم بعمليات بيولوجية حيوية لحياة الإنسان تعتمد على وقود مختلف عن الحاسوب (الكهرباء) تتمثل في الطاقة الكهروكيميائية الناتجة عن احتراق الجلوكوز والأكسجين والدّم. لتخرج هذه الطّاقة في شكل نبضات عصبية تنقل الأوامر الناتجة من عمليات التفكير المختلفة إلى أعضاء الجسد المختلفة.⁽⁶⁷⁾ بالإضافة إلى وظائفه الحاسوبية في حلّ المشكلات والمسائل والقضايا الفكرية عن طريق النمذجة العصبية.

10- في مفهوم النمذجة العصبية والفرق بينه وبين البرمجة اللغوية العصبية:

يعبر مصطلح النمذجة العصبية عن مفهوم جديد ابتكره علماء الأعصاب - متأثرين بمصطلح النمذجة الحاسوبية - متصوّن وجود نماذج لكل الأشياء داخل المخ يتم التفاعل بينها من خلالها بالاستفادة من النمذجة العصبية في صنع التّصورات التي نستخدمها في تعلّم اللغة والتّفكير، وهي تتحدى فكرة الملكات في النظريات الفلسفية ونظريات النمذجة القويّة للذهن واللغة في علم النفس.

لأنّ مفهوم النمذجة العصبية يتمثل في قدرة المخ على صنع نماذج تصوّرية أو لغوية للشئ في الدّماغ للتواصل بها، فعندما نشير إلى كتاب؛ لابد أن يكون في مخّ المتلقي صورة منه يشير إليها هذا الرّمز الصّوتي، فلا تواصل بينهما إذا لم تكن هنالك صورة لفظية أو مادية كنموذج في مخهما لهذا الشئ معا. هذا ما يقصد بمصطلح النمذجة العصبية الذي يختلف عن مصطلح البرمجة اللغوية العصبية الذي يعبر عن قدرتنا على بدل قصارى الجهد لأجل التّغيير الشّخصي

وهي تكنولوجيا الإنجاز الجديدة؛ فلفظ اللغوية هنا يدل على المقدرة الطبيعية على استخدام اللغة الملفوظة أو غير الملفوظة التي لها صلة بلغة الصمت والتخاطب مع الذات أما لفظ العصبية فتشير إلى جهازنا العصبي وهو سبيل حواسنا الخمس. (68)

وعلى سبيل الدقة؛ فإن الأولى تعني بصنع نماذج لكل المعلومات التي في دماغ الفرد لغوية وغير لغوية، كأن دماغه حاسوب تدون فيه هذه المعلومات والخبرات في شكل نماذج يمكن استدعاؤها عند الحاجة لغاية التفاعل بها مع الآخرين، أما الثانية فتعني محاورة النفس وتوجيهها، والدخول إلى الأعصاب البشرية ومراكزها المختلفة في الدماغ البشري، لأجل التأثير عليها وتعديل السلوك باستخدام ما في اللغة من ألفاظ ذات طاقة تأثيرية خاصة ليسلك الفرد سلوكا إيجابيا تجاه ذاته ومجتمعه. (69) وفي النهاية فإن كلاهما يعكس مركزية السلوك اللغوي في حياة البشر.

خلاصة:

وعموما، فإنه على الرغم من المحاولات الرامية لمحاكاة النشاط الدماغي البشري حاسوبيا باستثمار آخر نتائج علم النفس العصبي واللسانيات العصبية وعلوم الحاسوب... في صناعة البرامج الحاسوبية اللغوية وغير اللغوية، فإن قدرة الإنسان تبقى قاصرة على المطابقة الآلية التامة لجميع الوظائف الدماغية التي ميّزه الله بها. وذلك راجع إلى مجموع القدرات الفطرية التي أودعها الله في الدماغ البشري وأسماها القدرة على التعلم، وكذا القدرة على الترميز الصوتي، والتفكير الرمزي، والقدرة على التوليد والإبداع اللغوي الفردي عبر فتح مسارات عصبية جديدة تتسع لكم هائل من المعلومات والمفردات والخبرات، تحت مسمى النمو اللغوي والتطور العصبي الدماغي .

هوامش البحث وإحالاته:

- (1) علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللّغة والنّطق، رسل لوف و واندأ ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة جامعة الملك سعود، ط1، 2010، ص 157 .
- (2) هو عالم فيلوجي وفيلسوف، من مؤلفاته الأساسية " اختلاف بنية اللّغات البشريّة وتأثيرها على التّطور الذّهني للبشريّة "، وكان تشومسكي من المتأثرين به . ينظر تاريخ الدّراسات اللّسانية، ، بيريزين ف م، تر فتيحة قنيش، دار القدس العربي، الجزائر، ط2013، ص 402 .
- (3) ينظر المرجع نفسه، 84 .
- (4) تاريخ الدّراسات اللّسانية، ، بيريزين ف م، تر فتيحة قنيش، ص 245 وما بعدها
- (5) علم النّفس العصبي، ألفت حسين كحلة، مكتبة الأنجلو مصريّة، جامعة تبوك، المملكة السّعودية ص128.
- (6) تاريخ الدّراسات اللّسانية، ، بيريزين ف م، تر فتيحة قنيش، ص 313 .
- (7) المرجع نفسه، ص 316 .
- (8) هل نفكر في صمتنا باللّغة؟ لا يحدث التّفكير في نظر علماء اللّسانيّات العصبيّة، فقط باللّغة، ولو كان الأمر كذلك فكيف يفكر الأبكم؟ هل يفكر باللّغة الرّمزيّة الإشاريّة التي يتواصل بها مع مجتمعه ؟ ينظر بهذا الصّدّد: اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة - عصبيّة - عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، أستاذ العلوم اللّغويّة - السّويس، الأكاديميّة الحديثيّة للكتاب الجامعي، ط1، 2019، ص 6.
- (9) حيث تقوم مهارات الاتّصال الدّاخلية ؛ اتّصال الفرد بذاته، عبر اللّغة والتّفكير والتركيز ... وهو سرّ البرمجة العصبيّة، فأنت في النّهاية نتاج ما تزرعه في نفسك من أفكار نتيجة تواصلك اللّغوي الخفيّ مع ذاتك. ينظر: البرمجة اللّغويّة العصبيّة وفن الاتّصال اللامحدود، إبراهيم الفقي، القاهرة، ط1، 31/14 .
- (10) اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة - عصبيّة - عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، ص141.
- (11) المصدر نفسه، ص65 وما بعدها .
- (12) المصدر نفسه، ص 11 .

(13) يرى عالم اللغويات ديريك بيكرتون Bickerton أن اللغة داخلة على المخ البشري وليست ملكة فطرية موجودة سلفاً، في مقابل الأصوات التي تصدر عنه بصورة غريزية فطرية كصيحات النداء والاستغاثة .

(14) اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية- عصبية- عرفانية) عطية سليمان أحمد، ص 141 .

(15) علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللغة والنطق، رسل لوف و واندنا ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، ص 21.

(16) فالتمثيل الذهني يسبق التواصل من الناحية المنطقية، فكيف نستطيع التعبير عن شيء إذا لم نمتلك القدرة على تمثيله. ينظر: اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية- عصبية- عرفانية) عطية سليمان أحمد، ص 35 .

(17) أي نوع من المخلوقات نحن ؟ نعوم تشومسكي، 2016، ص 65، نقلا عن اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية- عصبية- عرفانية) عطية سليمان أحمد، ص 32 .

(18) اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية- عصبية- عرفانية) عطية سليمان أحمد، ص 8 .

(19) علم النفس العصبي، ألفت حسين كحلة، جامعة تبوك، السعودية، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، د.ت، ص 17

(20) علم النفس العصبي، جامعة الإمارات، ط1، ص3، وينظر أيضا: علم النفس العصبي، ألفت حسين كحلة، ص 18.

(21) اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية- عصبية- عرفانية) عطية سليمان أحمد، ص 142.

(22) علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللغة والنطق، رسل لوف و واندنا ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، ص 10.

(23) كما تطورت القدرة على التقييم النيوروسيكولوجي عن طريق بطاريات الاختبار المتعددة (بطارية هالستيد - بطارية بوسطن)، ينظر: علم النفس العصبي، جامعة الإمارات، ص 25 وما بعدها، وينظر أيضا: علم النفس العصبي، ألفت حسين كحلة، ص 26 وما بعدها .

(24) علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللغة والنطق، رسل لوف و واندنا ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، ص 14 .

- (25) علم النفس العصبي، ألقت حسين كحلة، ص 19 . وعن جهود بروكا وفيرنيكه في ميلاد علم اللغة العصبي وآرائها حول ارتباط وظائف سلوكية معينة بمواقع محددة من الدماغ ينظر أيضا : علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللغة والنطق، رسل لوف و وانداء ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، ص 7 وما بعدها
- (26) علم النفس العصبي، ألقت حسين كحلة، ص 11
- (27) علم النفس العصبي، جامعة الإمارات، ط1، ص 2.
- (28) قاموس العلوم المعرفية، ص313، نقلا عن : اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية- عصبية- عرفانية) عطية سليمان أحمد، أستاذ العلوم اللغوية - السويش، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1 2019، ص 131 .
- (29) علم النفس العصبي، جامعة الإمارات، ص5.
- (30) علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللغة والنطق، رسل لوف و وانداء ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، ص133 .
- (31) قاموس العلوم المعرفية، ص 307- نقلا عن اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية- عصبية- عرفانية) عطية سليمان أحمد، ص 143.
- (32) اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية- عصبية- عرفانية) عطية سليمان أحمد، ص 144
- (33) المصدر نفسه، ص 150
- (34) نفسه، ص186 .
- (35) علم النفس العصبي، ألقت حسين كحلة، ص 33 .
- (36) ينظر: اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية- عصبية- عرفانية) عطية سليمان أحمد، ص186- وينظر علم النفس العصبي، ألقت حسين كحلة، ص 23 وما بعدها .
- (37) اللسانيات العصبية، اللغة في الدماغ (رمزية- عصبية- عرفانية) عطية سليمان أحمد، ص5.
- (38) المصدر نفسه، ص 199، وينظر : علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللغة والنطق، رسل لوف و وانداء ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، ص 106

(39) اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، ص205— وينظر أيضا : علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللّغة والنّطق، رسل لوف و واندنا ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، ص93.

(40) اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، ص 167.

(41) أمراض اللّغة والنّطق، رسل لوف و واندنا ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، ص 7، حيث يشير إلى سيادة الجزء الأيسر من الدّماغ وكبر حجمه مقارنة بالنّصف الأيمن .

(42) علم النّفس العصبي، ألفت حسين كحلة، ص78.

(43) علم النّفس العصبي، جامعة الإمارات، ط1، ص23، وينظر أيضا: علم النّفس العصبي، ألفت حسين كحلة، ص47.

(44) لسان العرب، ابن منظور، تح: ياسر سليمان و مجدى فتحى السيّد، المكتبة التّوفيقيّة، ج14، ص 326.

(45) علم النّفس التّربوي، أيوب دخل الله، دار الخلدونيّة، الجزائر، ط1، ص 44 .

(46) مدخل إلى علم النّفس، عبد الرّحمن الوافي، دار هومة، الجزائر، ط6، 2013، ص121 .

(47) النّمو الإنسانى في الطّفولة والمراهقة، مراحل النّمو، المشكلات وسبب علاجها، أحمد محمد الزّعبى، دار الفكر، دمشق، ط1، ص 21 .

(48) علم النّفس التّربوي، أيوب دخل الله، ص44.

(49) Psychopedagogy or Educational psychology , Lectures for master 1 level , Naouel Abdelatif MAMI,Algeria edition DJITLI 2016 P57.

(50) النّمو الإنسانى في الطّفولة والمراهقة، مراحل النّمو، المشكلات وسبب علاجها، أحمد محمد الزّعبى، ص 26 . وينظر أيضا — Psychopedagogy or Educational psychology , Lectures for

master 1 level , Naouel Abdelatif MAM- p 113 .

(51) اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، ص88.

(52) المصدر نفسه، ص52.

(53) القراءة من منظور العلوم العصبيّة، محمد بامحمد، مجلة اللّسانيّات وتحليل الخطاب، المغرب، ع2 2015، ص 74-75 .

- (54) اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، ص اللّسانيّات العصبيّة اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة) عطية سليمان أحمد 253 .
- (55) علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللّغة والنّطق، رسل لوف و وانداء ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، ص 5 .
- (56) النّمو الإنساني في الطّفولة والمراهقة، مراحل النّمو، المشكلات وسبب علاجها، أحمد محمد الزّعبي، ص 105 .
- (57) مدخل إلى علم النّفس، عبد الرّحمن الوافي، ص 138 .
- (58) اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، ص 257.
- (59) المصدر نفسه، ص 269.
- (60) سورة النّحل، من الآية 70.
- (61) اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، ص 302.
- (62) نفسه، ص 326.
- (63) يقول سلمان عطية ردّا على الرّأي القائل بوجود عمل جهاز حاسوبي داخل الدّماغ: "نعم، توجد آليات عصبيّة بالدّماغ تقوم بعمل مشابه لعمل الحاسوب، لكنها ليست حاسوبية بالمعنى الدّقيق، فهي قدرة فطريّة في الدّماغ كالقدرة على التّعلّم والتّعميم والاستنتاج...تقوم بعملية التّرتيب والتنّظيم وتضدّر الأوامر الحركيّة لأجهزة الجسم وتبني التّصوّات، يحاول الحاسوب القيام ببعض مهامها وليس كلّها. نفسه، ص 408 .
- (64) ينظر خوارزميات وبرامج التّعرف الآلي على الخط العربي، صديق بسو، التّكنولوجيا الجديدة ودورها في صناعة اللّغة العربيّة واستعمالها منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، 2017، ص 197 .
- (65) الذي رجع فيه صاحبه في بيان مفهوم اللّغة إلى أحدث كتب تشومسكي "أي نوع من المخلوقات نحن؟ الذي ألفه سنة 2016، لأنّه يحمل خلاصة فكره عن اللّغة وآخر ما توصل إليه في نظريته التي يطور فيها دائماً، ينظر : اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة)، ص 40

- (66) اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة)، ص 240، ومن البرامج الآليّة التي تعمل وفق آليّة المحاكاة الحاسوبية لطريقة عمل الدّماغ البشري في إنتاج اللّغة، نذكر آلة إيلمان التي تحاكي ما يحدث في المخ البشري، عبر المراحل التّاليّة: جملة ناقصة - إلى مدخل الشّبكة-معالجة الشّبكة لها باستدعاء مكمل محتمل - عرض المكمل على الشّبكة - اختيار الكلمة- ظهور الكلمة من المخرج .
- (67) يعدّ الدّماغ مركزاً للتحكم في الحركات الإراديّة للجسم جميعاً، ينظر بهذا الصّدّد "علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللّغة والنّطق، رسل لوف و واندنا ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، ص 93، وينظر أيضاً اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، ص 439.
- (68) ينظر البرمجة اللّغويّة العصبيّة، إبراهيم الفقي، ص14.
- (69) ينظر: اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، ص408 .

مصادر البحث ومراجعته:

القرآن الكريم برواية حفص.

- 1- القراءة من منظور العلوم العصبيّة، محمد بامحمد، مجلة اللّسانيّات وتحليل الخطاب ،المغرب، ع2، 2015.
- 2- علم الأعصاب للمختصين في علاج أمراض اللّغة والنّطق، رسل لوف و واندنا ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، جامعة الملك سعود، ط1، 2010.
- 3- تاريخ الدّراسات اللّسانية، ، بيريزين ف م، تر فتيحة قنيش، دار القدس العربي، الجزائر، ط1.
- 4- علم النّفس العصبي، ألفت حسين كحلة، مكتبة الأنجلو مصريّة، جامعة تبوك، المملكة السّعوديّة.
- 5- اللّسانيّات العصبيّة، اللّغة في الدّماغ (رمزيّة- عصبيّة- عرفانيّة) عطية سليمان أحمد، أستاذ العلوم اللّغويّة - السّويس، الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2019.
- 6- البرمجة اللّغويّة العصبيّة وفن الاتصال اللامحدود، إبراهيم الفقي، القاهرة، ط1 .
- 7- علم النّفس العصبي، ألفت حسين كحلة ،، جامعة تبوك، السّعوديّة، مكتبة الأنجلو مصريّة، د.ط، د.ت.
- 8- علم النّفس العصبي، جامعة الإمارات، ط1، د.ت .

9- أمراض اللّغة والنّطق، رسل لوف و واندنا ويب، تر: محمد زياد يحيى كبة، جامعة الملك سعود، ط1 2010.

10- لسان العرب، ابن منظور، تح: ياسر سليمان و مجدس فتحي السيّد، المكتبة التّوفيقية، ج14.

11- علم النّفس التّربوي، أيوب دخل الله، دار الخلدونية، الجزائر، ط1 .

12- مدخل إلى علم النّفس، عبد الرّحمن الوافي، دار هومة، الجزائر، ط6، 2013. .

13- النّمو الإنساني في الطّولة والمراهقة، مراحل النّمو، المشكلات وسبب علاجها، أحمد محمد الزّعبي، دار الفكر، دمشق، ط1.

14- Psychopedagogy or Educational psychology , Lectures for master 1 level , Naouel Abdelatif MAMI, Algeria edition DJITLI 2016.

15- التّكنولوجيا الجديدة ودورها في صناعة اللّغة العربيّة واستعمالها منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة، 2017.

علم الدلالة العرفانيّ

ارهاصات التأسيس ومحطات التشكل

أ.حسين ميهوبي

ج.أحمد دراية أدرار

الملخص:

حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية الوقوف عند كبرى المحاور الملازمة لعلم الدلالة العرفاني من خلال رصد محطات الدلالة في الدرس اللساني، والاشارة الى ما أتى به تشومسكي في الدرس اللساني الدلالي مروراً بنظرية الاسقاط المعجمي والتزامه بمبدأ الاستقلالية في دراسية الظواهر اللغوية وبمركزية التركيب الى النقلة النوعية للدلالة مع العرفانية، والوقوف عند مسوغات تشكل هذه النقلة النوعية، ومدى دور النظرية اللسانية عند العرفانيين في تطوير المفهوم الدلالي وما أحدثته من تجليات جديدة مست الدرس اللساني في شقه العرفاني الدلالي، مما حدى بالمهتمين بالنظرية اللسانية عموماً والدرس الدلالي خصوصاً الى الوقوف على معرفة كنه هذا الوافد الجديد، فتعددت رؤاهم واختلفت مفاهيمهم بحسب المدارس والحقول التي يشتغلون من خلالها، ومن هذا المنطلق نحاول من خلال الورقة البحثية التطرق الى الارهاصات الاولى لتشكل علم الدلالة العرفاني، معرجين على المنحى المصطلحي والمفاهيمي لسيرورة هذا المعطى الجديد في الحقل اللساني، مع الاشارة الى بعض النماذج التطبيقية بما يتناسب وحجم الورقة البحثية، ولقد اعتمدنا في انجاز الورقة البحثية على بعض المراجع لاستجلاء صورة موجزة بما يتناسب وطبيعة الورقة البحثية، مع إيلاء التركيز فيها على ما يتعلّق بالجانب

المفاهيمي، من هذه العناوين، ستيفن بينكر علم الدلالة والعرفانية، راي جاكندوف ترجمة عبد الرزاق بنور مدخل الى النحو العرفاني عبد الجبار بن غربية ودراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني محمد الصالح البوعمراني، والاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية عطية سليمان أحمد.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، علم الدلالة، اللسانيات العرفانية، علم الدلالة العرفاني.

توطئة:

ما من فكرة أو نظرية إلا وتبنى على تراكمات معرفية ممهدة لها، وكذا الشأن لموضوع ورقتنا البحثية الموسومة بعلم الدلالة العرفاني الذي هو نتاج لسلسلة من المعارف والعلوم ساهمت من قريب أو من بعيد في التأسيس له، فكان حري بنا أن نقف عند مفردات العنوان الرئيسي علم الدلالة العرفاني لنمد المتصفح للورقة البحثية بمفاتيح هذا الموضوع، ونزيل عنه الغموض، لذا أتينا بهذه التوطئة متضمنة تحديدا للمصطلحات الماثرة في ثنايا بحثنا. فما الدلالة ؟ وما علم الدلالة؟ وما اللسانيات العرفانية؟ وما علم الدلالة العرفاني؟

الدلالة:

لغة: مادة "دل" تحيلنا إلى: إبانة الشيء بإمارة تتعلمها".⁽¹⁾

" فالدليل ما يستدل به، وقد دلّه على الطريق يدلّه دلالة ودلالة، والفتح أعلى".⁽²⁾

عرّفت في المفهوم الغربي الحديث أنّها: "هي العلاقة بين الدال (اللفظ) والمدلول (المعنى)"⁽³⁾

تعريفه: "علم الدلالة Semantics"، " مصطلح فني يستخدم في الإشارة إلى دراسة المعنى Meaning"⁽⁴⁾

ويعرفه بعضهم بأنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك النوع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى أو ذلك النوع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرّمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى " (5)

"ومشكلة علم الدلالة ليست هي البحث عن كيان مميز يسمى المعنى، إنها بالأحرى محاولة لفهم كيف يمكن لهذه الكلمات والجمل أن تعني على الإطلاق أو ربما على نحو أفضل كيف يمكن أن تكون ذات معنى" (6)

علاقة علم الدلالة بعلم الرّموز:

"وتذكر معاجم المصطلحات اللغوية أن (علم الرّموز Semiotics) هو الدلالة العلمية للرّموز اللغوية وغير اللغوية، باعتبارها أدوات اتّصال، ويعرفه (دي سوسير) بأنه العلم الذي يدرس الرّموز بصفة عامة، ويعد علم اللغة أحد فروع" (7)

المسارات الرئيسية لتطور علم الدلالة:

مرّ علم الدلالة بأربع مسارات رئيسية صاحبت حركيّة تطوره باتجاهين متكاملين:

الاتجاه العمودي: تتطوّر فيه المقاربات للمعنى من عصر إلى آخر، ومن نظرية إلى نظرية جديدة، أو من مدرسة إلى أخرى جديدة، فمن النظريات البنيويّة إلى النظريات التوليدية وصولاً إلى المقاربات العرفانية

الاتجاه الأفقي: يتمثّل في تفاعل اللسانيّات في نفس الفترة الزمنية مع ما يصاحبها من علوم ومؤثرات إبستيمولوجيّة، مما يجعل علم الدلالة في ملتقى الاختصاصات والمعارف العلمية (علم النفس، الانتروبولوجيا، الرياضيات، العلوم العرفانية (علوم الاعصاب، الحاسوبية، علم النفس العرفاني)

01/ المسار التاريخي:

كانت الإرهاصات الأولى لنشأة هذا العلم نهاية القرن التاسع عشر، وتجلت في أعمال مولر سنة 1862 و 1887 حيث أثار قضية الربط بين الكلام والفكر واعتبارهما متطابقين، وشهدت سنة 1897 أول استخدام لمصطلح علم الدلالة sémanitique على يد اللساني الفرنسي ميشال بريال (Michel Bréal) من خلال مؤلفه مقالة في علم الدلالة: نحو علم الدلالات (Essai de sémanitique :science des significations)، حيث عمد بريال الى دراسة معاني الكلمات في اللغات الهندية واليونانية واللاتينية، فكان له السبق في دراسة تطور معاني الكلمات بدل دراسة تطور أصواتها، موليا عناية بالتطورات المصاحبة للخصائص الدلالية للمفردات في اللغة. ومما تجدر الإشارة إليه أن أعمال بريال كانت في ظل الجهود اللسانية الأوروبية حينها والتي تمحورت أساسا على دراسة تطور الجوانب الصوتية من خلال ما عرف وقتها بالنحو المقارن والنحو التاريخي.

02/ المسار البنيوي:

نقف فيه عند حدود البنيوية الأوروبية والبنيوية الأمريكية:

البنيوية الأوروبية: لقد كانت أعمال دي سوسير سنة 1916 الحافز للسانيات للدراسة الآتية البنيوية، وما المحددات التي تناولها دي سوسير الوثيقة الصلة بالمعنى إلا رسم لمعالم علم الدلالة ومن أهمها:

- علم اللسانيات يندرج ضمن علم الدلائل أو العلامات أي السيمولوجيا.

- البنية مجموعة من العناصر الشكلية تتجلى قيمتها التمييزية في التعبير عن المعنى. فتكون قيمة الحرف (م) في تمييز معنيين في كلمتين مثلا (علم) و(عمل) مقما بذلك الشكل على المعنى .

-العلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول

إنّ المدارس البنيويّة التي جعلت من أعمال دي سوسير مرجعا لها، حاز الجانب الشكلي من المفردة جل اهتمامها مثل الصّوت ولم تولي اهتماما للمدلول،. حيث أتى الاشتغال بالتحليل البنيوي للمدلول متأخرا في السّتينات من القرن العشرين.

مرحلة البنيويّة الامريكّة: ضمت ثلاث مدارس كبرى (المدرسة البنيويّة الانتروبولوجيّة ممثّلة في ادوارد سابير 1923، المدرسة التّوزيعيّة ممثّلة بلومفيلد 1933، المدرسة التّحويليّة ممثّلة في هاريس)

تميزت المرحلة الزّمنيّة من العشرينات إلى أواخر الخمسينات من القرن العشرين باهتمام اللّسانيّات البنيويّة الامريكّة بالجملة والتّركيب متجاوزة مستوى الكلمة الواحدة. حيث اعتنى ادوارد سابير باللّغات الهنديّة وخصائصها التّقافيّة فكان أن اكتشف الصّوت (phoneme)، ولقد أكدت أبحاثه على علاقة اللّغة بالفكر مبرزة أنّ تفكيرنا يكون باللّغة فهي أي اللّغة عاكسة لتقافتنا وطريقة تفكيرنا وعلى سبيل المثال كثرة أسماء أنواع التّمور عند العرب دون أسماء أنواع البرتقال عند الدّول الاوربيّة إنّما هي دليل على أنّ اللّغة تعكس ثقافتنا وطريقة التّفكير.

في حين ركزت المدرسة التّوزيعيّة عند بلومفيلد واتباعه على الجانب الشكلي للكلام متجاوزة تقطيع الكلمة إلى صواتم إلى مستوى تقطيع الجملة إلى صرافم، ولقد ذكر مؤسس المدرسة التّوزيعيّة بلومفيلد أن دراسة المعنى هي الحلقة الأوهن في الدّراسة اللّسانيّة ولا يمكن تحديده. حيث لم تعط المدرسة للمعنى بالغ الأهميّة متأثرة بالنّزعة اللاّذهنيّة المعاديّة لكل ما هو فكري وذهني.

03/ المسار التوليدي:

بنى شومسكي أفكاره وأراءه اللسانية من نقده للتوزيعية والبنوية الامريكية وتمثل ذلك في نظريته الجديدة التي هيمنت على المشهد اللساني إلى حدود التسعينات الموسومة بالنحو التوليدي، وظلت مثار نقاش بين اللسانيين تناوبت بين مؤيد ومعارض ومتوسّع فانصبّت الجهود في اللسانيات التوليديّة.

لقد أسس شومسكي نحوه على فرض ما يحصل في الذهن من طريقة في إنتاج الجمل الصحيحة نحويا. في مقابل لم يعط للمعنى قيمة إلا أنه أعاد شومسكي النظر في النظرية وأولى للمعنى جانبا من الدور الثانوي، ورغم دراساته المتجددة للمعنى إلا أنه جعل من الجانب الشكلي للنحو أساسا والدلالة مكونا ثانويا دوره تأويل الشكل. مما أدى إلى ظهور تيار مضاد لنظرية شومسكي معتبرا الدلالة والمعنى هما الأساس لتوليد الجمل أي ما يعرف بالدلالة التوليديّة (جورج لاكوف/ غوبر).
إلا أن البرنامج الادنويّ 1995 كان ذو توجه عرفاني مما أسهم في انخراط شومسكي في اللسانيات العرفانية التي تولي المعنى الأهمية البالغة .

04/ المسار العرفاني:

وهو المحطة التي تهيمن على البحوث اللسانية ممثلة في اللسانيات العرفانية وتأتي الدلالة العرفانية كفرع مهم فيها وفيها تتجلى الكثير من النظريات الجديدة المفسرة للمعنى وكيفية انتظامه بين اللغة والذهن.

وتأسست الدلالة العرفانية على نقد النظرية التوليديّة معنة في الاهتمام بالمعنى فخرج الكثير من التوليديين من عباءة شومسكي ونظريته التوليديّة ليؤسسوا نظريات جديدة تولي المعنى الحيز الاوفر من الأهمية فكان منهم جكندوف و فيلمور.

إنَّ التَّطوُّر الحاصل في العلوم التي تعنى بدراسة الدِّماغ وعلم الاعصاب وعلم النفس وغيرها أفاد الدِّرس اللِّساني العرفاني، ولذا أضحت اللِّسانيَّات موجهة اهتمامها إلى الجانب المعنوي في اللِّغة مما أضفى نوعاً جديداً من الاختصاص اللِّساني تجسّد في الدِّلالة العرفانيّة المفضيَّة إلى علم الدِّلالة العرفاني الذي يتم فيه تناول النِّظريات والاطروحات التي تشغل حيز الحقل الدِّلالي العرفاني منها: نظريّة الاستعارة العرفانيّة التي أتى بها لا يكوف وجونسون التي تدرس ارتباط الاستعارة بطريقة تفكيرنا، فنحن نفكر ونهتم بالاستعارات (مثال: اخلاق رفيعة /منحطة نفهم الاخلاق باستعارة الاتّجاه أعلى /أسفل)، نظريّة الطّراز prototype لجورج كلايبار تهتم بكيفيّة فهم دلالة المفردات في المعجم ضمن صور ذهنيّة كبرى، ونظريّة الأطر Frames لفيلمور تهتم بالمفردات المعجميّة وكيفيّة تنظيم معانيها في الدِّهن .. وغيرها من النِّظريات ..

اللِّسانيَّات العرفانيّة (الادراكيّة):

تمثّل اللِّسانيَّات العرفانيّة تياراً لسانياً حديث النِّشأة، يقوم على دراسة علاقة بين اللِّغة البشريّة والدِّهن والتَّجربة بما فيها الاجتماعي والمادي والبيئي، أي العلاقة بين اللِّغة + الدِّهن + التَّجربة (الاجتماعيّة والماديّة والبيئيّة) فإذا كانت النِّظريّة التّوليديّة تقوم على أساس النّحو الكوني الذي ترى أنّه مرّكز في عضو ذهني من الدِّماغ مخصوص هو اللِّغة، وخلافاً لهذا الرّأي يذهب التّيار العرفاني إلى تجذّر تلك المبادئ الكونيّة في الملكة العرفانيّة، فينتقي بذلك وجود عضو ذهني مخصوص باللِّغة، فاللِّغة مثل سائر الانشطة الرّمزيّة إنّما هي وليدة نشاط عرفاني مركّز في المولدة العرفانيّة عامة التي تمثّل نشاط الدِّماغ عضواً مادياً⁽⁸⁾

" تجري اللّسانيّات العرفنيّة تسميّة عامة على تيار او حركة تجمع عددا من النظريات التي تشترك في الاسس والمنطقات ولكنها مختلفة متنوعة متداخلة في بنائها ومشاعلها وتوجهاتها ومجالات العناية فيها، وهي تنقسم في المطلق الى اتّجاهين كبيرين -متصارعين- الانحاء العرفنيّة والنّحو التّوليدي في اخر تطور له (البرنامج الادنوي او الادنويّة)، وللّسانيات العرفانيّة صلات بالعلوم العرفنيّة من حيث برنامجها ومفاهيمها العاملة ونقضها لما ليس عرفانيا في المطلق وفي اللّسانيّات الشّكليّة بوجه خاص" (9)

وللّسانيات العرفانيّة علاقة باللّسانيّات النّفسية واللّسانيّات الدّهنيّة، والذكاء الاصطناعي وعلم النّفس الادراكي.

وللّسانيات العرفانيّة شقين أوربي وآخر أمريكي، ويمكن تقسيم الانحاء العرفانيّة الامريكيّة الى قسمين كبيرين، الاول منها يتضمّن كل النظريات أو المناويل الموسومة بالعرفانيّة من جهة والقسم الثّاني يمثل الأدنويّة الشّومسكيّة، وهي تطوّر للنّحو التّوليدي وفق مبادئ ثابتة فيها منذ سنوات الخمسينات (1950) فالاطوار اللاحقة إلى حدود 1980 وانتهاء عند ظهور البرنامج الادنوي (شومسكي 1993 و1995) وذلك بالتّخلص من الشّكليّة والتركيز على العمليات العرفانيّة فريديّة كانت في مستوى النّحو المضمّر أو كونيّة في مستوى النّحو الكلّي، فمن النظريات اللّسانيّة العرفانيّة ما يتجسّد في النّحو في مفهومه الشّامل فيقدم وصفا متكاملا للمنظومة اللّغة من قبيل أعمال (لانغاكير) و(جاكندوف)، ومنها ما يمثل مناويل أو نظريات تنصب العناية فيها على المظهر الدّلالي مطلقا أو مخصصا بالاستعارة متجليا في أعمال (لايكوف) أو بالدلالة المعجمية في أعمال (تالمي)...

علم الدلالة العرفاني (cognitive semantics)

ينحدر نحو الاتجاه النفسي والمعرفي في دراسة مواضيع علم الدلالة، ظهر منذ عام 1980

علم الدلالة العرفاني (cognitive semantics) هو من أحدث المباحث اللسانية، ويشكل مستوى من مستويات اللسانيات العرفانية (cognitive linguistics) الذي يهتم بالجانب العقلي والعمليات الذهنية والقدرات الإدراكية المساعدة في عملية تحليل الكلام وفهم فحواه.

يعد كل من اللغويين (لايكوف Lakoff) و(لانغاكر Langacker) من رواد علم الدلالة العرفاني.

وأكدوا أن علم الدلالة العرفاني هو " المعرفة اللغوية جزء من الإدراك العام " (10) إذا كان علم الدلالة هو البحث في المعنى، فالمعنى في علم الدلالة العرفاني يمكن مقارنته من خلال المداخل الآتية:

رباعية نظرية في المقولة، نظرية في الفهم، نظرية في الخيال، نظرية في المعنى المتجسد

فنظرية في المقولة لأن المقولة تؤسس لكل ممارساتنا الإدراكية وتحكم نشاطنا الذهني واللغوي.

ونظرية في الفهم، بالتأسيس لرؤية إنسانية تتجاوز الرؤية الإلهية المطلقة ذات الحقائق النهائية

نظرية في الخيال، فالخيال جوهر المعنى والتفكير وهو الذي يبني جزءا كبيرا من نظامنا التصوري وقد أخذت الاستعارة القسط الوافر من اهتمام العرفانيين وخاصة بعد كتاب " الاستعارات التي نحيا بها " للايكوف وجونسن

ونظرية في المعنى المتجسد، بما أنه لا وجود للمعنى والخيال بعيدا عن عالمنا المتجسد، فنحن ندرك العالم ونفهم الأشياء من حولنا انطلاقا من حضورنا الجسدي في الزمان والمكان، فمكان الإدراك ومسافة الإدراك وطريقة الإدراك وزاوية الإدراك هي التي تحدّد طبيعة فهمنا للشيء المدرك .. " فكل متكلم - كما يقول عبد الله صولة - هو عند نفسه محور العالم فذاته ومكانه وزمانه هي المرجعيات العرفانية التي تحدّد وجود الأشياء وطريقة كلامه عليها " (11)

وعليه فإنّ المقولة والفهم والخيال والتجسد مفاتيح أساسية لإدراك المعنى كما يؤسّس له علم الدلالة العرفاني .

مبادئ علم الدلالة العرفاني:

- 1- صناعة المعنى تستدعي معرفة موسوعية غير مقتصرة على المعرفة اللغوية فقط.
- 2- شرح المعنى والصياغة الدلالية للمكونات اللغوية يتجاوز حدود الدلالة.
- 3- قواعد اللغة بحد ذاتها عملية تنظيم ادراكي للمفاهيم مثل القواعد النحوية ليست أنظمة لغوية فقط بل منظومة ذهنية.

نظريات علم الدلالة العرفاني:

النظرية الطرازية (prototype theory)، النظرية المفاهيمية للاستعارة والكنائبة (conceptuel theory of metaphor and metonymy)، النماذج (المناويل) المعرفية المثالية (Idealized cognitive models)، وعلم دلالة الاطر (Frame semantis)

*نظرية دلالة الاطر (فيلمور Fillmore): في البداية قدم فيلمور مفهوم الحالة الاعرابية (grammaire des cas 1968) وقوامه أن الفعل في الجملة مرتبط بجملة من الوظائف الدلالية سميت فيما بعد الأدوار الدلالية وهو رد على النحو التوليدي لفيلمور يعتبر البنية الدلالية أهم من التركيب، ثم أتت نظريته الموسومة بـ"دلالة الاطر" (1976) من النظريات المؤسسة للسانيات العرفانية ومعنى الاطر أنه لا يفهم معنى الكلمة في الجملة دون الاستحضار في الذهن لمجموعة من المعارف المتنوعة المصاحبة لتلك الكلمة..، فالأطر ضرب من البنية الذهنية المجردة التي تتحدد حول معنى الكلمة انطلاقا من المعارف والتجارب التي عاشها المتكلم.

*نظرية الفضاءات الذهنية (فوكنير Fokner): الفضاء الذهني عبارة عن وضعية في شكل بنية تصويرية مجردة متكوّنة من اطر وعناصر وعلاقات مترابطة تتحقق في العبارات مثل الحالات الشعورية والرغبات واسلوب الشرط والتمني وغيرها. هذه الفضاءات لا ترتبط بالواقع المادي بل تنتج عالما عرفانيا مؤمئلا. قوله تعالى: "واشتعل الرأس شيبا"، المراد هو غلبة الشيب وسعة انتشاره فتم تصويره بصورة غير واقعية لحالة الشيب -لان الاشتعال سمة للنار وليس للشيب - المشبه بالنار في الاشتعال لبيان درجة سرعة الشيب وسرعة اكتساحه لكل الشعر.

*نظرية الاستعارة التصويرية (conceptual metaphor) (جورج لايفوف و مارك جونسون): المجاز لا يتعلّق بالتركيب اللغوي بل بطريقة تفكيرنا وفهمنا للعالم من حولنا فتتحقق الاستعارة في تفكيرنا لا في التركيب لأنّ بنيتنا التصويرية استعارية.. فكتاب (الاستعارة التي نحيا بها The Metaphor we live by) يبرهن على أنّ اللغة كلها مجاز، مثلا تفكيرنا في المجرد عن طريق ما نعرفه عن المحسوس (اخلاق رفيعة، اخلاق متدنية، حرب باردة...)

*نظرية البنية التصورية (conceptual structure) (جاكندوف): دلالة الجمل

تعود إلى بنية تصورية في الذهن، توجد في المستوى الذهني وتخزن المعلومات الحسية واللغوية والحركية معا. فدلالة أقوالنا وأفكارنا وكل نشاط دلالي هو جزء من تلك البنية التصورية، تقوم نظريته على ما يسميه الهندسة الثلاثية المتوازية: وجود البنية الصوتية، والبنية التركيبية والبنية الدلالية جميعها في نفس المستوى التصوري وتعالج كلها في مستوى البنية التصورية.

خاتمة: إن البحث في اللسانيات العرفانية عموما وعلم الدلالة العرفاني خصوصا يتطلب مواكبة ما ينشر في الدرس اللساني الاوربي والامريكي من أجل إفادة الدرس اللساني العربي بما يتناسب وطبيعة اللغة العربية في الشق الدلالي بصفة خاصة والعمل على نقل المفاهيم والتصورات المصاحبة للنظريات اللسانية في حقل علم الدلالة العرفاني الى الدرس الدلالي العربي من أجل إيجاد علاقة تفاعلية بين نفائس ولطائف الدرس الدلالي العربي وغيره من الدرس الغربي .

إنّ هذا كلّ لا يتأتّى إلاّ بتيسير المفاهيم الوافدة وخوض غمار نقل المنتج الغربي الى اللغة العربية لافادة القارئ العربي بكل جديد.

هوامش البحث:

(1) معجم المقاييس في اللغة، أبي الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ): تحقيق

شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط02) 1418 هـ، 1998م (د-ل).

(2) لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم أبي القاسم بن منظور

(ت 711هـ)، دار المعارف، القاهرة، د ت، (دل)

(3) علم الدلالة بين النظر والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية بيروت، 1413

هـ، 1993م، ص 84 .

(4) علم الدلالة: إطار جديد، تأليف: (ف. ر. بالمر)، ترجمة: د. صبري السيد دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، 1407 هـ، 1986 م، ص09.

(5) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة 1998، ص11.

(6) علم الدلالة: إطار جديد، تأليف: (ف. ر. بالمر)، ترجمة: د. صبري السيد دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، 1407 هـ، 1986 م، ص51.

(7) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة 1998، ص14.

(8) النص والخطاب مباحث لسانية عرفية، د. الازهر الزناد، دار محمد علي للنشر، ط1/2011، تونس، ص22

(9) نظريات لسانية عرفية، د. الازهر الزناد، الدار العربية للعلوم ناشرون تونس 2009، ص27.

(10) **Semantics**, John I Saeed, Fourth edition , 2016, p299

(11) أثر نظرية الطراز الاصلية في دراسة المعنى، عبد الله صولة، حوليات الجامعة التونسية. العدد45، 2001، ص279

قضايا الدلالة في المنظور اللساني العرفاني

أ. نصيرة قياسية

ج. باجي مختار عنابة الجزائر

توطئة:

أخذ البحث الدلالي من القديم اهتماما بالغا للقبض على مدلولات الألفاظ والتراكيب والنصوص ومعانيها، فمعنى ذلك أن أية عبارة موجودة في الواقع ينبغي أن تستدعى للتعبير عنها تصورا آخر يكون بالضرورة نتاج خبرات سابقة، تشترك فيها اعتبارات نفسية وذهنية وتاريخية واجتماعية، حتى تتوسع وتعدد المداخل في محاولة القبض على المعنى والكشف عنه انطلاقا من النظرية العرفانية.

وعليه جاء هذا العمل حتى يقترب من رحلة البحث في محاولة القبض على المعنى بالعديد من البحوث السياقية منها والنسقية، والتي لم تعد تحقق الغاية المنشودة، فظهر توجه جديد يحاول إعادة الاعتبار للبحث الدلالي الذي أغفلته بعض التوجهات التوليدية، وهو التوجه العرفاني في اللسانيات باعتباره مخرجا أنجع في الكشف عن المعنى، فاتجه البحث بذلك نحو ما قبل التحقق اللغوي، حيث يرى العرفانيون أن البنية اللغوية انعكاس مباشر للإدراك يقدم صورة مبسطة عما وصل إليه البحث الدلالي في آخر تطوّر له ولإشارة فان الكثير من المعارف الأساسية غابت عن هذا العمل لسببين يتمثلان في ضيق المجال الذي لا يتسع لعرضها من جهة ولأنني راعيت البساطة فيه حتى يتمكن القارئ المبتدئ من الولوج إلي مثل هذه المعارف من جهة أخرى _ بالتطرق إلى بعض القضايا التي تتعلق بالدلالة وبالبحث العرفاني من خلال بعض الجهود المتتابعة التي اهتمت بالمعنى، خاصة ما

تعلّق بالبحث الدلالي في المنهج التوليدي والتطورات التي طرأت عليه إلى أن تحولت الدراسات الدلالية نحو المقاربات العرفانية في أوج صورة لها.

وكما تمّ عرض بعض المفاهيم التي بني عليها المنحى اللساني العرفاني في علاقته بالمبحث الدلالي فتناول هذا العمل الأسس العرفانية لعلم الدلالة وأهمّ مباحثه من خلال الوقوف على بعض المصطلحات الأساسية في الدراسة الدلالية العرفانية المتمثلة بصفة رئيسة في البنية الذهنية والبنية التصورية والبنية الدلالية وعلاقة هذه المصطلحات والمفاهيم بالبحث الدلالي.

أولاً-الدلالة من التوليديّة إلى العرفانية:

1-موقع الدلالة في المنهج التوليدي التحويلي: شهدت النظرية التوليديّة التحويليّة التي أرسى دعائمها الباحث اللساني الأمريكي نعوم تشومسكي Noam Tchomsky إبان العقود الأخيرة مجموعة من التحويلات اللسانية خاصّة فيما يتعلّق بالاهتمام الدلالي وقد تجلّى هذا الاهتمام من خلال اتجاهين بارزين.

- الأول: ممثّل في أبحاث تشومسكي اللسانية بالتركيز على آخر ما وصلت إليه في آخر تطورات النظرية التشومسكية لها - في ماله علاقة بالدلالة-.

- الثاني: ممثّل في أبحاث تلميذه "راي جاكندوف" الذي واصل ميسرة البحث في اللسانيات التوليديّة ودعمها بأبحاث جديدة، فظهرت من أعمال تشومسكي واستمد أفكاره اللسانية منها محاولاً تطويرها إما بإثباتها وإما بنفيها، وإمّا بالانطلاق منها دون أن يعلن قطيعته مع المنهج التوليدي كغيره من الباحثين.

أ-عند نوام تشومسكي: لقد حافظ المنهج التوليدي في البحث اللساني المعاصر في تحولاته المختلفة على جوهر النظرية منذ نشأتها، حيث شملت تغييرات جزئية متتابعة لم تكن جذرية بالأساس، فبعد أن كانت تولى «الأهمية الأساسية للتركيب

وأُسندت إليه موقعا مركزيا في النظام واعتبرته مكونا مستقلا متخليّة بذلك عن دراسة الدلالة والمعنى باعتبار أنّهما من حمولات الفلسفة والمنطق والرياضيات وعلم الأجناس اللّغوي»⁽¹⁾ تغير مسار الدّراسات الدّلاليّة ما بين (1963 و 1965)، فدخل المعنى حيز الاهتمام في النّحو التّوليدي بعد أن كان مقصا من الدّراسة حيث «أن تشومسكي اعتبر سنة 1957 في كتابه الأبنية النّحويّة أن مهمة النّحو التّوليدي الوحيدة تمثّل في التعريف بالأبنية النّحويّة للغة باعتبارها مجموعات محدودة من الجمل ذات التّركيب السليم الأمر الذي يؤكّد أنّ الفرضيّة التي انطلق منها تعبر أنّ النّحو ليس إلا دراسة شكلانيّة لأشكال الجمل وتراكيبها مستقلة كالاستقلال عن المعنى»⁽²⁾ وبعد حين اصطدم الباحثون الذين يؤمنون بالمنهج التّوليدي الأمريكي بحقيقة استحالة اعتماد التّركيب وحده في تفسير قضايا اللّغة. فجاء كل من الباحثين كاتز وفودور katz / Fodor؛ ليؤكدوا على «ضرورة تلقّيح المكون التّركيبي القاعدي بإضافة مكون دلالي»⁽³⁾ وقد كان ذلك سنة 1963. وبعد ذلك الباحث كاتز مع باحث آخر بوستال Postal الذين حاولا «سنة 1964 تطوير مفهوم المكون الدلالي وتوسيعه، وذلك حتى يقتنع تشومسكي ويتبنّى وجهة النّظر الجديدة في كتابة مظاهر النّظرية التّركيبية الذي يمثّل صياغة جديدة للنّظرية التّوليديّة التّحويليّة»⁽⁴⁾ حيث أصبحت النّظرية التّوليديّة تتساءل عما يعرفه المتكلّم بلغة ما واكتسابه لتلك المعرفة وجريانها في الاستعمال من خلال الاهتمام بتجليات الخصائص الذّهنية ونشاطها في الدّماغ وعلاقتها بالملكة اللّغوية فهي مسائل معرفيّة تجلت في عمله أيضا المسمّى بالمعرفة اللّغوية طبيعتها وأصولها واستعمالها سنة 1986، ثم من خلال برنامجه الأندوي الذي يعتبر آخر أطوار النّظرية التّشومسكيّة من خلال صدور عدة مقالات بعنوان البرنامج الأندوي، أي حوالي عقد بعد صدور الكتاب الأوّل، والتي كانت منطلقا فعليا لمثل هذه المسائل المعرفيّة.

إنّ ما يعرفه الشّخص المتكلّم بلغة ما هو خصائص بنويّة مولدة لتلك اللّغة «من حيث مثلت اللّغة التي يملكها مولدا محدودا لمجموعة غير محدودة من الأوصاف البنويّة»⁽⁵⁾ وهو ما يطلق عليه تشومسكي مصطلح اللّغة المضمرة والتي «هي قدرة مخزونة حالا في الدّهن /الدّماغ موجودة في ذاتها وجودا مستقلا عن سائر الأشياء في الكون.»⁽⁶⁾ وهي فرديّة تتعلّق بالفرد دون بقية الأفراد في محيطيّة اللّغوي ويفترض أنّه ليس واعيا بحصول هذه المعرفة.

وليس من اليسير أن يجعل واعيا، وهي مفهوميّة ذاتيّة نسبيّة _ تشومسكي 1995_ حيث يعرف كينز Keynes المفهوم الدّاتي النسبي بكونه: «كناية عن مجموعة الصّفات التي يملكها الفرد عن شيء أو موجود ما، سواء كانت تلك الصّفات أساسيّة أو ثانويّة.»⁽⁷⁾ واختلافه راجع للاختلاف القائم بين الأفراد والمكان والزّمان، وقد اقترح تشومسكي تسمية لتلك البنية الدّهنيّة باللّغة المضمرة وانطلق في ذلك من فكرة ياسبرسن Jespersen 1924 الذي أشار إلى وجود عبارات خاصّة جديدة ما سبق له أو لسائر النّاس سماعها .

من هنا وجب الإشارة إلى بعض المصطلحات واستخدامها في منبتهما الأوّل عند تشومسكي وهي:

-**النّحو الكوني:** «نظريّة في المبادئ الثّابتة التي تحكم الملكة اللّغوية البشريّة وفي برامترات التّغير المقترنة بتلك المبادئ.»⁽⁸⁾ هدفه تحديد المبادئ التي تشغل بها الملكة اللّغوية قبل تعرضها للتّجربة ولمعطيات خارجيّة، وهو أيضا «جهاز سابق عن كل تجربة لغويّة.»⁽⁹⁾ معنى ذلك أن جميع اللّغات تتوافق في النّحو الكوني.

-**النحو المخصوص:** «نظريّة في اللّغة مخصوصة تصف ما به يكون الاقتران بين تمثيل ذهني وعبرة لغويّة ويكون به تحديد الشّكل و المعنى.»⁽¹⁰⁾ أي بين البنية والمعنى. وتختلف فيه اللّغات لأنّه محكوم بالبرامترات و ليس بالمبادئ الثّابتة.

و خلاصة القول إنّ التّوليديّة التّحويليّة قامت على أساس ثنائي المبادئ والبرامترات في مقاربتها اللّسانية للغة، فتهتم بالثّابت من المبادئ في جميع اللّغات الذي «هو رصد للحال البدائيّة في الملكة اللّغوية قبل تعرضها لأي من المعطيات والتّجربة.»⁽¹¹⁾ كما تهتم بالبرامترات فهي قيم مخصوصة في لغة ما «فيرصد حالا للملكة اللّغوية بعد أن تعرضت للمعطيات اللّغوية في التّجربة الاجتماعيّة.»⁽¹²⁾

وقد حاول تشومسكي تحديد العوامل التي تقف وراء الإمكانات التّعبيريّة اللّامحدودة في اللّغة «فكل شخص ينتج ما لا نهاية من الجمل ويفهمها وإن لم يسمعها من قبل في حياته، فهو يستبطن طريقة في التّوليف بين عدد محدود من العناصر المحفوظة في الذاكرة، تلك هي الملكة اللّغوية.»⁽¹³⁾ التي نشأ الطّفل مجهزا بنظامها وانطلاقا من لغة محيطه والعبارات الجاريّة فيه يبني لغته المخصوصة بوجه يحدده نظامه الدّخلي فتحل اللّغة في الدّهن بعد عمليّة البناء والنّضج فيوظفها في حياته بسهولة فهما واستعمالا؛ وذلك يتم بعد تفاعل عرفاني بين جهازين فطري وعصبي ناضج مع العبارات الجاريّة في محيط الفرد الاجتماعي فيظهر معرفة لم يتعلّمها من قبل بناء على معطيات سابقة مشكلة نظاما بشريا معقدا هو النّظام الدّهني، و«أما جريان تلك المعرفة في الاستعمال فيمثل برنامج نظريّة أو نظريات في الإنجاز performance بما تتضمّن من عمليات إنتاج الأقوال ومن عمليات تحليلها»⁽¹⁴⁾ وذلك من خلال البحث في ما يحتويه الدّهن /الدّماغ من تقنيات ربط بين الصّوت والمعنى أو بين المدرك والرّمز، وتعد هذه الجوانب جزءا من نظام العرفانيّة؛ وهو «ما يطلق عليه تشومسكي باللّغة المظهرة

1986 من ...كونه تحققاً فيزيائياً للغة المضمرة في مستويين فردي يكون به كلام شخص بعينه أو جماعي يمثل لغة ما مما يسمح به النحو الكوني»⁽¹⁵⁾

ولذلك فإنّ الاهتمام في المنهج التوليدي منصب في كون اللّغة ليست ظاهرة مجردة أو مواضعة اجتماعيّة فحسب، وإنّما في كيف تفهم وتستعمل وهو توجه لساني ذهني عند تشومسكي تبلور من خلال ثنائية اللّغة المظهرة واللّغة المضمرة، ومع ذلك بقي يعتبر الدّالة مكوناً ثانوياً في النظام اللّساني.

ب- عند راي جاكندوف: يعتبر راي جاكندوف Ray Jackendoff من بين الباحثين الذين مثلوا الدّالة التّأويليّة، حيث ركز على بعض المصطلحات الأساسيّة في البحث الدّلالي العرفاني: من قبيل التّمثيل الذهني والبنية الذهنيّة وعلاقتها بالمنحى اللّساني العرفاني، والبنية التّصوريّة، والبنية الدّلاليّة خاصّة. كما وقف على مصطلحي ذهن / دماغ حيث وظفهما في بادئ الأمر على أنّهما مصطلحان مختلفان من حيث المفهوم، ثم أفضى به البحث إلى اعتمادهما بنفس المفهوم، وقد يرجع ذلك إلى أنّه أدرك أنّ المصطلحين يؤديان المفهوم نفسه أو إلى أنّه عجز عن إدراك الفرق بينهما في الوظيفة، فتجاوز ذلك إلى اعتمادهما بالمفهوم نفسه حيث حاول التّقدم في نظريته العرفانيّة الدّلاليّة لفتح آفاق جديدة يثبت بها مواقفه.

كما أنّه ميز بين مصطلحي البنية التّصوريّة والبنية الدّلاليّة؛ فالأولى تحيل على العالم الخارجي للفرد وتجربته الفرديّة وكل ما له علاقة بمحيطه، بينما تحيل الثّانيّة على الاستعمال اللّغوي أو التّحقق اللّغوي؛ معنى ذلك أنّ البنية التّصوريّة عنده تعبر عما قبل التّحقق اللّغوي ثم تجاوز ذلك أيضاً إلى توظيفهما بنفس المفهوم بل وعمّ الأبنية التّصوريّة على المفهومين؛ حيث اعتمد تولد هذه الأبنية في نظره على عمل الذّهن.

وأسس راي جاكندوف من خلال كتابه علم الدلالة العرفاني لنظرية دلالية عرفانية حيث تخطى عن كل ما يعتبر أساسا في النظرية التثومسكية دون أن يعلن القطيعة من قبيل علم الدلالة الصوري ومركزية الإعراب، غير أنه تبنى مبدأ الذهنية، وهو آخر ما اعتمده تشومسكي.

فالدلالة عنده «تمثيل ذهني بالأساس»⁽¹⁶⁾ و«إذا كانت تمثيلا ذهنيا لكانت فردية مثل: الإحساس بالحر والبرد والتعب»⁽¹⁷⁾.

وإن رأي جاكندوف يؤمن بالطرح الذهني الذي يجعل «من الدلالة عملية ذهنية داخلية، باطنية تقوم على أنّ المعنى ليس في الكون أو في الأشياء أو في علاقة اللغة بالواقع بل في الأبنية الذهنية»⁽¹⁸⁾ حيث ربط بين دراسة الدلالة اللغوية الطبيعية وعلم النفس العرفاني، فيرى «أن ندرس دلالة اللغة الطبيعية يعني أن ندرس علم النفس العرفاني»⁽¹⁹⁾.

وأرسى راي جاكندوف منذ سنة 1977 مبادئ أساسية لما وسم بعلم الدلالة التصوري، ومع كتابه علم الدلالة والعرفانية قام بإيضاح مراحل تكوين النظرية الدلالية العرفانية، حيث ميز بين عدة مصطلحات لسانية عرفانية من قبيل الأبنية التصورية والاكْتساب اللغوي، واستعمال اللغة وإنتاج المعنى.

وإنّ النظرية الدلالية عند جاكندوف لا تميز بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي حيث أنّ المتحكم الوحيد في عملية الإدراك البصري والسمعي كما في بناء النظام اللغوي في الذهن هو الأبنية الذهنية حيث يقول جاكندوف في هذا الصدد: «لابدّ من مستويات من التمثيل الذهني تكون فيها المعلومة التي تؤديها اللغة منسجمة والمعلومة الآتية من الأنظمة المحيطة مثل الرؤية والسمع غير اللغوي

والشّم والشّعور بالحركة وهكذا»⁽²⁰⁾ فهذه المستويات ضرورية حتى نستخدم اللغة وسيلة للإخبار والتعبير عما نرى ونسمع.

وقد قام أيضا باختزال نظرية الاستعارة التّصوريّة في مصطلحين رئيسيين مصرحا بأنّ «البنية الدّلالية هي البنية التّصوريّة»⁽²¹⁾

وإنّ الهدف الحقيقي له هو دفع البحث اللّساني العرفاني إلى التّقدم نحو فهم المعنى و تحليله، وإن من القضايا الأساسيّة التي اهتم بها البنية الدّلالية والتّصوريّة؛ فهو يسعى من خلال جهوده إلى إرساء نظرية دلالية شاملة للقدرات الذهنيّة والتّجربة الخارجيّة، وذلك بتركيزه على مصطلحين هما البنية والإجراء؛ أي: البنية اللّغوية والاستعمال اللّغوي. إذ تمثل البنية التّصوريّة عنده «المعلومة التي تتقاسمها الصّيغ اللّغوية والبصريّة»⁽²²⁾ أما الدّلالية فقد تبني ما ذهب إليه كاتز وفودور على أنّها تمثيل دلالي عبارة عن معان في مستواها الصّوري حيث تختلف عن البنية النّظميّة ويرى أنّه من شروط النّظرية أن تكون قادرة على تغيير وتأويل السّمات الدّلالية للغة.

وإنّ التّمثيل الذهني يتجلّى من خلال مستوى البنية التّصوريّة كم ينبغي للمتعلّم أن يتوفّر على الأبعاد التّصوريّة، كأن يميز بين الألوان.

ويربط جاكندوف بين النّظرية الدّلالية والبنية التّصوريّة حتى يتمكن من الرّبط بين اللغة والبنية التّصوريّة بحيث أنّها يمكن أن تكون أعمق من الدّلالية. وبأن تكون الدّلالية فرعا من التّصوريّة ثم توصل إلى أنّه يجب أن يكون هناك تطابق بينهما؛ أي المستويين الدّلالي والتّصوري.

ومنه تهتم هذه النّظرية بطبيعة المعنى وربطه بالنّظم من جهة أخرى على أن يكون له الصّدارة.

2- موقع الدلالة في التوجه العرفاني:

إنّ أهم ما ميّز التّوجه اللّساني العرفاني؛ هو تصور العرفانيين الخاص للدّلالة فما اعتبره جلّ الباحثين اللّسانيين أساساً في الدّراسة اللّسانية تحول في النّظريّة اللّسانية العرفانيّة إلى جزء لا يتجزأ من الدّلالة وإن كل ما له علاقة بمستعل اللّغة من تجارب خارجة عن بنيته الذّهنيّة ومن معارف واعيّة فيما يتعلّق بعباراته اللّغوية يساهم بشكل واضح في تحديد دلالات تلك العبارات ومعانيها ولقد أثبت التّحليل الدّلالي العرفاني أنّ التّحليل الذي يتعلّق بمعنى عبارة ما إنّما يوضح ويظهر جميع استخداماتها دون استثناء؛ والقصد من ذلك أنّه يشمل حتى التّعبير المجازيّة التي أهملت في الدّراسة اللّسانية السّابقة ذلك أنّها أسندت للبلاغيين فجاءت النّظريّة العرفانيّة لتبلور فكرة أنّ كل ما هو لغوي يخدم الدّلالة، وينضوي تحتها، «فعبارة قاعدة في اللّغة العربيّة تتوضّح معانيها من خلال التّحليل الدّلالي فتعني في علم الكيمياء ما يستعمل مع حامض لينتج ملحاً، وفي علم الهندسة في عبارة قاعدة المثلث وعند علماء الحساب والجبر في عبارات من نوع لابدّ من استشارة القاعدة قبل اتّخاذ القرار، وقاعدة عسكريّة...»⁽²³⁾ فالّتحليل الدّلالي يهتم بتحديد هذه الاستخدامات للعبارات اللّغويّة ودلالاتها المختلفة، حيث «يجب البحث عن المعنى في العمليات الذّهنيّة العرفانيّة التي يلجأ إليها المتكلّم و ينجزها لصياغة خطابه والتي يلجأ إليها السّامع لفك رموز ذلك الخطاب وإدراك محتواه فكل عبارة تفرض صورة خاصّة في مجالها وهذه الصّور المختلفة تجسم قدوة الإنسان على إدراك نفس المضمون بطرق مختلفة.»⁽²⁴⁾

إنّ تركيز العرفانيين على الدّلالة وإحلالها المنزلة المناسبة غير النّظرة إلى النّحو إذ لم يعدّ مسؤولاً عن صياغة التّراكيب الصّحيحة وإنّما أصبحوا يهتمون به» في معناه العام باعتباره قائمة من الصّيغ والتّراكيب المصطلح عليها باعتباره

نظاما يسمح بتشكيل أُبنية اصطلاحية متواضع عليها تسمح بتصنيف المعاني وإدراجها ضمن مقولات.

وبذلك أصبح النحو عبارة عن تحليل... للعلاقات القائمة بين مجموعة الأصوات المتعاقبة والدلالات المسندة إليها»⁽²⁵⁾ بحيث يهدف التوجه العرفاني أساسا إلى إدراك وظيفة اللغة الرمزية أي «التجاء المتكلم إلى سلاسل متتالية صوتية تستعمل رموزا للتصورات ولذلك لا توجد في النحو العرفاني إلا ثلاث أنواع من الوحدات: الوحدات الفونولوجية والوحدات الدلالية و الوحدات الرمزية.»⁽²⁶⁾

والوحدة الرمزية هي التي تجمع بينهما إذ «الوحدة الرمزية هي الجمع بين وحدة دلالية معنوية ووحدة فونولوجية وكل بنية... لها معنى وهذا المعنى يكون عادة معنى مجردا.»⁽²⁷⁾

ومن المبادئ التي أقرها العرفانيون للدلالة أيضا أنهم اعتبروا أن مصطلحي المعنى والتصور يوظفان بالمفهوم نفسه «فالمعنى لا يعدو أن يكون إلا تصوّرا معينا، ومعنى عبارة ما إنّما هو ذاك البناء أو التشكيل الخاص الذي تفرضه العبارة على مشهد تصوري، وبذلك يتمثل التحليل الدلالي لعبارة ما في إبراز الطريقة الخاصة التي وقع اعتمادها في تلك العبارة لتشكيل المشهد وبنائه بطريقة معينة مخصوصة.»⁽²⁸⁾ وهو تصوّر عرفاني للدلالة، إذ لم يعد التركيب النحوي أساسا للدراسة كما عهدته نظريات سابقة. وأصبح الأمر يعتمد على التشكيل الدلالي للعبارة وطريقة تنظيمها؛ معنى ذلك أن التنظيم الدلالي يفسر التركيب النحوي للعبارة وليس العكس فهم يعتبرون «أن كل صيغة أو بناء مهما كان المستوى الذي يوجد فيه إنّما تبرره وتفرضه اعتبارات دلالية مع العلم أن الاعتبارات التداولية بالنسبة لهم ليست إلا جزءا من الاعتبارات الدلالية.»⁽²⁹⁾ ومنه فإن هدف اللسانيات

الوحيد في نظر العرفانيين هو ضرورة الكشف عن المعنى والقبض عليه، وتحديد
حيث تعكس العبارات مضمونا من خلال تنظيمها الذهني. هذا المضمون هو
المعنى؛ فيدرس باعتباره متضمنا للتركيب النحوي بما فيه من صيغ وبنيات
داخلية، ومن أهم من مثل هذا التوجه العرفاني نحول الوقوف على باحثين بارزين
من الباحثين العرفانيين الذين آمنوا بالمنهج العرفاني معلنين القطيعة على المنهج
التوليدي وهما: رونالد لانفاكر وجورج لايكوف.

1-رونالد لانفاكر Langacker: إن نظرية لانفاكر بديل للنظريات اللسانية التي
كانت سائدة، حيث كانت تتخذ من التركيب أساسا لدراسة اللغة على حساب المعنى
والدلالة وحتى بعد اعترافهم بضرورة الاهتمام به جعلوه ثانويا وبقي الاهتمام
منصبا على التركيب .

فأرسي لانفاكر مجموعة من المبادئ العرفانية والتي تتعلّق أساسا بالمبحث
الدلالي على أنه يؤمن بأنّ «النحو العرفاني نظرية دلالية شاملة»⁽³⁰⁾ حيث قدم رؤية
واضحة لمفهوم الدلالة في نظريتها اللسانية العرفانية على أنها «كل مادة تصوّريّة
تمثّل مفهوما ممكنا، فالدلالة عنده هي التّصور في معناه الواسع وموضوع علم
الدلالة البحث في الأبنية التّصوريّة وتحليلها وغايته تقديم الأوصاف الظاهرة
لانتظامها، وإذ كانت الأبنية التّصوريّة كامنة في المعالجة العرفيّة ومادة لها كانت
الغاية القصوى لعلم الدلالة تحديد مختلف الأنماط التي تكون الوقائع العرفيّة من
حيث كانت الواحدة منها تجربة ذهنيّة وهذه غاية بعيدة المنال صعبة، ولكن ذلك لا
يمنع من السّعي إلى البحث فيها ولا من اعتماد الأساس التّصوّرّي في تمثّل
المعنى ودراسته»⁽³¹⁾ حيث حاول من خلال نظريته النحو العرفاني أن يقدم
تفسيرات للقضايا اللغوية الدلالية معتمدا على ما يقوم به الفرد المتكلّم من عمليات

ذهنية عرفانية وبالتفاعل مع معطيات أخرى يوظفها في استعمالاته اللغوية من عبارات وصيغ وتراكيب ...

وما يقوم به المتلقي لفهم تلك العبارات والصيغ، إذ تمثل «العمليات الذهنية في رأي العرفانيين عمليات منتظمة مطردة.»⁽³²⁾ على خلاف ما كان سائدا في النظريات اللسانية ما قبل العرفانية حيث مثلت الدلالة مستوى من بين المستويات اللسانية للغة، فهي جزء من الدراسة، والأهمية القصوى للصيغ الشكلية والتراكيب ومدى مساهمتها في تحديد المعنى على أنه عنصرا ثانويا يدعم تفسيراتهم الشكلية فجاء النحو العرفاني رافضا لهذا «التصور الذي فصل بمقتضاه عدد من اللغويين بين مختلف المستويات التي تساهم في بناء المعنى وتشكيله هذا التصور الذي جعل عددا من اللغويين يفصلون بين مستوى بنية الكلمة ومستوى بنية الجملة ومستوى المعجم ومستوى الدلالة إلى غير ذلك من المستويات؛ التي تساهم معا وفي الآن ذاته في تشكيل المعنى، بل إنهم لم يكتفوا بذلك، وإنما اختاروا كذلك الفصل بين مختلف المستويات التي ذكرناها، وبين المعارف التي بحوزة المتكلم والمخاطب سواء منها ما كان له علاقة بمعتقداته وثقافته أو بكل ما يعرفه عن العالم الخارجي الذي يعيش فيه ففصلوا بذلك بين ما سموه المعنى اللغوي والمعنى غير اللغوي ونحن نجد مثل هذا التصور شائعا في النحو التوليدي التحليلي مثلا وفي مختلف النظريات النحوية الجديدة التي حاول أصحابها تقادي بعض الأخطاء التي وقع فيها التوليديون أو تخلوا تماما عن بعض مبادئهم.»⁽³³⁾

فما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق هو أن الاهتمام بالمعاني اللغوية في المنظور اللساني العرفاني أو الدلالة لا يشترط صدق العبارات من عدمه وموافقتها للواقع من غيره فيجمع لانفاكر في نظريته بين المكونين التركيبي والدلالي ويعتبر أنه من الخطأ الفصل بينهما في النظرية اللسانية العرفانية حيث لا يقبل «الانفصال

بين الإعراب والدلالة خلافا لسائر النظريات التي تتصور الإعراب مكونا شكليا قائما بذاته ومن المفروض عند لانفاكر أن تكون النظرية اللسانية وصفا متكاملا يجمع بين مختلف المظاهر في البنية اللغوية خلافا للمتداول من نزعات إلى أن تكون النظرية الواحدة مختصة بمظهر واحد وهو سبب أساسي في تكاثر النظريات الجزئية.»⁽³⁴⁾

وقد تجسد ذلك في توجهه العرفاني الموسوم بالنحو العرفاني الذي يسعى من خلاله «إلى تقديم نظرية موحدة شاملة لمختلف جوانب البنية اللغوية»⁽³⁵⁾ وهو أهم مبدأ لساني عرفاني على الإطلاق، حيث ثار على النظريات الشكلانية التي اعتبرت التركيب مركزيا في الدراسة اللسانية وفصلت بين المستويات اللسانية المختلفة مقتنعة بذلك أن اللغة نظام وبنية مكثفة بذاتها ومنفصلة عن العالم الخارجي، كما اعتنت بالدلالة من منظور المنطق الصوري باعتماد موافقتها للحقيقة من خلفها في «جميعها عند لانفاكر مبادئ قائمة على أساس خاطئ فاللغة ليست نظاما مكثفا بذاته ولا تقبل الوصف بمعزل عن العمليات العرفانية ولا يمكن تفسير السلوك اللغوي دون اعتبار آليات المعالجة العرفانية.»⁽³⁶⁾

وهذه الآليات لا يمكن لها أن تفصل بين نظام ذهني كوني ممثل في الملكة اللغوية وبين مظاهر أخرى خارجة عن الذهن من قبيل النفس والمحيط الذي ينتمي إليه المتكلم أو مستعمل اللغة، ولذلك يدعو لانفاكر من جهة أخرى إلى ضرورة الجمع بين ما توصلت إليه الأبحاث اللسانية واستثمار ما حققه علم النفس من نتائج تعتمد على تقنيات حديثة؛ والتي فتحت له آفاقا جديدة حتى يسعى نحو نظرية شاملة وموحدة مسلما فيها بأن اللغة جزء لا يتجزأ من العرفانية، كما اعترف من خلال بث أفكاره بأن الطريق لتحقيق هذه الأفكار مازال طويلا، وذلك بالابتعاد عن نظرية الصدق التي كانت سائدة في «التحليل الدلالي الشكلي القائم على شروط الصدق غير مفيد ولا مناسب لوصف المعنى في العبارات اللغوية ذلك أن الأبنية

في تصورهما مرتبطة بنظم مفتوحة من حيث مجالها ولا متناهية في حدودها، كما هو معلوم كما أنّ القيمة الدلالية في عبارة ما لا تعكس المضمون الكائن في موقف جرى تصوّره فقط بل تعكس الوجه الذي به كان.»⁽³⁷⁾ بناءً ذلك الموقف كما ارتكز تحليل المعنى عند لانقار على مفهوم التّصوير حيث يطلقه على «القدرة التي تبني المواقف والوضعيات على وجوه مختلفة.»⁽³⁸⁾

- **النحو التّصويري:** عندما يسعى المتكلّم للتعبير عن موقف ما ينتقي بالضرورة الصّيغة اللّغوية التي يوظفها لتحقيق التّواصل وهو الغاية من استخدام اللّغة وذلك ببناء الموقف ذهنياً بطريقة معينة، فيختلف التّصوير تبعاً لذلك عند المتكلّمين وباعتبار اللّغة جهازاً رمزياً يتكون من البنية اللّغوية والمضامين التي تعبر عنها يتسنى تعدّد الصّور في تحليل المضمون الدلالي، وكل ذلك حتّى يتمكن لانقار من تبرير موقفه الذي يتمثّل في أنه لا وجود لبنية عميقة للغة أساساً حتّى نبحث لها عن تأويلات ويفسر ذلك هذا المثال:

- أهدى زيد كتاباً إلى عمرو.

- أهدى زيد عمراً كتاباً.

يعتبر لانقار الجملتين مختلفتين معنى وهما صورتان مختلفتان لواقعة واحدة هي الإهداء. في الأوّل يعين الحرف -إلى- المسلك الذي اتبعه الكتاب فيكون المسلك أبرز المظاهر المكونة للواقعة في الجملة.

وفي الثّانية فالملكيّة أبرز المظاهر التي يرمز إليها غياب الوسائط الحرفيّة بين الطّرفين (المالك والمملوك) والمضمون الثّاني بعد الأوّل على أساس التّرتيب الطّبيعي بين المسلك والمال.

ومن أخصب مجالات البحث الدلالي عنده ظاهرة الاشتراك اللفظي «التي يبيّن فيها المدخل التّصوري عن كفاءته، فمن الثّابت أنّ درجة الاشتراك الدلالي تتناسب درجة التّواتر فما تواتر من الوحدات اللّغوية تواترا عاليا كان محل اشتراك ومن الثّابت كذلك أنّ دلالات الوحدة المشتركة تكون شبكة تتربط عناصرها بتوسط أنواع متعدّدة من العلاقات وهذا التّعدّد في التّناول التّصوري عائد إلى معنى خطاطي...يمثّل المنطق في تبلور مختلف الخطاطات وفي تحقّقها.»⁽³⁹⁾

وقد مثل لذلك بكلمة ring في الانجليزية وأشار إلى أنّها تحمل قيمة دلاليّة خطاطيّة أو مضمون ممثّل في وحدة دائريّة تتحقّق في معان خصوصيّة من بينها علامة دائريّة؛ فتكون تلك العلامة خاتما للسلطان وخاتما للإصبع وأشياء أخرى مشابهة تتحقّق في صور كثيرة مختلفة عن طريق الاتّساع.

إنّ المعنى الخطاطي عند لانفاكر «وحدة دائريّة تتعدّد تحقّقاته في عدد من المعاني منها علامة وشيء، ثم بتوسط الاتّساع يمكن أن تتوسّع التّحقّقات بعضها أو جميعها إلى معان أخرى من قبيل... علامة دائريّة و شيء دائري.»⁽⁴⁰⁾

فالتّحليل الدلالي عنده يعنى بكل وحدة لغويّة مركبة بصورة موسوعيّة حيث تمثّل البنية اللّغويّة انعكاس مباشر للإدراك معنى ذلك أنّ أيّة عبارة موجودة في الواقع ينبغي أن تستدعي للتّعبير عنها تصوّرا آخر يكون بالضرّورة نتاج خبرات متفاعلة تفاعلا موسوعيا، تشترك فيه اعتبارات ذهنيّة ونفسيّة واجتماعيّة... وهي عمليات عرفانيّة محضة.

وبهذا الاعتبار «تتحدّد دلالة العبارة اللّغوية بالمضمون التّصوري المدلول عليه بها وبزاويّة التّناول التي يَصوّر من خلالها ذلك المضمون.»⁽⁴¹⁾

وخلاصة القول يؤكد رونالد لانفاكر على أمرين ضروريان في تشكيل الدلالة وتحليلها وهما التّصورات الذّهنيّة والتّناول الموسوعي و العرفاني للدلالة، حيث تمثّل كل تجربة إدراكيّة نظاما عرفانيا مستقلا.

ب-جورج لايكوف: شكل مبحث الدلالة أو البحث في المعنى وطبيعته وكيف يتم تمثّل المعاني أهم ما ركز عليه لايكوف في الطّرح التجريبي ومثّل كتابه الاستعارات التي نحيا بها إلى جانب الباحث مارك جونسون ثورة علميّة في هذا المجال بعده واحدا من الأطر النظريّة ضمن الدلالة العرفانيّة، وتجلّى ذلك من خلال ما اصطلح عليه بالاستعارة التّصوريّة أو المفهوميّة، فبناء المعنى هو بناء تصورات والمعنى هو تجلّ للبنية التّصوريّة-معارضا بذلك النظريّة الكلاسيكيّة والتي كانت تعتمد على حرفيّة المعاني - ولا يتحقق ذلك إلّا عن طريق التّفاعل بين العالم

والجسد «فلا وجود للمعنى أو للخيال أو لأشدّ مفاهيمنا تجريدا خارج الجسد أو خارج إدراكنا المتجسد للواقع»⁽⁴²⁾

فالتّجربة أو الخبرة شرط ضروري لفهم العالم من حولنا «فنحن ندرك العالم ونفهم الأشياء من حولنا انطلاقا من الزّمان والمكان، فمكان الإدراك ومسافة الإدراك وطريقة الإدراك وزاوية الإدراك هي التي تحدّد طبيعة فهمنا للشّيء المدرك»⁽⁴³⁾

والاستعارة المفهوميّة تمثّل جزءا من تفكيرنا فهي تبين تصوّراتنا وتجاربنا وتعطيها معنى وهي أساسا «وسيلة لتصوير شيء ما من خلال شيء آخر ووظيفته الأولى الفهم»⁽⁴⁴⁾ حيث يرى كل من لايكوف وجونسون في كتابهما الاستعارات التي نحيا بها- واللذان يتبنّيان التّصوّر التجريبي للمعرفة - «أنّ النّسق التّصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعاريّة بالأساس»⁽⁴⁵⁾

وكما أنَّ الاستعارة المفهوميّة لا تتمثّل من خلال اللّغة وإنما تتجسّد من خلال الطّريقة التي تُفهمُ بها مجالا عرفانيا ما يستدعي حضور مجال عرفاني ذهني ثان وهو ما أكّده جورج لايكوف في كتابه النّظرية المعاصرة للاستعارة في قوله: «وموقعها-يقصد الاستعارة المفهوميّة-ليس في اللّغة على الإطلاق إنما في الكيفيّة التي تُفهمُ بها مجالا ذهنيا ما لمجال آخر». (46)

إنّ نسق التّفكير استعاري في جانب كثير منه إذ يحدث أنّنا نفهم مجالا تصوّريا ما عن طريق آخر من خلال شبكة من العلاقات أو التّرابطات التي تسمى إسقاطات والتي تعني «نمطا من الرّابطات بين فضاءات ذهنيّة منفصلة تقوم على سيرورة بناء المعنى». (47) حيث يساهم هذا الطّرح في تحديد المعنى وفهم مضامينه لدى الفرد. فقدرتنا على فهم العالم الخارجي وإدراكه من خلال التّجربة

والاستعارات التي نحياها بمثابة تحديد للمعنى، وبناء له في نظر لايكوف وجونسون؛ حيث «أنّ جل التّصورات تفهم جزئيا بواسطة تصورات أخرى». (48)

الخاتمة:

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أنّ هناك الكثير من المصطلحات اللّسانية العرفانيّة التي تتدرج ضمن هذا المجال، و التي يمكنها أن تكون محل دراسة، غير أن المجال لا يتّسع هنا للتّطرق لها، فتبقى بذلك مجالا خصبا لدراسات لاحقة نتمنّاها كما نتمنّى أن يتبع هذا العمل البسيط بأبحاث أخرى تتناوله بشكل أعمق وأدق.

الهوامش والاحالات:

(1) عبد الجبار بن غربيّة: مدخل إلى النّحو العرفاني، ص: 25

(2) المرجع نفسه: ص 26

(3) المرجع نفسه: ص 26

- (4) المرجع نفسه: ص 26
- (5) الأزهري الزناد: نظريات لسانية عرفية، ص: 44
- (6) المرجع نفسه، الصقحة نفسها.
- (7) ينظر: الأزهري الزناد، نظريات لسانية عرفية، ص: 44.
- (8) المرجع نفسه، الصقحة نفسها.
- (9) المرجع نفسه، ص: 47
- (10) المرجع نفسه، ص: 49
- (11) المرجع نفسه، ص: 47
- (12) المرجع نفسه، ص: 47
- (13) المرجع نفسه، ص: 47
- (14) الأزهري الزناد: نظريات لسانية عرفية، ص: 50-51
- (15) المرجع نفسه، ص: 46
- (16) رأي جاكندوف: علم الدلالة العرفاني، ص: 10
- (17) رأي جاكندوف: علم الدلالة العرفاني، ص: 10
- (18) المرجع نفسه، ص: 11
- (19) المرجع نفسه، ص: 13
- (20) المرجع نفسه، ص: 14
- (21) المرجع نفسه، ص: 14
- (22) المرجع نفسه، ص: 15
- (23) الأزهري الزناد: نظريات لسانية عرفية، ص: 46-47
- (24) ينظر: الأزهري الزناد، نظريات.....ص: 46
- (25) عبد الجبار بن غريية: مدخل إلى النحو العرفاني، ص: 47

- (26) المرجع نفسه، ص: 34
- (27) المرجع نفسه، ص: 36
- (28) المرجع نفسه، ص: 36
- (29) المرجع نفسه، ص: 36
- (30) المرجع نفسه، ص: 36
- (31) 29- المرجع نفسه، ص: 28
- (32) الأزهر الزنّاد: نظريات.....ص: 102
- (33) عبد الجبار بن غريّة: مدخل إلى النّحو العرفاني، ص: 34
- (34) المرجع نفسه، ص: 28
- (35) الأزهر الزنّاد: نظريات.....ص: 98
- (36) عبد الجبار بن غريّة: مدخل إلى.....ص: 29
- (37) الأزهر الزنّاد: نظريات.....ص: 98
- (38) المرجع نفسه، ص: 100
- (39) ينظر المرجع نفسه، ص: 100 و 101
- (40) المرجع نفسه، ص: 102
- (41) المرجع نفسه، ص: 103
- (42) المرجع نفسه، ص: 105
- (43) محمد الصّالح البوعمراني: دراسات نظريّة و تطبيقيّة في علم الدّلالة العرفاني ص: 91
- (44) المرجع نفسه، ص: 8-9
- (45) جورج لايكوف و مارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ص: 56
- (46) المرجع نفسه، ص: 21

- (47) جورج لايكوف: النظرية المعاصرة للاستعارة، ص: 8
- (48) عبد العالي العامري: الاستعارة التصويرية وبناء المعنى في ضوء اللسانيات المعرفية، ص: 39
- (49) جورج لايكوف: الاستعارات التي نحيا بها، ص: 77

قائمة المصادر والمراجع:

- 1-الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفية، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار محمد علي للنشر منشورات الاختلاف، تونس، جوان، 2009.
- 2-جورج لايكوف: النظرية المعاصرة للاستعارة، ترجمة: طارق النعمان (الدراسة جزء من كتابه الاستعارة والفكر، ط: 1993، 2).
- 3-جورج لايكوف و مارك جونسون: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبدالمجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط: 1، 1996، ط: 2، 2009.
- 4-عبد الجبار بن غربية: مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنشر والتوزيع، كلية الآداب والفنون والانسانيات بمنوبة، تونس ط: 1، 2010.
- 5-عبد العالي العامري: الاستعارة التصويرية و بناء المعنى في ضوء اللسانيات المعرفية، عالم الكتب الحديث، المغرب، الأردن، 2018.
- 6-راي جاكندوف: علم الدلالة العرفاني، ترجمة: عبد الرزاق بنور، مراجعة مختار كريم، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010.

مقاربة المعنى في علم الدلالة العرفاني.

د. هشام فرّوم.

د. محمد رضا بركاني.

ج. الشاذلي بن جديد الطارف.

الملخص:

يبحث علم الدلالة العرفاني عن المجال المعرفي والتّصوري للعقل البشريّ في تعامله مع العالم وكيفية تفاعله مع المحيط الخارجيّ والمدرّكات الموجودة فيه، ويركّز أيضا على التّمثيلات الذهنيّة والسيرورات الإدراكيّة، من خلال مداخل للمعنى تمثّل دعائمه الأساسيّة، يبحثه عن ماهيّة العقل والنّظام المفهوميّ وكيفية انتظام هذا النّظام وكيفية إعطاء معنى وقيمة دلاليّة للتّجربة البشريّة في العالم الطّبيعيّ وفي الفضاء الاجتماعيّ والتّقافيّ، وربط هذه التّجربة باللّغة والفكر؛ من منطلق أن بناء المعنى (البنية التّصوريّة) نابع من التّجربة الإنسانيّة، ولا سيّما التّجربة الجسديّة أو الحسيّة.

وفي هذا السّياق سنحاول من خلال هذه الورقة البحثيّة تبیین وظيفة المعنى ومصدره في نظريّة الدلالة التّصوريّة. ويأتي هذا التّصوّر بناءً على مفهوم المعنى في هذه النظريّة: (تمثيلات ذهنيّة مبنية في صورة تنظيم معرفيّ هو البنية التّصوريّة وهي ليست جزءاً من اللّغة، وإنّما هي جزء من الفكر).

تقديم: لا ينكر أحد أنّ الدّراسات والأبحاث اللّغويّة لها قابليّة التّطوّر والتّغيّر والنّموّ، على غرار بقيّة العلوم الأخرى التي تسير وفق قانون طبيعيّ يتماشى والنّماء الحيّاتي والتّفكيري لدى بني البر، واستجابة لهذا المبدأ في مجال اللّسانيّات

الحديثة برز اتجاهها معاصرا يبحث في أعماق الفكر البشري والمنظومة المفهوميّة التي شهدت قبل هذا التّوجه الجديد قلقا معرفيا ومنهجيا. عُرِف هذا الاتجاه اللّساني الحديث في اللّسانيّات الغربيّة بـ (علم اللّسانيّات العرفانيّة) الذي انبنى أساسا على التحليل المفهومي والتّصوّرِيّ لأنظمة اللّغويّة المستعملة، وطرح أوراقا تتأسّس على المنطق العقلي والتّصوّر الذّهنيّ والإدراك والفهم والربط بين الوعي والواقع، وهي بذلك ترمي إلى معرفة كيفيّة عمل آليّة التّفكير، وتلك العمليّات العقليّة التي تسبق الإنتاج اللّغويّ.

فالمسألة إذن لا تختزل في مجرد ظهور تيار لساني جديد، يبحث عن مكانة في تاريخ الدّراسات اللّغويّة، بقدر ما هي مسعى حقيقي لفهم الظّاهرة اللّغويّة والكشف عن أسرارها وفك ما أبهم على السّابقين منها.⁽¹⁾

وتمثّل اللّسانيّات العرفانيّة الوريث الشرعي لتراث قديم، يعود إلى ما قبل هيمنة السلوكيّة في علم النّفس منتصف القرن العشرين التي منها حرر العلم الإدراكي الكلاسيكي (الجيل الأوّل) علوم العقل. هذا التّراث الأقدم الذي تركّز في علم النّفس ولكنّه أخذ بكثافة في علم الأحياء واللّسانيّات والفلسفة والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع.⁽²⁾ وقد قيل أيضا أنّ اللّسانيّات الإدراكيّة (العرفانيّة) ذات ماضٍ طويل وتاريخ قصير ويتداخل ماضيها الطّويل بشكل ملحوظ مع ماضي الفلسفة، وعلم النّفس، والإدراكيّات.

أولا- اللّسانيّات العرفانيّة:

1- النّشأة:

ترتبط اللّسانيّات العرفانيّة، من وجهة نظر تاريخيّة، بمجموعة من الأعمال التي ظهرت على الخصوص ابتداءً من منتصف السّبعينات على يد أمثال روش (1977) Rosch ولايكوف (1982) Lakoff وجونسون (1980) ولنفيكر (1987)

Langacker وتالمي (2000) Talmy وفوكونييه (1984) Fauconnier وراي جاكندوف⁽¹⁾ Ray Jack-enoff وآخرين.⁽³⁾ وكلّها أعمال تلتقي، رغم اختلافها، في مجموعة من الأسس والمبادئ النظريّة والمنهجية التي تعتبر الظاهرة اللغويّة ظاهرة نفسيّة ذهنيّة لا يمكن فهمها إلّا في علاقتها بباقي الظواهر الذهنيّة الأخرى المرتبطة بطبيعة المقولة البشريّة وبمختلف الاستراتيجيات الإدراكيّة والمعرفيّة التي تحدّد صلة الإنسان بعالمه.⁽¹⁾ واحد من رواد اللسانيّات العرفانيّة تتلمذ على يد نوام تشومسكي كباقي رواد هذا التّوجه الجديد، وهو ما يؤكّد أنّ اللسانيّات العرفانيّة لم تحدث قطيعة مع ما جاء به تشومسكي، بل هي امتداد لأفكاره وآراءه، مع ترك هامش لإمكانيّة الانفصال عن آرائه والتّفرد بالجديد من الآراء فإنهم حتماً -ولو على سبيل الفرض العقلي- قد وظّفوا شيئاً ممّا تعلّموه عن تشومسكي في أبحاثهم التي تخصّ اللسانيّات العرفانيّة، وهذا من منطلق أن المعرفة تراكميّة ولا تأتي من فراغ، وبالتالي حتميّة الاستعانة أو الاعتماد على أفكار تشومسكي وارد جداً.⁽⁴⁾

ولعلّ البداية الفعلية بشكل دقيق تعود إلى سنة 1975 وهي السّنة التي استخدم فيها لايكوف مصطلح (اللسانيّات العرفانيّة) للمرة الأولى، ثمّ تلتها مرحلة مهمّة جداً في التّأسيس المعرفي لهذا التّخصص تمثّلت في تعاونه مع الفيلسوف (مارك جونسون) Mark joohnson سنة 1979، وكان نتاج هذا التّعاون ظهور كتاب (الاستعارات التي نحيا بها) سنة 1980.

ثمّ تلتها نشاطات كثيرة ساهمت في بلورة هذا التّخصص وإخراجه للعالم في صورة واضحة تمثّلت في كتابات لايكوف ولانفيكر وتالمي، وهذا ما ساهم في بعث جمعيّة اللسانيّات العرفانيّة العالميّة سنة 1989 ثمّ مجلّتها سنة 1990، وذلك بعد عقد تقرّيباً من بعث مجلة العلوم العرفانيّة (1977) وتأسيس جمعيّة العلوم العرفانيّة بأمريكا (1979).⁽⁵⁾

2- الماهية:

اللّسانيّات العرفانيّة جزء من مجموعة المباحث اللّسانيّة المسماة المباحث الإدراكيّة أو العرفانيّة والتي تشتمل على مجموعة الجهود البحثيّة التي تعتبر اللّغة ملكة ذهنيّة وإدراكيّة. يقول بول كوبلي: (كلمة المعرفي (تعني أن لها علاقة بالتّفكير) لذلك يمكن أن يُفهم علم اللّغة المعرفي بمعناه الواسع على أنّه دراسة اللّغة في علاقتها مع الفكر).⁽⁶⁾

وهي تيار لساني حديث النّشأة، يقوم على دراسة العلاقة بين اللّغة البشريّة والذهن والتّجربة بما فيها الاجتماعيّ والماديّ البيئي؛ أي: العلاقة بين اللّغة+الذهن+ التّجربة (الاجتماعيّة والماديّة والبيئيّة). فإذا كانت النّظريّة التّوليديّة تقوم على أساس النّحو الكوني؛ الذي ترى أنّه مركّز في عضو ذهني من الدّماغ مخصوص هو اللّغة وخلافا لهذا الرّأي يذهب التيار العرفانيّ إلى تجذر تلك المبادئ الكونيّة في الملكة العرفانيّة، فينتفي بذلك وجود عضو ذهني مخصوص باللّغة، فاللّغة مثل سائر الأنشطة الرّمزيّة إنّما هي وليدة نشاط عرفاني مركّز في المولدة العرفنيّة العامّة التي تمثّل نشاط الدّماغ عضوا ماديا.⁽⁷⁾

إنّ اللّسانيّات العرفانيّة ليست نظريّة منغلقة على نفسها بل هي نظريّة مفتوحة تكسب قوتها وتماسكها من انفتاحها على علوم كثيرة أهمها علم النّفس؛ حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات النّفسيّة التي تهتم بعمل الدّماغ ومتابعة العمليّات العقليّة المختلفة التي تتصل بالمعرفة الإنسانيّة والإدراك بشكل عام، ولا يقبل أصحاب هذا الاتجاه في دراسة اللّغة، على اختلاف منطلقاتهم القول باستقلاليّة النّظام اللّغو، فهم يرون أنّ لا انفصال بين المعرفة اللّغويّة والتّفكير بشكل عام.⁽⁸⁾

وعليه غدا واضحا أنّ اللّسانيّات العرفانيّة في الآليّات التي يعمل بها الدّماغ/ الذّهن البشري لتوليد المعرفة واللّغة، في سياقات تكامليةّ مستفيدة من كلّ العلوم وثيقة الصّلة بهذه الغاية كعلم الأعصاب والتّشريح والرياضيات والحاسوب واللّسانيّات.

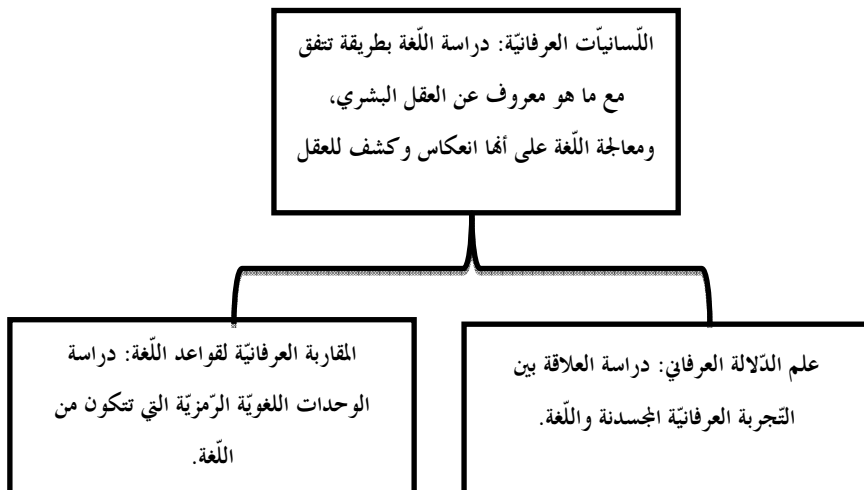
والمعرفة اللّغويّة في هذا التيار (جزء من الإدراك العقلي الذي لا يميّز بين المعلومات اللّغويّة والمعلومات غير اللّغويّة، والذي يتأثّر، وبقوة، بمحيط الإنسان وتجاربه اليوميّة المختلفة، فالعملية العقلية التي تتحكّم في التّفكير الإنساني وفي تكوين المعرفة بشكل عام هي نفسها التي تتحكّم في المعرفة اللّغويّة وفي تشكيل البنية اللّغويّة العامّة بمستوياتها المختلفة، فهناك مستوى واحد تعالج فيه المعلومات اللّغويّة والمعلومات الأخرى الحركيّة والبصريّة والسّميّة غير اللّغويّة للوصول إلى مجموعة من العلميّات لا ينبغي التّمييز داخلها بين ما هو لغويّ وما هو غير لغوي⁽⁹⁾، وجميع هذه العلميّات الذّهنيّة تتمّ على مستوى البنية التّصوريّة، والتي هي (ليست جزءا من اللّغة في حدّ ذاتها، إنّما هي جزء من الفكر، إنّها المحلّ الذي يتمّ فيه فهم الأقوال اللّغويّة في سياقاتها، بما في ذلك الاعتبارات الذّريعيّة والمعرفة الموسوعيّة؛ إنّها البنية المعرفيّة التي ينبني عليها التّفكير والتّخطيط⁽¹⁰⁾).

كما أنّ (مبادئ البنية التّصوريّة تنسحب على معرفتنا بكلّ أنواع الدّلائل واستعمالها، فهي تتعلّق بتجاربنا الفكريّة والجماليّة والحسيّة مع اللّون والحجم والهيئة والصّوت، ... إنّها تهّم مختلف أنساقنا المعرفيّة والإدراكيّة⁽¹¹⁾). وعليه تمتلك اللّسانيّات العرفانيّة بهذا الطّرح الجديد المتجدد إمكانيّة كبرى تسهم في نظريّة اللّغة تتجاوز الإدراك، وكذلك نظريّة في الإدراك تتجاوز اللّغة.

وأهم ما تتميز به اللسانيات العرفانية عن الاتجاهات الأخرى في حقل اللسانيات، سواء ذوي النزعة الصورية أو النزعة الوظيفية، من خلال هذين الوجهين:

أولاً: أنها تأخذ بصفة جدية الدعامة العرفانية للغة، وهو ما يسمّى بالالتزام العرفاني. فاللسانيون العرفانيون يحاولون وصف ونمذجة اللغة في ضوء براهين متجمعة من علوم الذهن والعلوم العرفانية الأخرى.

ثانياً: يلتزم اللسانيون العرفانيون بالتعميم؛ أي التزام وصف المبادئ التي تشكل المعارف اللغوية وطبيعتها بوصفها محصلة لمقدرات معرفية عامة. وسنحاول توسيع النظر في مضمون الالتزامين في عنصر علم الدلالة العرفاني.



دراسة المعنى والنحو في اللسانيات العرفانية⁽¹²⁾

3-الفرضيات والأسس:

1.3- الفرضيات: تقدّم اللسانيات العرفانية ثلاثة فرضيات يسترشد بها الإطار

اللساني في التعامل مع اللغة؛ وهي:⁽¹³⁾

1. اللغة ليست قدرة إدراكية منفصلة أو مستقلة عن بقية القدرات الأخرى..

2. النحو هو عملية خلق للمفاهيم، ممّا يعني أنّ اللغة رمزية بتطبيقها، أي أنّ "القواعد اللغوية تمثّل نوعاً من التجريد يبني مفاهيم وتصورات.

3. المعرفة باللغة تأتي من الاستعمال اللغوي.

وعليه يمكن القول إنّ اللسانيات العرفانية تركّز على التمثيلات الذهنية والسيرورات العرفانية في الدماغ، وأنّها بدأت مؤخراً في النظر إلى الخطاب، والفرضية الثالثة توفر فرصاً كثيرة للسانيات عموماً في معالجة الطبيعة الاجتماعية التفاعلية للغة من المنظور التداولي العرفاني الذهني، وذلك لأنّ الاستعمال هو تفاعل اجتماعي، والمتكلمون يستعملون خبراتهم من أجل توصيل تلك الخبرات إلى الآخرين.

2.3- الأسس: تقوم اللسانيات العرفانية على أسس نظرية تحدّد طبيعة التّصور

النظري في نهجها المعرفي؛ (بوصفها بحثاً دراسياً قائم الذات)،⁽¹⁴⁾ تتكوّن من أسس لا تخرج جميعها عن فكرة أنّ اللغة معنى بالدرجة الأولى. وتتجلى هذه الأسس في الأطروحات الآتية ذكرها:

1. المعنى ديناميكي ومرن، لذا لا حاجز بين الدلالة والتداولية، فيجب أن ننظر

إلى المعنى بوصفه متأصلاً في التجربة؛ ممّا يعني أنّ المعنى اللغوي يتكامل مع جوانب التجربة أو الخبرة الأخرى، ويعدّ هذا الأمر تغييراً جوهرياً في المجرى

العام للدرس اللساني الذي ساد في القرن العشرين؛ إذ كان ثمة اتجاه عام لغرض التمييز التركيبي للغة ومستوى الاستعمال وهو التمييز الذي مثلته ثنائية دوسوسير (اللغة والخطاب).

2. تنطلق اللسانيات العرفانية من مسلمة ذهنية مفادها أن اللغة الطبيعية بنية معلومان مرمزة في الذهن البشري، أو هي تمثيل ذهني، وهي بذلك تحيل على عالم مسقط ناتج عن هذه البنية ووليد التنظيم الذهني المذكور.⁽¹⁵⁾ معنى ذلك أن الهدف من هذه النظرية هو توضيح الكيفية التي ترتبط بها اللغة والعالم ببعضها في الذهن البشري، لتبيان الصورة التي يتعالق به التمثيل الذهني للجمل والتمثيل الذهني للعالم.

3. القدرة التأليفية التوليدية التي تنفرد بها اللغة الطبيعية؛ أي قدرة المتكلم على خلق عدد لا محدود من الأقوال وفهمها انطلاقاً من التأليف - اعتماداً على مبادئ معينة منها التألف - بين عناصر محدودة.

ثانياً: علم الدلالة العرفاني:

بحكم أن المكون الدلالي كان ذا حضور باهت في المقاربات اللسانية السابقة للعرفانية، تغيرت المقاربة وحظيت الدلالة بحضور لافت في الفكر اللساني العرفاني المقصود منه تحسين كفاءة النظرية اللغوية في فهم اشتغال اللغة، ومن هذا المنطلق اتسع فضاء الدلالة عند العرفانيين.

يقول محمد صلاح الدين الشريف معلقاً: (فإن الشرخ الذي أحدثه التوليديون الدلاليون بانفصالهم عن النظرية المعيارية ازداد اتساعاً بظهور نظريات عرفانية أخرى لا تقوم على مفهوم مركزية التركيب الإعرابي في الربط بين اللفظ

والمعنى، بل تقوم على اعتبار الدلالة أو التصورات والعلميات الذهنية أساس الأبنية اللفظية سواء أكانت صوتية أو صرفية معجمية أم كانت إعرابية أو تداولية⁽¹⁶⁾.

بهذا الطرح يكون المعنى بوصفه الجانب المتحقق من الدلالة تجاوز عند العرفانيين المعنى المعجمي والمعنى المنقوم بالسّمات الدلالية المجردة باستقراء الاستعمال، ليصبح عملية فكرية تتشكّل بمقتضاها صورة من الصّور الذهنية.

1- الماهية:

يعد علم الدلالة العرفانيّ من أحدث وأهمّ المباحث اللسانية في اللسانيات العرفانية؛ يهتم بالجانب العقليّ والعمليات الذهنية والقدرات العرفانية المساعدة في عملية تحليل الكلام، وفهم فحواه.

ويعدّ كلّ من اللسانيين لايكوف وتايلر ولانقيكر من رواده الأوائل؛ لأنهم أصدروا في أوائل السبعينات كتابات ومقالات حملت توجهات عرفانية أولية مهدت السبيل لبزوغ هذا المنهج الدلالي⁽¹⁷⁾.

ويشكل علم الدلالة العرفاني مستوى من مستويات اللسانيات العرفانية؛ الذي يهتم بالجانب العقلي والعمليات الذهنية والقدرات الإدراكية المساعدة في عملية تحليل الكلام، وفهم فحواه، من منطلق أنّ (اللسانيات العرفانية لها علاقة باللسانيات النفسية واللسانيات الذهنية والمهارات العرفانية وفلسفة الذهن والذكاء الاصطناعي وعلم النفس العرفاني، ولها تحقق في ظواهر عرفانية وذهنية كثيرة)⁽¹⁸⁾.

وقد أكد علم الدلالة العرفاني أنّ (المعرفة اللغوية جزء من الإدراك العام)، وعليه لا يجوز الفصل بين المستويات اللغوية، وأنّ التحليل اللغوي يجب أن يتخطى الحدود الفارقة المرسومة بين هذه المستويات؛ لذا فإنّ الاختلاف القائم بين

اللغة كونها نتاجا عقليا، وبين الأفعال العقلية الأخرى، اختلاف في الدرجة وليس في النوع، مما يستدعي انصهار القدرة اللغوية في القدرات العقلية الأخرى.

وهذا ما أكد عليه جل المهتمين بهذا التوجه اللساني؛ في أن الفصل بين المستويات اللغوية قد يكون وسيلة نافعة للوصف العملي؛ إلا أنه يضرّ بالمفهوم العام للغة، فعل سبيل المثال، لا يمكن أن يستقل النحو عن الدلالة أو التداولية، ولا يمكن تفسير النماذج النحوية باستعمال النماذج النحوية المجردة، وإنما من خلال مقصدية المتكلم ومرداه من ذلك الكلام في سياق معين، وبهذا تهدف الدلالة العرفانية إلى أن تعيد الدلالة إلى خضم النحو، ليكون النحو نحواً دلالياً لا شكلياً معيارياً، لرؤيتهم القائمة على أن العقل هو أساس اللغة، ويستحيل ضبط اللغة بالقواعد المجردة، بل بالمواقف والاستعمالات المختلفة اللتين تحددان الدلالة المرادة، وهذا ما دفعهم إلى ربط الدلالة بالتداولية وبالنحو؛ أي المزج بين جميع المستويات اللغوية.⁽¹⁹⁾

وقد برهن اللسانيان لايفوف وجونسون على أن الاستعارات والمجازات والفنون البلاغية برمتها حاضرة في مناحي التفكير الذهني وفي كل مجالات الحياة اليومية، وغير مقتصرة على اللغة الأدبية والزخارف البلاغية والخيال الشعري.⁽²⁰⁾

بمعنى أنها انتقلت من النظر إليها على أنها ظاهرة لغوية تتجسد في كونها محض اختيار أسلوبى، إلى النظر إليها على أنها ظاهرة عرفانية مرتبطة بطرق عمل الذهن البشري في إنشاء أنساقه التصورية، وتشفير بناء ونماذجه المعرفية.⁽²¹⁾

وتتجسد أهم الأهداف التي تتوخى نظرية الدلالة العرفانية (الدلالة التصورية) تحقيقها هو إعادة إدماج النحو التوليدي، بما في ذلك نظرية الدلالة في العلوم العصبية والمعرفية بكيفية تجعله يتلاءم بصورة طبيعية مع الهندسة الواسعة للذهن

/ الدماغ، وذلك وفاءً بوعده قطعه اللسانيات التوليدية على نفسها منذ كتاب تشومسكي (مظاهر النظرية التركيبية) سنة 1965 الذي جاء فيه: (لنلاحظ أننا لا نقصد طبعاً أن وظائف اكتساب اللغة تنجزها مكونات منفصلة تمام في الذهن المجرد أو الدماغ الفيزيائي، .. وبالفعل فمن مشاكل علم النفس الهامة أن نحدّد إلى أيّ حدّ تقتسم مظاهر أخرى للمعرفة خصائص اكتساب اللغة واستعمالها، وأن نحاول في هذا الاتجاه تطوير نظرية للذهن أغنى وأوسع).⁽²²⁾ معنى هذا أن القيمة المركزية للدلالة عند العرفانيين تكمن من (النظر للنحو لا باعتباره مجموعة من الآليات التي تسمح بإنتاج تراكيب سليمة، وإنما على أنه قائمة من الأبنية الاصطلاحية التي تسمح بتصنيف المعاني والدلالات، وبذلك يصبح النحو مجرد دراسة للعلاقات التي تربط بين متتاليات ودلالات)⁽²³⁾. وهكذا يفقد التركيب منزلة المكوّن التوليدي المركزي في الجهاز الوصف للغة، بحكم أن اللغة (عند العرفانيين وعند رونالد لانفيكر بصفة خاصة، مسترسل من الأبنية الرمزية. وكلّ الوحدات اللغوية، ما كان منها معجمياً أو صرفياً أو تركيبياً، وحدات رمزية تربط بين قطب دلالي وقطب فونولوجي، ولا يمكن الفصل بين مختلف مستوياتها)⁽²⁴⁾.

وبهذا التوجّه أصبحت التركيبية عبارة عن الاشتغال بظواهر لا تتفصل عن بقية الظواهر اللغوية الأخرى لأنها تسهم مجتمعة في بناء المعنى وتشكله.

2- النظريات:

فيما يلي تسليط الضوء على بعض النظريات الدلالية التي تستند إليها الدلالة العرفانية في تفسير الآليات العرفانية أو العقلية لإنشاء المعنى.

1.2- نظرية المخطط الصوري: تنسب هذه النظرية إلى اللساني هامب Hampe وتركّز أهم مبادئها على اعتبار الصّور البلاغية صوراً مجازية معتمد على صوّر

يرسمها العقل البشري حسب الوسائل الماديّة المحسوسة لاستيعابها، فعلى سبيل المثال، تصوّر الكرم والسّخاء في أرقى تمثيلاته وأبلغها يكون تشبيهه صاحبه بالبحر أو شخصيّة معروفة بالكرم اللامتناه، مثل (حاتم الطائي)، وفي ضوء هذا المنهج يكون هناك (الحقل أو المجال/ الهدف) الذي يتمثّل في النّماذج العقليّة المجرّدة، و(الحقل أو المجال/ المصدر) الذي يتجسّد في الفضاء الواقعي الملموس الأساس، يُربط بينهما في نطاق الصّور الاستعاريّة لإدراك المصدر وصولاً إلى الهدف الإدراكيّ العقلي.⁽²⁵⁾ هذا التّدخل بين الحقلين يهدف إلى مضاعفة المعنى ومن ثمّ تكون الاستجابة إنتاج نص آخر من خلال مقارنة ملموسيّة الحقل المصدر وتجريديّة الحقل الهدف.

2.2- نظريّة الأحياز العقليّة: ترجع للساني فوكنر Fokner، وتتلخّص ماهيّة هذه النّظريّة وحدها في أنّ صناعة المعنى يكون بالانتقال من العالم الواقعي إلى العالم الذّهني أو الصّوري، وتجليّات هذا النّمط في اللّغة كثيرة، من أبرزها أسلوب الشّروط والتّمني؛ فمثلاً: حينما يقال (لو سعيّت بلغتْ مُناك)، يكون بلوغ المعنى أمراً ذهنيّاً غائب عن الواقع الملموس⁽²⁶⁾، لذلك فإنّ أغلب الأساليب البلاغيّة ولا سيما (فنون البيان) ما هي إلّا استراتيجيات وآليّات وميكانيزمات ذهنيّة، بها يدرك الإنسان معنى الأشياء من حوله.

3.2- نظريّة الأطر الذّهنيّة: صاحبها فيلمور Fillmore، ويقد بها أنّ المفهوم الواحد يحتوي على مجموعة أطر، فعملية إنشاء المعنى قائم على تطير المفاهيم المشتركة، والإنسان يدرك مفهوماً واحداً لمفاهيم مقترنة به، وهذا ما سمّاه القدماء بدلالة التّضمن.⁽²⁷⁾

4.2- نظرية المجاز المعاصر: وهي نظرية منبثقة من توجه لايفوف Lakoff،

المعرفي من خلال كتابه (المجاز الذي نحيا به The Metaphor Live by)، وهذا الكتاب يؤكد أن اللغة كلها مجاز واسع حيث أدرك لايفوف أن الصور البلاغية كالاستعارة والكنائية، ليست فقط مجرد تنميقات لغوية، أو الأسوأ من ذلك، انزياحات، بل هي جزء من الكلام اليومي الذي يؤثر على طرائق الإدراك والتفكير.⁽²⁸⁾ كما أن أغلب المفاهيم الفلسفية مبنية - في تصور لايفوف- استعاريا.⁽²⁹⁾ والاستعارة ليست خاصة باللغة وإنما بالفكر، وأنها ليست زخرفا كما تذهب إلى ذلك التناولات البلاغة التقليدية.⁽³⁰⁾ وبهذا لا ينحصر المجاز في كونه أسلوبا جماليا أدبيا بليغا، فهو أوسع من ذلك؛ هو عملية ذهنية إدراكية بحثة، ذلك أن منظومتنا الذهنية الأساسية هي في الأساس ذات طبيعة استعارية.

لهذا اعتبرت اللسانيات العرفانية الاستعارة سمة مركزية في اللغة الطبيعية، وهي أداة أساسية في إنتاج المعاني وتوسيعها كما جاء في قول جون لاينز J.Loyns: (إن القدرة على توسيع معنى الوحدات المعجمية عن طريق عملية تحويل استعارية تعدّ جزءا لا تجزأ من الكفاءة اللغوية لدى المتكلمين).⁽³¹⁾ وهذا ما نصّ تشومسكي وجعله منطلقا ديناميكيا لنظريته التوليدية التحويلية، والتي أعادت الاعتبار للمتكم المستمع المثالي؛ حيث تشيد هذه النظرية بعنصر الكفاءة اللغوية، وعالمي الخلق والإبداع اللذين ينتجهما المتكلم، واللذين يتميزان بهما كل إنسان عاقل وواع.

ثالثا: مداخل المعنى في اللسانيات العرفانية:

تعدّ الدلالة العرفانية من النظريات التي انبثقت ضمن ما بات يعرف باللسانيات العرفانية المنبثقة بدورها ضمن الإطار العام للعلوم العرفانية؛ التي يتخصص المعنى وفق منظورها، باعتباره تمثيلات ذهنية مبنية في صورة تنظيم معرفي هو

البنية التصورية، التي لا تمثل جزءا من اللغة في حد ذاتها، وإنما هي جزء من الفكر. إنها المحل الذي يتم فيه فهم الأقوال اللغوية في سياقاتها، بما في ذلك الاعتبارات الذرية، والمعرفة الموسوعية؛ إنها البنية المعرفية التي يبنى عليها التفكير والتخطيط. فيعتبر هذا المستوى المفترض للبنية التصورية المقابل النظري لما يسميه الحس المشترك (المعنى).⁽³²⁾

وعلى عكس المقاربات اللسانية الشكلية التي غالبا ما تؤكد دور النحو، تؤكد اللسانيات العرفانية على دور المعنى. ووفقا لوجهة النظر العرفانية، فإنه يجب أن يتم تحديد نموذج للمعنى (الدلالات العرفانية) قبل أن يتم تطوير نموذج عرفاني كافٍ من قواعد اللغة، ومن ثم فإن القواعد العرفانية تفترض الدلالات العرفانية وتعتمد عليها وذلك لأن القواعد التي يتم النظر إليها ضمن الإطار الإدراكي كنظام هادف في حد ذاتها، وبذلك فهي تشترك في خصائص مهمة مع نظام المعنى اللغوي، ولا يمكن فصلها بشكل هادف عنه.

وفي سياق آخر يعرف إيفنس الدلالة العرفانية في مسرده بكونها فعلا يهتم بالبحث في العلاقة بين التجربة؛ النسق التصوري، والبنية الدلالية التي تشفرها اللغة.⁽³³⁾ لهذا يعمل الدارسون في الدلالة العرفانية على وجه الخصوص بالبحث في طريقة تمثيل المعارف (البنية التصورية) وبناء المعنى (بناء التصور). والتي يمكن تمثيلها في عدد من الافتراضات أو المداخل، التي سيأتي ذكرها وتحليل مضامينها بعد تناول التزامين هامين يمثلان الرافد الأساسي لهذه الافتراضات أو المداخل؛ هما: الالتزام بالتعميم

Generalisation Commitment والالتزام العرفاني The cognitive Commitment.

هذان الالتزامان جاء ذكرهما في بحث مهم لجورج لايكوف وهو أحد الشخصيات الرائدة في اللسانيات العرفانية؛ حيث أن مشروع هذا التخصص الجديد متميز بهاذين الالتزامين وعرفهما على النحو الآتي:

1. **الالتزام بالتعميم:** هو الالتزام بتوصيف المبادئ العامة المسؤولة عن جميع جوانب اللغة البشرية.

2. **الالتزام العرفاني:** هو الالتزام بتوفير توصيف للمبادئ العامة للغة التي تتفق مع ما هو معروف عن العقل والدماغ مع التخصصات الأخرى، ولا سيما العلوم العرفانية مثل الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب.⁽³⁴⁾

وفيما يلي الحديث عن مقارنة المعنى في علم الدلالة العرفاني والذي يكون من خلال عدد من المداخل:⁽³⁵⁾

1- **موسوعية تمثيل المعنى:** القصد بأن البنية الدلالية موسوعية بطبيعتها، وفق هذه النظرة يثبت علماء الدلالة العرفانيون أن المعنى الوصفي المقترن بكلمة مفردة يعد حادثاً فقط لعملية بناء المعنى؛ أي اختيار الترجمة المناسبة تبعاً لسياق الملفوظ. فكل كلمة (آمن) مثلاً، لها طبقة من المعاني، والمعنى الذي تختاره ينبثق كنتيجة للسياق أين تبرز الكلمة. لتوضيح هذه النقطة، ننظر في المثال الآتي في سياق لعب طفل على الشاطئ:

1. الولد آمن.

2. الشاطئ آمن.

3. المجرفة آمنة.

في هذا السياق، تأويل الجملة (أ) هو أن الولد لن يصيبه أي أذى. ومع ذلك، لا تعني الجملة (ب) أن الشاطئ لن يكون مؤذياً. بدلاً من ذلك، تعني أن الشاطئ

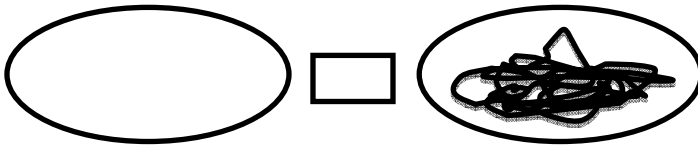
المحيط بالولد يكون خطره الذي يلحق بالولد في حدّه الأدنى. وبالمثل، لا تعني (ج) أنّ المجرفة لن تكون مؤذية، ولكن المعنى أنّها لا تسبب أذى لهذا الولد (وقد تكون نفس المجرفة مؤذية في سياق آخر كما الشاطئ). هذه الأمثلة توضح أنّ ما نقوم به هو ترجمة المعنى باختيار المعنى الذي يناسب سياق التّفظ.⁽³⁶⁾

معنى هذا أنّ صناعة المعنى تستدعي معرفة موسوعيّة وغير مقتصرة على المعرفة اللّغويّة فقط، كون أنّ المعرفة المجردة بالقوانين اللّغويّة ليست كافية لصناعة المعنى؛ لأنّ التصميم العام للغة لا يكمن في جهاز معيّن للقدرة على اكتساب اللّغة بل إنّ المبادئ العموميّة متجذّرة في العمليّة الإدراكيّة، وهذا ما دعا إليه الجرجاني بقوله: (إنّ النّظم يجب أن يكون بمقتضى باقي العقل).⁽³⁷⁾

وقد جسّد هذا التّصور لانقيكر في المخطط الآتي:⁽³⁸⁾

الدّالة القاموسيّة

الدّالة الموسوعيّة



وعليه فإنّ عمليّة خلق المعنى وصناعته تستوجب حضور كلّ مكوّنات العقل فالدّالة العرفانيّة هي نموذج للعقل أكثر ما هي نموذجاً للمعنى اللّغويّ.

2- البنية الدّلاليّة هي بنية تصوّريّة: ذلك أنّ الدّالة تؤسس لكلّ ممارستنا العرفانيّة والإدراكيّة، وتحكم نشاطنا الدّهنيّ واللّغويّ.

يؤكد هذا المبدأ أنّ اللّغة تحيل على تصوّرات في ذهن المتكلّم بدلا من الإحالة إلى الأشياء الموجودة في العالم الخارجيّ. بعبارة أخرى، البنية الدّلاليّة (المعاني المقترنة وضعيا بكلمات ووحدات لغويّة أخرى) يمكن أن تتكافأ مع التّصوّرات؛ أيّ الصّورة

الوضعية التي تتطلبها البنية التصورية من أجل أن تكون مشفرة في اللغة، وهذا لا يعني أن كل الأفكار والتصورات والأحاسيس هي قابلة للتفسير وضعيا في اللغة.⁽³⁹⁾

3- المجاز عملية ذهنية: فالمجاز عند العرفانيين هو جوهر المعنى والتفكير الإنسانيين، وهو الذي يبين جزءا كبيرا من نظامنا التصوري.⁽⁴⁰⁾ لذلك فإن أغلب الأساليب البلاغية ما هي إلا استراتيجيات وميكانيزمات ذهنية، بها يدرك الإنسان (متكلم/ مستمع) معنى الأشياء من حوله؛ إذ أن العقل البشري قاصر عن المدركات الحسية، لذا يلجأ إلى المجاز والتخييل لتقريب المفاهيم المجردة من المدركات الحسية وبهذا لا ينحصر المجاز في كونه أسلوبا جماليا رفيعا، فهو أوسع من ذلك؛ أي هو عملية ذهنية إدراكية بحثة.

ويتجسد هذا التصور الذهني للمجاز حين تبدأ بإدراك المعطيات المألوفة والعادية وتمثلها تملا ذاتيا وفنيا، ثم تنتهي بإعادة إنتاجها وتشكيلها في متكون ذهني ذي معطيات وعلاقات متغيرة في حضورها وجوهرها تتلمس في المتخيل المادي الجديد. وعند إدراك فحوى هذه العملية لا يستطيع متبعتها إقصاء دور العقل الفاعل قصديّة مرهونة بالخيال؛⁽⁴¹⁾ أي أن اعتماد العقل ركيزة مهمة في إدراك عملية التخييل. والذي من خلالها نحاول فهم العالم من حولنا وإدراكه بطريقة تسمح بالتواصل والتخاطب بيننا، وهذا فيه تأكيد على أن منظومتنا الذهنية الأساسية هي منظومة ذات طبيعة استعارية.

4- المعنى والتجربة الجسدية (المعنى المتجسد): يسعى أصحاب الدلالة العرفانية إلى اكتشاف طبيعة التفاعل البشري مع العالم الخارجي والوعي به، وبناء نظرية للبنية التصورية تتسجم مع الطرق والآليات التي نجرب أو نختبر من خلالها العالم. أي أن طبيعة التنظيم التصوري ينشأ من التجربة الجسدية، وبالتالي أحد الأجزاء التي تجعل للبنية التصورية مدلولاً هو التجربة الجسدية وما يرتبط بها.

بما أنّه لا وجود للمعنى والخيال بعيدا عن عالمنا المتجسد والمتحقق، فنحن ندرك العالم، ونفهم الأشياء من حولنا انطلاقا من حضورنا الجسدي في الزّمان والمكان فمكان الإدراك، ومسافة الإدراك، وطريقة الإدراك، وزاوية الإدراك، هي التي تحدّد طبيعة فهمنا للشيء المدرك.⁽⁴²⁾ من منطلق أنّ الإدراك عملية عقلية تنتج في الوعي الذاتي بتبنيه أحد أعضاء الحسّ عندما يحدث مثير ما، وهو الذي يزوّد الذاكرة والتّفكير والتّصوّر والاستدلال بالمعطيات الخام⁽⁴³⁾؛ أي محاولة التّوصل إلى المعاني من خلال الانطباعات التي تأتي بها الحواس عن الأشياء الخارجيّة إلى تمثيلات عقلية مهيمنة وهي عملية لا شعوريّ.

يعني هذا أنّ علم الدّلالة الإدراكيّ يبحث العلاقة بين اللّغة والعقل وتجربة الإنسان في العالم الطّبيعي وفي الفضاء الاجتماعي والثقافي.

إنّ بناء المعنى نابع من التّجربة الإنسانيّة، ولاسيّما التّجربة الجسديّة أو الحسيّة باعتبارها الجزء المتحقق الملامس لواقع الناس وحقيقتهم.

خاتمة:

في ختام هذا المقال نقول: إنّ التّطوّرات الحاصلة في المجال اللّساني الحديث والذي تبنته النّظريّة العرفانيّة، قد أفضى إلى الكشف عن خبايا الدّماغ البشري وأساره وقدرته على تحليل هذا العالم الفيزيائي وفهمه إلى أبعد الحدود؛ حيث تطوّرت المقاربات تواليا من مقارنة المتكلّم/ المستمع، إلى مقارنة الدّهن.

وفي ضوء هذه الرّؤية العرفانيّة يمكن إجراء قراءات تأويليّة مستحدثة للنصوص اللّغويّة بتحليلها وفق معطيات ومبادئ علم الدّلالة العرفانيّ، التي تقرب التّصوّرات والمفاهيم المتعلقة بها إلى العامل الواقعي أكثر، وتعيدها إلى دائرة التّجارب الإنسانيّة وتراكماتها المعرفيّة.

الهوامش:

- (1) منانة حمزة الصقّاقسي، الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، الإعراب في إنتاج الكلام وتأويله، مجلة اللسانيات العربية، العدد 02، سبتمبر 2015، ص 96.
- (2) حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، أنساق، المجلد 1/ عدد 1/ مايو 2017.
- (3) D. Geeraets, la grammaire cognitive et l'histoire de la semantique lexicale, communications, 1991, p23)
- (4) راي جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة: عبد الرزاق بنور، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص 05). نقلا عن: عبد السلام محكي، من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية، تحولات المباحث والمفاهيم، مجلة اللسانيات، المجلد 24، ع 1، ص 124، 129.
- (5) الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار محمد علي لنشر، منشورات الاختلاف، ص 30.
- (6) دليل راوكليدج لعلم السيمياء واللغويات، بول كوبلي، ترجمة: هبة شندب المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، أغسطس 2016، ص 314، 315.
- (7) الأزهر الزناد، النص والخطاب، مباحث لسانية عرفانية، دار محمد علي للنشر، ط 1، 2011، تونس، ص 22.
- (8) إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي مجلة الملك سعود، م 17، كلية الآداب، 2004، ص 02.
- (9) إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي مجلة الملك سعود، مج 17، كلية الآداب، المملكة العربية السعودية، 2004، ص 5.

(10) مجموعة مؤلفين، آفاق اللسانيّات، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت ط1، 2011، ص57، 58.

(11) محمد غاليم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص92.

(12) عمر بن دحمان، دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي، مجلة الخطاب رقم 10، جانفي 2012، ص24.

(13) عبد الكريم جبدو، اللسانيّات العرفانيّة ومشكلات تعلم اللّغات واكتسابها العلامة، ع5، ديسمبر 2017، مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة وحدة البحث اللّساني وقضايا اللّغة العربيّة في الجزائر، ورقلة، ص306. انظر أيضا: زينايدا بولوفا، يوسف ستيرنين، اللسانيّات الإدراكيّة، ترجمة: تحسين رزاق عزيز، بغداد، بيت الحكمة، ط1، 2012، ص ص29-32.

(14) جورج لايكوف ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد، ترجمة: عبد الحميد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، مارس 2016، ص30.

(15) غسان إبراهيم الشّمري، عن أسس اللسانيّات المعرفيّة ومبادئها العامة البحث المقدم للمؤتمر الدولي للغة العربي الثّالث، مايو 2014، ص01.

(16) بن غربيّة عبد الجبار، مدخل إلى النّحو العرفاني (نظريّة رونالد لانقاير) كلىة الآداب والفنون والإنسانيّات، منوبة، ط1، مسكيلياني للنشر والتّوزيع، 2010 ضمن تقديمه لهذا الكتاب، ص09.

(17) دلخوش جار الله حسين دزه يى، علم الدّلالة الإدراكي: المبادئ والتّطبيقات مجلة الآداب، العدد110، 2014، ص56.

- (18) اللّسانيّات الإدركيّة، عبد الرّحمان بودرع، منتدى اللّسانيّات، مجالس ومقاهي الفصحى، 1 نقلا عن: دلخوش جار الله، علم الدّلالة الإدراكي، ص54.
- (19) دلخوش جار الله حسين دزه يى، علم الدّلالة الإدراكي، ص57.
- (20) جورج لايكوف، ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد الحميد جحفة، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، طان 1996، ص 21.
- (21) محي الدين محسب، منهجيّة دراسة الاستعارة من الأساس اللغوي إلى التّأسيس الإدراكي، موقع الإيوان، 1 نقلا عن: علم الدّلالة الإدراكي، دلخوش جار الله، ص54.
- (22) اللّسانيّات، مج24، ع11، ص134، 135.
- (23) بن غريّة عبد الجبار، مدخل إلى النّحو العرفاني، ص18.
- (24) م ن.
- (25) دلخوش جار الله حسين دزه يى، علم الدّلالة الإدراكي، ص61.
- (26) م ن.
- (27) م ن، ص62.
- (28) حافظ اسماعيلي علوي، اللّسانيّات الإدراكيّة، وتاريخ اللّسانيّات، ص273.
- (29) جورج لايكوف ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد، ص08.
- (30) م ن، ص11.
- (31) محي الدين محسب، الإدراكيّات ابستمولوجيّة وجهات تطبيقيّة، ص155.
- (32) (محمد غاليم، بعض مهام اللّسانيّات في السّياق المعرفي، مقال منشور على الانترنت: <http://www.aljabriabed.net/n96-05ganem.htm>)

(33) vyvyan evans, A Glossaray of Cognitive Linguistics, Ibid, pp26-27.

(34) ففیان إیفانز، میلانی جرین، ترجمة: عبده العزیزی، فصول، مجلد 4/25 عدد 100، صیف 2017، ص 56.

(35) Vyvyan Evans and Melanie Green, Cognitive linguistics, an introduction, pp157-162.

(36) دلخوش جار الله حسین ذره بی، علم الدّالة الإدراکی، ص 57.

(37) الجرجانی، دلائل الإعجاز، تعلیق: محمود محمد شاکر، مطبعة المدني مصر، دار المدني، جدة، ط 1، 1992، ص 49، 50.

(38) (cf. Ronald w. Langacker, Cognitive Grammar, p39.) نقلا عن: عمر بن دحمان، دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي، ص 47.

(39) عمر بن دحمان، دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي، ص 46.

(40) محمد الصّالح البوعمرانی، دراسات نظريّة وتطبیقيّة في علم الدّالة العرفانی مكتبة علاء الدّین، صفاقس، ط 1، 2009، ص 08.

(41) أنساق، مجلة علميّة دوليّة محكمة، مج 2، ع 1، قطر، فبراير 2018، كلیة الآداب والعلوم، ص 17.

(42) م ن، ص 8، 9.

(43) محمد بن عبد الله النّذیر، نموذج تمّتين طبقات الإدراك المعرفي لتحسين قوّة التّعلم؛ معنى جديدا في الفلسفة، التّعليم والتّعلم، المجلة الدّوليّة للبحوث في العلوم التّربويّة، المجلد 1، العدد 1، 2018، ص 242.

نظرية الاستعارة التصويرية (المفهومية) في الخطاب السياسي الإعلامي

أ. لامية قداش

ج. أمحمد بوقرة بومرداس

الملخص:

أصبح الخطاب السياسي الإعلامي المعاصر يُؤطر كلّ مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والتاريخية والثقافية والاجتماعية، ومنه أصبحت الشعوب تستمدّ أفكارها وترى الملاذ الحقيقي لترويج لأفعال التغيير والتحرر والاستطلاع لاكتشاف حياة أفضل.

ومن هنا أصبح الخطاب السياسي الإعلامي يشغل الشغل الشاغل لدى الباحثين والعلماء لتفسير أهدافه ومقاصده الأيديولوجية على مستويات عليا، فكان من نصيب هؤلاء العلماء ما بحث عنه اللغويون والأدباء في تحليل الخطاب السياسي الإعلامي من مباحث نظرية الاستعارة؛ إذ تستمدّ كلّ الخطابات فحوى طاقتها الخطابية التواصلية والبلاغية الحجاجية من الاستعارة، ولكن مع تطوّر مفهوم الاستعارة في اللسانيات العرفانية أصبحت نظرية الاستعارة التصويرية منهجا مستقلاً بذاته؛ حيث غدت تفسّر فحوى الخطاب من اتجاهات وشفرات لا يمكن الوصول إليها إلاّ بإدراك مباحث الاستعارات المفهومية في الخطابات السياسية، بعيدا عن العلوم التي ضيّقت الإطار المفاهيمي الواسع للاستعارة في تحليل الخطاب اللغوي، كعلم البلاغة الذي اعتبر الاستعارة آلية وأداة لتفسير الخطاب من زاوية نظر ضيقة، ومع تطوّر الدراسات الحديثة والمعاصرة أصبحت الاستعارة المفهومية في منظور

اللّسانيين العرفانيّين لا تعنى بدراسة الخطاب في صورته اللفظيّة القديمة بحدود الكلمة واللفظة أو كارتباطها بالشعرية، بل إلى بنيتها الذهنية العقلية وهي تمثّل نسقيّة التّصوّرات الاستعارية، لتفصح الاستعارة الاتجاهية على الإظهار والإخفاء والانسجام النّقافيّ وتفسّر الاستعارات الأنطولوجية، ومن خلال التّفكير المعاصر للاستعارة المفهومية للبنية النّسقية للخطاب يمكن فهم ذلك التّحوّل من موضوع أوّل إلى موضوع ثان فتصوّراتنا تبيّن تكوين بنية اللّغة، ليصبح اشتغال مبحث الاستعارة المفهومية على ثلاثة أصناف، أصنف الأوّل منها البنية (تكوين بنية لغوية)، والثّاني بنية نسق تصوّري استنادا إلى نسق تصوّري آخر، وتحديد بنية الاستعارة الاتجاهية، والثّالث بنية الأنساق المجردة اعتمادا على بنية الأنساق الفيزيائية، وقد أطلق العرفانيّون مصطلح الاستعارة المفهومية لارتباط الاستعارة في الدّراسات المعاصرة بالنّظام العرفانيّ التّصوّريّ في البنية الذهنية والعقلية لتلك العمليات التي يجري بها الإسقاط المفهوميّ في الذّهن، ومن هنا أصبح مفهوم الاستعارة في الخطاب اللّغويّ مبدأ عام مقتضاه يمثّل مفهوما في ضوء مفهوم آخر، ومن هنا جاء هذا البّحث ليجيب عن مجموعة من التّساؤلات، هل من الممكن الاتّكاء على الاستعارة المفهومية في تحليل فحوى الخطاب السّيّاسيّ الإعلاميّ؟ هل يمكن فهم الخطاب السّيّاسيّ الإعلاميّ من خلال حملته من موضوع أوّل إلى موضوع ثان؟ أهي نسقيّة البنية اللّغوية للخطاب السّيّاسيّ الإعلاميّ؟ أيمن فهم ذلك التّحوّل الاستعاريّ في الخطاب السّيّاسيّ الإعلاميّ مفهوما في ضوء مفهوم آخر؟ ما هو الإطار المفاهيميّ الواسع للاستعارة المفهومية في تحليل الخطاب السّيّاسيّ الإعلاميّ المعاصر؟ كيف تفسّر الاستعارات الاتجاهية البنية الإظهار والإخفاء والانسجام السّيّاسيّ؟ أم أنّ الخطاب السّيّاسيّ الإعلاميّ هو بنية نسق تصوّري استنادا إلى نسق تصوّري آخر؟.

مقدمة:

يعالج العلم المعرفي موضوعات متعدّدة ومتنوّعة مثل تحليل الخطاب واكتساب اللّغة وتكوين المفهوم والتّمثيل الذّهنيّ وعلم الدّلالة والتّكوين المعرفيّ والمعالجات البصريّة فهو حسب محمد مفتاح " يسعى إلى إدراك كنه كَيْفِيّة اشتغال الدّماغ والفكر البشريّين وإلى التّعرّف على الآليات التي تسعف الإنسان لإنتاج المعرفة والتّصرف في أهم أداة لها وهي اللّغة الطّبيعية ولذلك انكب هؤلاء العلماء بمختلف تخصّصاتهم على صياغة نظرية أو نظريات ملائمة لمعالجة اللّغة الطّبيعية من حيث مفرداتها وتراكيبها وعلائقها ومجال تداولها ومنطوقها ومفهومها والمصرح به والمستنبط"⁽¹⁾ لقد لخصّ محمد مفتاح من خلال هذا القول أهداف العلم المعرفيّ وأبرز نظريّاته، ولكن ممّا لا شك فيه أنّ هذا العلم لم يأت من عدم فلقد تأثّرت أغلب هذه النّظريّات الجديدة بالمنهاجيّة والايستمولوجية الأرسطية خصوصا في تحليلها للاستعارة فكل تلك النّظريّات دعت إلى التّجاوز المطلق أو الثّورة الجذريّة على المفاهيم القديمة؛ حيث أنّ المقاربات الجديدة إن صحّ التّعبير مزيج بين هذا وذاك بمعنى مزيج من المنهاجيّة الأرسطية والأفلاطونيّة والجشطالتية فمن جملة الأسئلة الجديدة التي يطرحها العلم المعرفيّ ما يلي⁽²⁾:

-كيف يتعلّم النّاس معاني الكلمات والمقولات الطّبيعية؟؛

-كيف يحصل التّواصل مع الآخر؟؛

-كيف يدرك المعنى؟ ما المعنى؟؛

-كيف يبذل النّاس؟.

يسعى إذن هذا العلم الجديد إلى إعادة النّظر في وضع الإنسان وصلته بالطّبيعة وبغيره ، فكل ما يعتمد عليه هذا العلم هو اعتبار جسم الإنسان وقواه الفطريّة

الخيالية والإبداعية مصدران للفعل والانفعال والتفاعل فعن طريق هذه القوى يقوم بصياغة خطاطات ومقومات، وكذا يؤلف استعارات وكنائيات، وتعد النظرية الاستعارية جوهر البحث في العلم المعرفي؛ حيث سعى منظريها إلى تقديم طرح جديد في قضية الاستعارة التي كان ينظر إليها سابقا على أنها لا تتعدى كونها زخرفا لفظيا تزيينيا في النصوص الإبداعية لا غير ولم يلتفت الباحثين سابقا إلى الطابع التصوري للاستعارة إلا بظهور كتاب جورج لايفوف ومارك جونسون " الاستعارات التي نحيا بها" فالاستعارة عندهما في جوهرها جزء من البنية التصورية للإنسان وليست ظاهرة لغوية فلا تقتصر الاستعارة على اللغة التخيلية بل هي جزء من تفكيرنا وممارستنا اليومية؛ بمعنى أن الاستعارة ترتبط بكيونة الإنسان ووجوده نحن بالفعل نحيا بالاستعارة ثم إن الاستعارة أساسا تصويرية وعرفية وجزء من النسق الاعتيادي للفكر واللغة. انبنى إنالتيار اللساني العرفي على النظر في العلاقة التفاعلية بين اللغة والذهن والتجربة معا وأبرز حضور اللسانيات العرفانية يتجلى في مبحث الاستعارة فهي آلية في التفكير تتصل بكل مجالات الحياة اليومية " إذ تؤسس آلية الاستعارة النشاط اللغوي فكل قاعدة أو مواضع لاحقة تولد بقصد تحديد الثراء الاستعاري وتنظيمه"⁽³⁾.

أولا: نظرية الاستعارة المفهومية؛ المفهوم والنشأة:

تعد الاستعارة الأداة الذهنية التي لا غنى عنها، و النواة المركزية للفكر فالاستعارات ليست مجرد كلمات فهي " ليست مسألة لغة وإنما مسألة فكر وعقل أما اللغة ثانوية "⁽⁴⁾ بمعنى أن الاستعارة تصويرية لا تكمن في الكلمات نفسها وإنما في اصور الذهنية وما الاستعارة اللغوية إلا تحليلا سطحيا للاستعارة التصويرية ونقصد بالأساس التصوري اعتبار الاستعارة مادة فكرية بعد أن دأب الطرح القديم على عدها مادة لغوية صرفة، فالتشابه في الاستعارة تشابه في التصورات لا في

الألفاظ؛ ذلك أن الاستعارة تنصّدر بشكل كبير بنية الكلام البشري، وتقوم النظريّة الاستعارية التّصوريّة المعاصرة على ثلاث مبادئ أساسيّة وهي (5) :

أ- التّعميم: ويقصد به القواعد التي تضبط تعدّد المعنى بشكل يتيح الانتقال من كيان إلى آخر دون خرق قيد التّناسب والانسجام؛

ب- الثّبات: يقصد به عدم إحداث أي تغيير على بنية صورة التّصميم؛ حيث يلائم المجال المصدر البنيّة الملازمة للمجال الهدف ذلك أن الأجزاء الدّاخلية للمجال المصدر تتوافق مع الأجزاء الدّاخلية للمجال الهدف والأجزاء الخارجيّة للمجال المصدر تتوافق مع الأجزاء الخارجيّة للمجال الهدف... ونتيجة لذلك ستصبح بنية صورة التّصميم غير قابلة لأن تنتهك؛

ج- التّناظرات: تتأسّس العلاقة بين المستعار منه والمستعار له على تناظرات قائمة على مجموعة من التّوافقات الأنطولوجية تمكّن من إسقاط النّماذج الاستدلالية الخاصة بالمجال المصدر على النّماذج الاستدلالية الخاصة بالمجال الهدف وذلك وفقا لمبدئيّ التّعميم والثّبات الضّامين للتناغم والانسجام والاتساق بين المجالين وهذه المبادئ بطبيعة الحال هي مبادئ تميّز مشروع اللّسانيّات المعرفيّة بصفة عامة فمبدأ التّعميم يرتبط بالبحث عن مبادئ للبنى اللّغوية تنظّمها، فالاستعارة وفق هذا التّصوّر المعرفيّ التجريبيّ "وسيلة لتصوّر شيء من خلال شيء آخر ووظيفتها الأولى الفهم" (6)

ومن ثمّ فأساس الاستعارة ليس اللّغة وإنّما الكيفيّة التي نتصوّر بها مجالا ذهنيّا معيّنا بواسطة مجال ذهني آخر الغاية منها تحقيق الفهم ونعثر على تعريف أورده الأزهر الزّناد في كتابه بحيث يلخص فحوى هذه النظريّة المعاصرة " تسمية لجملة من الأفكار والمبادئ متعدّدة روافدها في إطار اللّسانيّات العرفانيّة ولعلّ

اقترانها بلايكوف عائد إلى ما له فيها من صهر وبلورة وما لآثاره من رواج وما لطريقته في العرض والبسط من الوضوح والنّجاعة ولهذه النّظرية مبررات عامة تتصل بطبيعة الفكر عامة وبلاستعارة والمجاز خاصّة" (7) تتدرج النّظرية المعاصرة للاستعارة ضمن أبحاث اللّسانيّات المعرفيّة هذا التيار اللّساني الجديد الذي اكتسب شرعيّته بإنشاء الرّابطة الدّولية للسانيّات المعرفيّة تضمّ ثلّة من البحتة أشهرهم: جورج لايكوف G.Lakoff رونالد لانقaker R.Langacker وجيل فوكونييه G.Fauconier وتلتقي أبحاث هؤلاء في مجموعة من المبادئ النّظرية والمنهجية التي تعدّ اللغة ظاهرة نفسية ذهنية .

يمكننا إيجاز أسس نظرية الاستعارات المعرفية فيما يلي (8):

- الاستعارة في مفهومها الإدراكي عملية فكرية مرتبطة بالنسق التّصوري عند الإنسان وهي التي تجعل العقل البشري ينظّم العالم في صورة مفاهيم يخزنها ويربط بينها؛

- الاستعارة جزء من حياتنا اليومية وليس هناك من طريق للحديث عن المفاهيم المجردة دون الاستعانة بالاستعارة؛

- الاستعارات اللّغوية لا تقوم على المشابهة بقدر ما تقوم على الرّبط بين مجالين أحدهما المجال/ الهدف the target والآخر المجال/ المصدر the source ؛

- الاستعارات لها أساس داخل التجربة الجماعية الفيزيائية والثّقافية كما أنّها تؤثر في ذات الوقت على تجربة وسلوك هذه الجماعة.

لم يعد وجود الاستعارة يقتصر على النّصوص الإبداعية فوفقا للمنظور المعاصر الاستعارة نجدها أيضا في الاستعمالات اليومية فهي " تتنظم الفكر في جميع مظاهره وهي ماثوثة في جميع الاستعمالات اليومية العادية في العبارات

اللغوية... فالاستعارة ظاهرة مركزية غالبية في دلالة الكلام العادي اليومي وهي جزء من الفكر من حيث مثلت أداة في تصور العالم والأشياء وتمثلها في جميع مظاهرها، فهي جزء من النظام العرفي، ولذلك سميت بالاستعارة المفهومية؛ إذ كانت الاستعارة أداة مفهومة وتمثيل وتصور يعم كل مظاهر الفكر بما في ذلك المفاهيم المجردة والمتصلة بالمجالات الأساسية من قبيل الزمن والأوضاع والمكان والعلاقات والأحداث والتغير والجعل وما إليها⁽⁹⁾ فالاستعارة ظاهرة مركزية في بناء وصناعة الخطاب اليومي العادي بل كل كلام البشر فهي كما يقول الأزهر الزناد أداة مفهومة غايتها الفهم وتمثيل وتصور في نفس الوقت ولعل اقتران هذا الثلوث يجعل منها أداة ذهنية تصويرية تصور العالم والأشياء المحيطة بالإنسان خلافا لما كان سائدا في النظرية الكلاسيكية التي كانت تعتبر الاستعارة عبارة لغوية نتوصل إلى فهمها من خلال فهم معانيها الحرفية والحق أن الاستعارة بالمفهوم المعاصر إسقاط عابر للمجالات؛ إذ "تقوم الاستعارة من حيث بنيتها على الإسقاط ما بين المجالات وهو إسقاط جزئي غير تناظري (غلبة المجال الهدف) والإسقاط جملة من التناسبات الثابتة ما بين الوحدات في المجال المصدر والوحدات في المجال الهدف، تحدث الاستعارة وما يصاحبها من استدلال بأنشاط تلك التناسبات التي يكون بها انعكاس قوالب المجال المصدر على قوالب المجال الهدف ويخضع الإسقاط الاستعاري لمبدأ الثبات والإسقاط نوعان: بحسب المصدر والهدف إسقاط مفهومي يجري ما بين مفهومين أو مجالين مفهوميين وإسقاط اصورية يجري ما بين صورتين ولا اعتبار في الإسقاط وإنما هو عملية متجذرة في الجسد وفي المعرفة والتجربة ويتضمن النظام المفهومي الآلاف من الإسقاطات الاستعارية العادية منتظمة في أبنية مترابطة تمثل بها فيه نظاما فرعيا"⁽¹⁰⁾

تقوم الاستعارة على الإسقاط الذي هو متجذر في تجربتنا وخبرتنا وفي جسدنا ومعارفنا؛ بمعنى أنّ النّظم المفهوميّة قائمة على الإسقاطات الاستعاريّة التي في جوهرها تناسبات بين مقاطع التّجربة وهي قوام الاستعارة على عكس ما كان سائدا من قبل فهي ليست قائمة على المشابهة المطلقة وإنّما على تمثّل الأشياء والمفاهيم المجرّدة فالاستعارة عند لايكوف وجونسون "لا تقوم على المشابهة بقدر ما تقوم على عمليّة ربط (mapping) تقوم الرّوابط بعملية اختراقية بين مجالين أحدهما هدف والآخر مصدر؛ إذ توجد توافقات بين المجالين ويحدّد الباحثان في الاستعارات التي نحيا بها ثلاثة أصناف من البنية (تكوين بنية لغويّة) وهي⁽¹¹⁾:

1-بنية نسق تصوّري استنادا إلى نسق تصوّري آخر. مثلبنية نسق الجدل بواسطة نسق الحرب في الاستعارة "الجدال حرب" ويطلق الباحثان على هذا اصنّف مصطلح الاستعارة البنيويّة؛

2-بنية بعض الأنساق اعتمادا على تجربتنا الفضائيّة باعتبارنا كائنات تحدّدنا الاتجاهات كالأعلى والأسفل واليمين واليسار والمركز والهامش وتجربتنا علمتنا أنّ الأشياء الايجابيّة تكون فوق والسلبية تحت ويسمى هذا اصنّف من الاستعارة بالاستعارة الاتجاهيّة.

3-بنية الأنساق المجرّدة اعتمادا على بنية الأنساق الفيزيائيّة كما هي الحال في استعارة "الحب رحلة" يطلق الباحثان على هذا الضّرب مصطلح الاستعارة الأنطولوجيّة.

تعتبر نظرية الاستعارة عند العرفانيين مبحثا أساسيا وفرعا رئيسيا في اللسانيات العرفانية " وهو مبحث يسعى إلى وضع أسس تفسيرية للنسقة التصويرية واللغة في الدراسة العامة للدماغ والذهن"⁽¹²⁾ فحتى سبعينيات القرن العشرين الاستعارة

كانت " تمثّل بالنسبة لعدد كبير من النَّاس أمرا مرتبطا بالخيال الشعريّ والزّخرف البلاغيّ إنّها تتعلّق في نظرهم بالاستعمالات اللّغوية غير العادية وليس بالاستعمالات العادية وعلاوة على ذلك يعتقد النَّاس أنّ الاستعارة خاصية لغويّة تنصب على الألفاظ وليس على التّفكير أو الأنشطة... وعلى العكس من ذلك فقد انتبهنا إلى أنّ الاستعارة حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليوميّة إنّها ليست مقتصرة على اللّغة بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا" (13)

انتقل مفهوم الاستعارة من مفهومه الضيّق إلى فضاء واسع وأرحب بعدما كان منحصرًا في الزّخرفة اللفظيّة في الاستعمالات غير العادية فلا يتكوّن الخطاب من البنى الاستعارية اللّغوية فحسب كما درجت عليه البلاغة القديمة وإنّما هو نسيج من الاستعارات اللّغوية والاستعارات التّصوريّة المنوالية مثلما ذهب لايكوف ومارك جونسون بنظرتهم الجديدة لتعيد الاعتبار إن صحّ القول للاستعمالات اليوميّة العادية بمعنى لا نعثر على الاستعارة فقط في الخطاب الرّاقى وإنّما حتّى في الخطاب اليومي العادي؛ إذ "النّسق التّصوري العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس" (14).

لقد أسفرت مقارنة لايكوف وجونسون لكيفيّة اشتغال المعنى الاستعاريّ عن نسق تفكيري جديد قائم على مجموعة من الأسس (15):

- لا ترتبط الاستعارة باللّغة أو بالألفاظ ، وإنّما ترتبط بالنّسق التّصوري للتّفكير البشري والسلوك الإنسانى الذي يعدّ في جزء منه ذا طبيعة استعارية، ولهذا فإن الاستعارة تشمل اللّغة العادية واللّغة التّخيلية الإبداعية؛

- التّصوّر الاستعاري ذو طبيعة نسقيّة تكشف عنه التّحقّقات اللّغوية المجازيّة التي ترشد إلى مقولة دلالية كبرى متسمة بصفتي التّشاكل والانسجام؛

- إنَّ الخاصية النَّسقيَّة للاستعارة تقوم على مبدأ التجريد l'abstraction؛ حيث تظهر سمات مخصصة ، وتخفي أخرى حسب المقاصد التَّداوليَّة والبنىات الثقافيَّة السَّائدة ؛
- إنَّ الاستعارات تركز على تجربة الإنسان الفيزيائيَّة والثقافيَّة؛ إذ هي التي تمنحها النَّسقية والكفاية الإنتاجيَّة والتَّأويلية والبرمجة السلوكيَّة.
- إنَّ الاستعارة هي نقل المجرّد إلى المحسوس بناء على تجربتنا الفيزيائيَّة وتصوراتنا الثقافيَّة.

• الوظيفة الأساسيَّة للاستعارة هي الإفهام وتقديم المعرفة وليس التزيين والزخرفة.

تعتبر الاستعارة من المفاهيم القديمة التي حظيت باهتمام بالغ في الدِّراسات المعاصرة المتطورة فإنَّ مفاهيم الاستعارة في القديم كانت قائمة على التشابه بين الألفاظ أو على العلاقة التَّشابهيَّة بين المشبه والمشبه به وأركان هذه العلاقة التَّشابهيَّة التي يمثِّل التَّشبيه اللفظي مركز قوامها على الألفاظ، ولكن مع تطوُّر الدِّراسات المعاصرة في علم اللسانيَّات العرفانيَّة وما حايثها من العلوم استمدت الاستعارة مفهوما جديدا يقوم بالأساس على تشابه التَّصورات والمفاهيم اللَّغويَّة الدَّهنيَّة، وهي إسقاط بنية نسق تصوُّري استنادا إلى نسق تصوُّري آخر يكونان في حقل دلالي واحد يجمعها كعبارة (الجدل حرب) النَّسق التَّصوُّري لعبارة (الجدل حرب)؛ وهو إسقاط استعاري بين الجدل-الذي هو الخلاف في الرأْي-والحرب-التي هي اصِّراع؛ إذ يوضِّح هذا الإسقاط الاستعاري مكونان هما الجدل والحرب يشتركان في منوال دلالي واحد هو الاختلاف، فالجدل هو الاختلاف، والحرب هي الاختلاف.

ثانيا: أنماط الاستعارة المعاصرة:

أ-الاستعارة الاتجائية (استعارات التَّفَضِّيَّة): يقصد بها نسق كامل من التَّصورات المتعلّقة ذات التَّوجّه الفضائي القائمة على تجربة الفرد الفيزيائيَّة

والتَّقَافِيَّة⁽¹⁶⁾ إلا أنَّ هذا التَّوجُّهَ الفضائي النَّاطم لهذا النَّوع من الفهم الاستعاري ينضبط لقواعد تجريبية وثقافية تمنحه الانسجام والقصدية وتتأى به عن مجال التَّافُر والاعتباطية ولهذا فقولنا "السَّعادة فوق" هو الذي يبرر قولنا "أحس أنني في القمة اليوم" وهو الذي يضيف على مبدأ الاستعلاء قيمة السَّعادة والفرح على سبيل التَّعميم داخل نسق ثقافيٍّ معيَّن لا يتصوَّر فيه أن تكون عبارة من قبيل "ارتفعت معنوياتي" "إني حزين"⁽¹⁷⁾ إنَّ هذا النَّمط من الاستعارة مرتبط بالاتِّجاه الفضائي وترتكز على الأساس الفيزيائي غير منقطع أصلاً بالأساس الثَّقافي، ينبع من وضعيَّة الجسد وكيفيَّة اشتغاله بالعالم الخارجي أو المحيط الفيزيائي، يمنح هذا النَّوع من الاستعارة توجيهها فضائياً لنسقنا التَّصوُّري وتمدنا بأساسٍ غنيٍّ لفهم التَّصوُّرات بواسطة الاتِّجاه ولا يعني فقط الارتباط بالخصائص الفيزيائية للأوضاع الفضائية وإنَّما لها ارتباط بأنساق الثَّقافة أيضاً يقول محمد غالي: "حينما نتحدَّث عن التَّجربة الفيزيائية المباشرة في تأسيس التَّصوُّرات كالتَّصوُّرات الفضائية مثلاً فإنَّ ذلك لا يعني فقط الارتباط بالخصائص الفيزيائية للأوضاع الثَّقافية لأجسادنا ونشاطاتها الحركية وإنَّما كل تجربة تأخذ مكانها داخل إطار واسع من التَّضمنات الثَّقافية... فكل تجربة تجربة ثقافية وتجربتنا مع العالم تتم بشكل تكون فيه ثقافتنا حاضرة باستمرار في التَّجربة نفسها"⁽¹⁸⁾ إذ تقوم الاستعارة الاتِّجائية على مبدأ الإسقاطات التَّصوريَّة الذَّهنية من محيطنا الثَّقافي أو التَّصوُّرات الفضائية أو التَّصوُّرات الفيزيائية، أو على تصوُّرات عالمنا الثَّقافي؛ لأنَّ من كلامنا الثَّقافي استعارات ثقافية.

ب- الاستعارة البنيوية: تمثِّل الاستعارة البنيويَّة نموذجاً استعارياً إسقاطياً مفهوماً بين مفهومين يقتربان في الدَّلالة؛ إذ يمكن تصنيفهما في حقل دلاليٍّ واحد كما هو الحال في نظريَّة الحقول الدَّلالية، من حيث يمثِّل المفهومان تصوُّران

مختلفين يشتركان في حقل دلالي واحد، "هي أن يبين تصور ما استعاريا بواسطة تصور آخر⁽¹⁹⁾ ومثال ذلك فهم المناظرة الكلامية ضمن مقولة الحرب فنقول : الجدل حرب فنسقط تمثلنا الخاص بالاستراتيجيات الحربية على عملية التّخاطب فإذا كانت الحرب تتطلّب مشاركين وتخطيطاً ودفاعاً وهجوماً وربحاً وخسارة؛ فإنّ الجدل الكلامي على سبيل التّماثل يدرك انطلاقا من التّصور الحربي فنكون إزاء صراع كلامي بين طرفين يستعمل كل واحد منهما عتاده من الأدلّة اللّغوية لدحض موقف الآخر وأطروحته لتحقيق النّصر وإلحاق الهزيمة بالخصم والعدوّ وبهذا تكون الاستعارة البنيويّة آليّة استدلالية نتوسل بها لفهم مجال بمجال آخر أكثر بنية وتجذراً في نسقنا التّجريبيّ التّقافي"⁽²⁰⁾ وهي استعارات قائمة على ترابطات نسقيّة داخل تجربتنا.

ج- الاستعارة الوجوديّة (استعارة الكيان والمادة): تقوم على بنية ما هو مجرد انطلاقا ممّا هو محسوس وتمنحنا: طرقاً للنّظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار باعتبارها كيانات ومواد"⁽²¹⁾ وهي ضروريّة في محاولتنا تقديم تحليل عقلائيّ لتجاربنا وتستعمل لحاجات مختلفة وهي حاضرة دوماً في أذهاننا لدرجة اتّخاذها بديهيات. تتضح الاستعارة في ما يقع من نظام (الإسقاط المفهومي) أي النظام المفهوميّ وهو تلك العمليّات التي يجري بها الإسقاط المفهوميّ في الدّهن، الذي يتكوّن "من الاستعارات (الأمثال والعبارات الجاهزة) ما يقوم على الإسقاط ما بين ذهنيّة وصورة أخرى، وهي مختلفة عن الاستعارة القائمة على الإسقاط ما بين مجالين مفهوميّين؛ من حيث الإجمال والتّفصيل، فالإسقاط الكائن ما بين مجالين إسقاط مدقّق مفصّل فيه تتاسب طوبولوجيّ كما سبق بيانه، وهو إسقاط مجمل يكون فيه التّناسب بين صورة وصورة ولذلك يطلق عليها لايكوف (اللفظة الواحدة) و(أحادية اللفظة)".⁽²²⁾

ويمكن تقديم نماذج للاستعارة من الخطاب السياسي الإعلامي، كما يقدم "لايكوف تحليل موافق في عملية التخيل ولكنه متجاوز إياه إلى التصور والتمثيل مطلقاً، رافض لعلاقة المشابهة شرطاً ضرورياً جاعل من الإسقاط أمراً مغروساً في الذهن به يتمثل الأشياء الواحد منها على أساس شيء آخر وليس من الضروري أن يكون بينهما تشابه." (23).

تتضح صورة الذهنية للاستعارة في العبارات السياسية من المجال المفهومي الذي يتمثل في الاستعارة (سوريا هي رمال وموت) (24) بحيث يمكن تفسيره من التصور الذهني إلى الفضاء المكاني لسوريا البلد الذي اشتعلت فيه حرب الناس؛ إذ أصبح هذا الفضاء المكاني بسبب الحرب القائمة في سوريا مقبرة حقيقية للناس وجثثهم، فأصبحت الحياة في سوريا حياة الأموات، وهذا المثل يجري في سياقات عديدة الجامع بينها التعلل بسبب الحرب والقتل والفساد، وهذا جزء من المعرفة الجماعية، فالاستعارة جزءاً وبناءً وفهماً وتأويلاً إنما هي متجذرة في التجربة الحسية والاجتماعية والثقافية.

ويقوم الإسقاط على تناسب بين صورتين صورة المصدر للأفراد السوريين الذي لم يعودوا يناشدون الحياة في سوريا؛ بسبب ضعفهم على إصلاح الأوضاع المتعل بها.

وقد تتمثل الاستعارة بمفهومها الجديد عند لايكوف انطلاقاً من مفهومها الاستعاري اللغوي من البنية اللغوية إلى البنية المفهومية والتصورية في الذهن فتركب البنية الاستعارية الكلية، وتوضح "العلاقة بين الاستعارة اللغوية والتصور الاستعاري هي علاقة الاستقلال الذاتي والجزئي؛ إذ يمكن للاستعارة المفهومية أو للتصور الاستعاري أن يتحقق في تنوعات نحوية كثيرة من التنظيم اللغوي" (25) ومن حيث تمثل الاستعارة أداة من أدوات اشتغال اللغة والذهن معاً فهي ليست أداة لغوية

محضة أو أداة ذهنية محضة بل هي تركيب مزدوج بين ما هو لغويّ وذهنيّ، وتمثل الاستعارة الأداة الأساسية التي بها تتمثل المفاهيم المجردة وبها نفكر، وهي لذلك متجذرة في الذهن، وما جريانها في اللغة إلا وجه من وجوه تحققها فالاستعارة مفهومية بالأساس وليست لغوية والنظام المفهوميّ استعاريّ وغير استعاريّ، والاستعاريّ منه متجذر في القسم غير الاستعاريّ ذلك أننا نتمثل المجردات في المحسوسات.⁽²⁶⁾ فالاستعارة في الأساس مفهومية ولكن تحققها لغويّ، ويمكن معالجة أو تحليل نموذج من النماذج الاستعارية في الخطاب السياسيّ الإعلاميّ.

وبالنظر إلى هذا الملفوظ (العروبة التي أفلست)⁽²⁷⁾ يتضح الموقف التصوريّ الاستعاريّ المفهوميّ الذهنيّ ثانياً وتالياً للمفهوم الاستعاريّ الأول السابِق للذهنيّ وهو اللغويّ غير الاستعاريّ ومنه إلى المفهوم الذهنيّ الاستعاريّ؛ إذ يمثلّ التّصور الاستعاريّ صورة تركيبية مزدوجة لغوية مجازية أو خيالية في تحقيق المعنى اللغويّ ممّا يتضح من هذا الخطاب السياسيّ الإعلاميّ واصورة اللغوية النمطية له، أنّ هناك تجارة فيها ربح وإفلاس والعروبة قد أفلست حالياً، ولكن الموقف الاستعاريّ التصوريّ الذهنيّ التّالي والمنشود للتّصور الاستعاريّ اللغويّ، هو أنّ الأمة العربية قد أفلست إفلاسا حقيقياً في إصلاح أوضاعها وفي اتخاذ قراراتها ولم تعد مؤهلة لخوض اصّراع مع غيرها، وهي تعود إلى الخلف بدلا من السير إلى الأمام. وهذا هو التّحوّل الاستعاريّ من التّصور الاستعاريّ اللغويّ أو غير الاستعاريّ إلى التّصور الذهنيّ الاستعاريّ المجرد من المحسوس اللغويّ إلى التّجريديّ الذهنيّ.

ويذكر لايفوف بأنّ التّصور الاستعاريّ "تصور نسقي (نظام) فإنّ اللغة التي نستعملها للتعبير عن هذا المظهر الذي يسند للتّصور هي نفسها نسقية"⁽²⁸⁾ فالنظام

الاستعاريّ هو في حدّ ذاتها نظام أو بنية استعارية لغوية، فلا تتحقّق الاستعارة الذهنية إلا بالنسق اللّغوي التي تظهر عليه أو تتجسّد فيه.

ولكن ليس هناك استعارات لغوية في الحقيقة بل هو المظهر لها، فإنّ الاستعارات الحقيقية هي التي يمكن التّوصّل إليها من خلال النّشاطات الذهنيّة، " وإنّ الاستعارات اللّغوية ليست ممكنة إلاّ لأنّ هناك استعارات في النّشاطات الفكرية والعملية لدى الإنسان تشكّل مع القيم الثقافيّة نسقا تصوريّا متّسقاً"⁽²⁹⁾ وجوهر الاستعارة يكمن في فهم نمط من الأشياء والتّعامل معه من خلال نمط آخر ويتجلّى ذلك في أنماط التّصورات الاستعارية التي تعمل كلّها على بنية النّسق التّصوريّ واضح أنّ التّصور التقليدي للاستعارة التي لا نرى في الاستعارات إبداعاً لمشابهات ومجاورات جديدة النّسق التّصوريّ عند الإنسان سنده الاستعارة بمعنى يفهم تجربة معنى ثان بناء على تجربة معنى أوّل تبحث النّظريّة التّصورية للاستعارة في تفسير كيفية حدوث الاستعارات وكيفية تشكّل البنى الاستعارية التّصورية في اللّغة اليومية "النّموذج الاستعاري في التّحليل والتّأويل هدفه الأساس تعرف البنى الاستعارية الظاهرة والخفية وبيان معانيها وهي تخيلية في الاستعارات اللّغوية وإقناعيّة تصديقية في الاستعارات المنوالية ويحقّقان معا تناغماً حيّاً لتلقّي المعنى وفهمه"⁽³⁰⁾ ومن خلال تقديم نموذج من نماذج نظرية الاستعارات المفهومية على الخطاب السّياسي الإعلاميّ نجد أنفسنا نقترّب اقتراباً شديداً من هذا المنوال الاستعاريّ المعاصر الذي يحقّق المسار الدقيق لفهم المعنى الاستعاريّ في الخطاب السّياسي الإعلاميّ.

إنّ تحليل فحوى الخطاب السّياسي الإعلاميّ يقوم على مرجعية ذهنية فكرية لفكّ شفرات هذا الخطاب، من حيث يمكننا تلقّي المعنى وفهمه، أو من حيث يمكننا الخطاب من الاستبطان في استعاراته السّياسية، فمرة يكون الخطاب السّياسي عبارة

عن ألغام ينصبها رجل السياسة لحنكته ودهائه، والتي لا يمكن الوصول إليها حتى من كبار رجال السياسة أنفسهم، فقد يعجز السياسي عن تفسير ما يريده رجل سياسي آخر أو يذهب إلى تأويل ما لا يؤول إليه الخطاب السياسي، ولكن تبقى اللغة مفتاح غلق وفتح هذه الألغام والأسرار السياسية، واضح من النموذج (أين حدود الأخطبوط الإسرائيلي الآن عبر العالم)⁽³¹⁾ من التفسير اللغوي أنّ إسرائيل كالأخطبوط يملك العديد من الأيدي التي يعمل بها فالأخطبوط الحيوان البحري له قوة كبيرة في الأيدي التي يعمل بها، وهذه صورة اللغوية الاستعارية للخطاب السياسي الإعلامي، وأمّا صورة الاستعارية الذهنية التي تفسرها الاستعارات المفهومية إنّ الكيان الصهيوني يعتمد على قوى دول العالم الأوروبي والأمريكي التي تدعمه عبر العالم. وهذه الاستعارة المفهومية الذهنية تدرك من فحوى الخطاب السياسي الإعلامي. وإنّ إخراج الاستعارات من مستواها البلاغي باعتبارها مشابهاً مختصرة أو حلية للمعاني وربما وسيلة للمعرفة يقتضي وضعها في حركية الثقافة الموسعة التي تتبع الاستعارات المنوالية الناجحة والاستعارات الفاشلة للمناويل والاستعارات المنطفئة التي لم تحقق قدراً محترماً من الأثر والتوهج داخل سياق التحوّلات الأدبية أو اصطناعية⁽³²⁾ ومما يمكن التوصل إليه في نظرية الاستعارات المفهومية أو التصورية الذهنية عند لاكوف وجونسون هو تجسّد الاستعارات في مستويين أعلى من الخطاب، المستوى الأوّل هو الأبنية اللغوية المجسّدة للأبنية الذهنية ثم المستوى الثّاني هو الأبنية الذهنية-الأساس-التي لا يمكن تفسير المعنى بدونها فليست اللغة في حدّ ذاتها إلّا مظهرًا من مظاهر تلك الأبنية الذهنية.

وما يمكن الاستناد عليه في هذا التفسير الاستعاري المعاصر لكلّ الخطابات عامّة، وللخطاب السياسي خاصّة أنّه تتمحور على ركيزتين أساسيتين في تفسير فحوى الخطاب هما مستويين تتمثّل عليهما اللغة، أو لا أدوات اللغة التي يمكن

الوقوف عليها في تركيب الخطاب، ثم في الأبنية الذهنية التي تركبت عليها هذه اللغة، وهذه العمليات الذهنية بين اللغة والذهن يجب أن تقع بين السامع والمتكلم نماذج كثيرة من الاستعارات المفهومية وردت في التخاطب السياسي الإعلامي ومنها (سقط العمق العربي)⁽³³⁾ هذه الاستعارة الاتجاهية مؤسّسة على التفاعل بين ما هو فيزيائي وما هو ذهني وما هو ثقافي فلفظ "سقط" في العبارة الاستعارية السابقة ينم عن معنى السقوط وفق تجربتنا الحياتية وتصورنا الذهني فالسقوط حركة فيزيائية جسدية تعبّر عن التعثّر والوقوع من الأعلى إلى الأسفل وهنا الخطيب السياسي في قوله هذا يريد التعبير عن الفشل والاستسلام والانحزام والضعف والتلاشي الذي التّ إليه الأحزاب السياسية العربية التي لم تضع المسألة القومية في قائمة أولوياتها فالعمق العربي يلخص كل معاني القومية والهوية العربية المثالية القديمة التي تلاشت فلم تستطع شذم شبابها وبالتالي فهي فاشلة في الدفاع عن أوطانها فيكون بذلك الخطيب السياسي هنا قد قام بإسقاط المعنى الحسي لفعل سقط على التّصور الذهني المجرد لفكرة الفشل والهزيمة والاستسلام الموجودة في الذّهن.

إنّ الاستعارة آلية ناجعة يستعملها السياسي لتشكيل الرّأي العام، فالخطاب السياسي بوصفه خطاباً مثقناً بالاستعارات يرمي إلى ردّ أفكار وتغيير تصوّرات وتحويل قنوات، وتوجيه المتلقّي الوجهة التي يبغيها السياسي من ذلك النّموذج التّالي: (المقاومة هي الطريق هي التي تزرع والسياسية هي التي تحصد)⁽³⁴⁾ هذا الملفوظ يحمل استعارات مفهومية عدّة فالخطيب السياسي أجرى عملية إسقاط خاصيّات الميدان المصدر على الميدان الهدف الذي يقول عنه محمد صالح البوعمراني "إسقاط بطبيعته جزئيّ يسعى إلى الفهم فهم المجرد عن طريق

المحسوس وفهم الوجود عن طريق أجسادنا"⁽³⁵⁾ وهذا ما نلاحظه فإذا فكّنا الملفوظ نستخرج منه الاستعارات التالية:

-المقاومة طريق

-المقاومة تزرع

-السياسة تحصد

تنهض المقاومة بوصفها تصوّرًا مجردًا بدور المستعار له وقد أسند الخطيب السياسي للفظ مقاومة معنى مجسد " طريق " فالمقاومة قد تكون طريق التحرر وطريق الخلاص من المستعمر فلا طريق سواها فبفضل المقاومة حقق الشعب الفلسطيني انتصارات في مواجهته للكيان الصهيوني، كما استعار الخطيب السياسي لفظ (تزرع) في استعارة "المقاومة زراعة" من مجال خاص يكمن في الزراعة ويُدعى في اللسانيات العرفانية المجال المصدر (المستعار منه) قصد الحديث عن مجال آخر مغاير يدعى المجال الهدف ويمثّل المستعار له ويكمن في المقاومة، ومن ثمّ فإنّ استعارة " المقاومة تزرع " لا تقوم على مشابهة موجودة سابقا وغير منخرطة في تجربة الفرد مع محيطه، بل إنّ العلاقة التي تربط بين المقاومة والزراعة علاقة مشابهة يتشكل أثناء تفاعل الفرد مع معطيات العالم الخارجي، ومفاد ذلك أنّ المقاومة السياسية والحزبية والثورية العربية ضدّ المحتل تزرع في عقول الشباب العربي وتشجّد همهم وتغرس فيهم روح الجهاد في سبيل تحرير أوطانها.

لا تكون الاستعارات اللغوية ممكنة إلّا إذا كانت " استعارات في النشاطات الفكرية والعملية لدى الإنسان تشكّل مع القيم الثقافية نسقا تصوريا متسقا"⁽³⁶⁾ هذا ما نلمسه في استعارة " السياسية تحصد " يتضح أنّ التّصوّر الهدف (السياسة) وهو

تصوّر ذهنيّ مجرد قد تمّت بنيته من قبل الخطيب جزئياً بواسطة تصوّر المصدر (حصاد) الذي ينم عن وجود ترابطات نسقيّة بين المجالين المتناسبين في الخصائص ذلك أنّ الرّجل السّياسيّ يحصد ثمار قيامه بالعمل السّياسيّ.

الخاتمة:

نخلص في ختام بحثنا إلى القول بأنّ الاستعارة تكتسب وجودها في ميدان المحادثات اليوميّة والخطابات العادية وهذا ما لامسناه من خلال تحليلنا لنماذج من الخطابات السّياسيّة الإعلاميّة فهي تنهض بدور تواصلٍ فعن طريقها يسعى الخطيب السّياسيّ تمرير مقاصده عن طريق بنية أنساق تصوّرية مفهوميّة من مجالين متشابهان ومتربطان فكلّ خطاب سياسي قائم على مجموعة من التّصوّرات والمفاهيم التي تشكل استعارات مفهوميّة تستند على تقابل مجالين أحدهما محسوس والآخر تجريدي مثلاً رأينا مع جلّ النّماذج الواردة في متن البحث فالوصول إلى فهم معاني الخطابات السّياسيّة لا يتم بعيداً عن عالمنا المتجسّد فنحن ندرك عالمنا من خلال حضورنا الفيزيائيّ وعلاقتنا بالأشياء وتجربتنا معها.

وانطلاقاً من فرضيّة أنّ كلّ نصّ يمتلك دلالة ومغزى بداخله فإنّ الخطاب السّياسيّ الإعلاميّ ينهض في عموميّته على اللّغة المجازيّة وبالتّحديد على الاستعارة فجلّ أفكارنا وسلوكاتنا وأقوالنا استعاريّة بالأساس كما أنّها آليّة في يد الخطيب السّياسيّ لخلق دلالات جديدة تطبع خطابه السّياسيّ.

إنّ النّسق التّصوّري عند الإنسان سنده الاستعارة بمعنى يفهم تجربة معنى ثانٍ بناء على تجربة معنى أوّل وتبحث النّظريّة التّصوّريّة للاستعارة في تفسير كيفيّة حدوث الاستعارات وكيفيّة تشكّل البنى الاستعاريّة التّصوّريّة في اللّغة اليوميّة ومنها الخطابات السّياسيّة حيث "إنّ معرفتنا بالمجرد ليست معرفة ماديّة يمكن

لمسها وتكوين خبرة حولها من خلال حواسنا فإنّ هذه المفاهيم المجردة لا بد أن تقوم على تصوّراتنا لأُمور واقعيّة محسوسة من خلال الإسقاطات الاستعاريّة" (37) هكذا الخطاب السّياسيّ يعتمد على ربط ما هو ذهنيّ بالسّياسيّ.

الهوامش:

(1) محمد مفتاح، مجهول البيان، ط1، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، 1990م، ص 65.

(2) المرجع نفسه، ص 64.

(3) الميلودي حاجي، الاستعارة في نماذج من شعر محمود درويش مقارنة عرفانيّة، مجلة فصول، المجلد 4/25، العدد 100، 2017م، ص 431.

(4) ج. لايكوف، النّظرية المعاصرة للاستعارة، تر: طارق النّعمان، مكتبة الاسكندرية، مصر، 2014م، ص 16.

(5) المرجع نفسه، ص 26-33.

(6) ج. لايكوف، م. جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط2، دار توبقال، الدّار البيضاء، المغرب، 2009م، ص 56.

(7) الأزهر الزّناد، نظريات لسانيّة عرفنيّة، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ص 142.

(8) جنان بنت عبد العزيز التّميمي، الزّمن في العربيّة من التّعبير اللّغوي إلى التّمثيل الذّهني (دراسة لسانيّة إدراكيّة)، ص 21-22.

(9) الأزهر الزّناد، نظريات لسانيّة عرفنيّة، المرجع السّابق، ص 142-143.

(10) المرجع نفسه، ص 157-158.

(11) ج. لايكوف، م. جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، المرجع السّابق، ص 13.

(12) ج. لايكوف، م. جونسون، الفلسفة في الجسد، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدّة بيروت، لبنان، 2016م، ص 17.

- (13) -جنان بنت عبد العزيز التميمي، الزّمن في العربيّة من التّعبير اللّغوي إلى التّمثيل الذّهني (دراسة لسانية إدراكية)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1434هـ، ص 17.
- (14) ج. لايكوف، م. جونسون، الاستعارات التي نحيا بها ، المرجع السّابق، ص 21.
- (15) ينظر: عبد العزيز لحويديق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون ، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2015م، ص 265-266.
- (16) ج. لايكوف، م. جونسون، الاستعارات التي نحيا بها ، المرجع السّابق، ص 33.
- (17) عبد العزيز لحويديق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، المرجع السّابق، ص 268.
- (18) محمد غاليم، التّوليد الدّلالي في البلاغة والمعجم، ط1، دار توبقال، الدّار البيضاء، المغرب، 1987م، ص 94.
- (19) ج. لايكوف، م. جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، المرجع السّابق، ص 33.
- (20) عبد العزيز لحويديق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، المرجع السّابق، ص 268-269.
- (21) ج. لايكوف، م. جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، المرجع السّابق، ص 45.
- (22) الأزهر الزّناد، نظريات لسانية عرفنيّة، المرجع السّابق، ص 152.
- (23) المرجع نفسه، ص 153.
- (24) حوار خاص، قناة الميادين، <http://www.almayadeen.net/episodes/930466/>، حوار خاص - العام - مع - الأمين - العام - لحزب - الله - السيّد - حسن - نصر - الله ، 25 كانون الثّاني / جانفي 2019م، تاريخ الزيارة: 1 سبتمبر 2019م، على السّاعة: 21:30.
- (25) محمود العشيري ، الاستعارة استراتيجية حرب دراسة في لغة الخطاب السّياسي للحرب على لبنان تموز / يوليو 2006م، مجلة كليّة دار العلوم، العدد 55، جامعة مصر، ص 214-215.
- (26) الأزهر الزّناد، نظريات لسانية عرفنية، المرجع السّابق، ص 157.
- (27) برنامج لعبة الأمم، حصّة: هل فشلت الأحزاب العربيّة في نصرّة شعوبها، قناة الميادين <http://www.almayadeen.net/episodes/950627/> تاريخ: 1 أيار / ماي 2019م على السّاعة: 10:20.
- (28) ج. لايكوف، م. جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، المرجع السّابق، ص 25.

(29) المرجع نفسه، ص 22.

(30) محمد بازي، البنى الاستعارية، ط 1، كلمة للنشر والتوزيع، دار الأمان، منشورات ضفاف

والاختلاف تونس، الرباط، الجزائر، 2017م، ص 88.

(31) برنامج لعبة الأمم ، حصة لماذا تمددت اسرائيل وانحسر العرب عبر العالم

<http://www.almayadeen.net/episodes/947028>، قناة الميادين، 10 نيسان/ أفريل 2019م تاريخ

الزيارة : 4 سبتمبر 2019م على الساعة: 13:00.

(32) -محمد بازي، البنى الاستعارية ، المرجع السابق، ص 125.

(33) -برنامج لعبة الأمم ، حصة لماذا تمددت اسرائيل وانحسر العرب عبر العالم

<http://www.almayadeen.net/episodes/947028>، قناة الميادين، 10 نيسان/ أفريل 2019م تاريخ

الزيارة : 4 سبتمبر 2019م على الساعة : 13:00.

(34) برنامج لعبة الأمم ، حصة لماذا تمددت اسرائيل وانحسر العرب عبر العالم

<http://www.almayadeen.net/episodes/947028>، قناة الميادين، 10 نيسان/ أفريل 2019م تاريخ الزيارة : 4

(35) محمد اصالح البوعمراني، الفضاء وتمثيل بنى اللغة والخطاب، مجلة سياقات، المجلد الثالث،

العدد الأول ، أفريل 2018م، ص 65.

(36) ج. لايكوف، م. جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، المرجع السابق، ص 22.

(37) عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ط3، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء

والنشر والإعلان، عمان ، الأردن، 2002م، ص 131.

المعالجة الآلية لمنظومة الصرف العربي- دراسة وصفية لمحلّ الخليل الصرفي أنموذجا

الأستاذة أحلام سعيدي

جامعة الجزائر2

فتحي بوقفطان

جامعة تيزي وزو

الملخص:

يعتبر الصرف أحد أهم فروع اللسانيات والذي يتعامل مع البنية الداخلية للكلمات من حيث تكوين عناصرها الأولية و التفاعل بين هذه العناصر وما يمكن أن يطرأ عليها من تغييرات من قلب أو حذف أو زيادة، وكما أن للصرف العربي أهميته بالنسبة لنظام اللغة ككل فإن لمعالجته آليا دور حيوي في جميع الأمور المتعلقة يتأول اللغة العربية حاسوبيا ومعلوماتيا وتعد هذه الميكنة بالنسبة العربية مدخلا أساسيا وقاسما مشتركا لالتقاء النظم الأخرى الصوتية والنحوية والدلالية والمعجمية ومعالجتها آليا، كما أن مدى نجاحنا في تكنولوجيا نظم المعلومات والمعارف يتوقف بالدرجة الأولى على ما نستطيع أن نحققه في مجال الصرف وقضاياها الواسعة من مبنى ومعنى، التصريف والاشتقاق، التحليل والتّركيب الاطراد والشذوذ، وأمام هذا الطرح تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن آليات المعالجة الآلية لمنظومة الصرف العربي من منظور اللسانيات الحاسوبية ونحاول من خلالها تقديم نموذج لمحلّ صرفي وهو "الخليل الصرفي" وكيفية تعامله مع المدخلات (النصوص أو الكلمات وتحليلها بطريقة آلية.

المصطلحات المفاتيح: اللغة، الحاسوب، الصرف، اللسانيات الحاسوبية، الكلمة.

1- أهمية الصّرف في المعالجة الآليّة للعربيّة:

إنّ المعالجة الحاسوبية للغة العربيّة هي بلا شك من أهم قضايا السّاعة وقد أصبح تطوير هذه المعالجة مطلبا ضروريا يجب العمل عليه، وذلك انطلاقا من طبيعة العصر الذي نعيش فيه والذي طبعته التّكنولوجيا الرّقمية في مجالاته المختلفة، ولقد تهيأت اللغة العربيّة للمعالجة الحاسوبية بفضل احتواءها على خصائص رياضية ومنطقية وإحصائية تعكس قواعدها اللّغوية مما يسمح للحاسوب تمثيلها والتّفاعل معها في صيغة عمليات خوارزميات دقيقة أفرزها مجال الذّكاء الاصطناعي.

"ويمثّل ميدان الصّرف العربي خاصة وضعا مثاليا لإبراز ثنائيّة التّحليل والتّركيب وهذه الثّنائيّة التي يوصف من خلالها كثير من الظّواهر اللّغوية وفي نفس الوقت الذي تعد فيه أحد المفاهيم الأساسيّة في تصميم المعالجة الآليّة للغات"⁽¹⁾، فكل ما يدخل إلى جهاز الحاسوب يتمّ استقباله وتحليله وفق نظامه الرّقمي الآلي ويفهم بلغتها وهنا تكون عمليّة التّحليل وفي عمليّة تنفيذ وأداء الأوامر أو المعلومات من الحاسوب تكون المخرجات بلغة طبيعيّة بعد أن يتم تركيب عدة شفرات دقيقة والقيام بعمليات خوارزمية متتاليّة وفي أجزاء من الثّانيّة، فيحاول الحاسوب فهم اللغة الطّبيعيّة تحليلها وتفسيرها وتركيبها تماما كما يقوم بذلك الدّماغ البشري، "والصّرف يعد مدخلا لوصف النظام الشّامل للغات وتفسير الكثير من ظواهرها وتحديد أسلوب معالجتها آليا"⁽²⁾، فمعالجة النّظام الصّرفي العربي له أهميّة كبيرة في تفعيل حوسبة اللغة العربيّة بل إنّها الخطوة المنطقية الأهم لمعالجة اللغة العربيّة حاسوبيا فالصّرف فرع رئيسي تبنى عليه جميع المستويات اللّسانية الأخرى من نحو ودلالة ومعجم وتركيب "فالصّرف فرع من اللّسانيات وهو الذي يتعامل مع البنية الدّاخلية للكلمات من حيث تكوين عناصرها الأوّليّة والتّفاعل بين هذه العناصر وللصّرف دور رئيسي في تحديد العلاقات التي تربط بين مفردات المعجم والتي تحكم بالتّالي تنويه وتنظيمه

إن مهمة الصّرف داخل المنظومة اللّغويّة لا تقتصر على الأمور المتعلقة بشكل الكلمات، بل تتعداها إلى دراسة الصّلة بين مباني الكلمات ومعانيها وخصائصها النّحويّة والفونولوجيّة⁽³⁾، فالصّرف إذاً دور بارز في المعالجة المعلوماتيّة للّغة العربيّة وهو المرتكز في إنشاء برامج وتطبيقات حاسوبية يمكن الاستفادة منها لاحقاً والمعالجة الآليّة للصّرف العربي تقتضي اعتماد نظم متقدّمة استناداً إلى خوارزميات رقمية دقيقة تستثمر معطيات الصّرف العربي كقاعدة أساسية في تحليلاتها الآليّة، ونظراً للأهميّة التي يحظى بها الصّرف فقد جعله الباحثون والمعلوماتيون محل اهتمامهم في بناء تطبيقات وبرامج خاصة بهذا المستوى مع ربطها بالمستويات الأخرى في محاولة تطويع اللّغة العربيّة لمتطلبات الحوسبة، ومن هذه التطبيقات ما يعرف ببرامج التّحليل الصّرفي أو المحلّلات الصّرفيّة.

2- أشهر برامج التّحليل الصّرفي:

اهتمت كثير من الشّركات المتخصصة في مجال الإعلام الآلي والهندسة الرّقمية بتطوير برامج وتطبيقات حاسوبية تمكن من تفعيل المعالجة الآليّة للّغات على اختلافها واللّغة العربيّة بصفة خاصة ومن بين الشّركات "شركة صخر وشركة أي بي أم وهناك أيضاً شركة إكسروكس المشهورة في إنتاج الآلات النّاسخة والطابعات والتي طورت أبحاثاً متطورة للتّحليل الصّرفي من خلال مركزها للأبحاث في أوروبا"⁽⁴⁾ وقد عملت هذه الشّركات على إنتاج وتطوير عدد من المحلّلات الصّرفيّة في مجال النّهوض بالمعالجة الآليّة للّغة العربيّة وبعضها موجود ومتوفّر على شبكة الانترنت ونذكر منها:

2-1- برنامج صخر للتّحليل الصّرفي: يتيح المعالج الصّرفي المتعدد الأطوار

لشركة صخر المعالجة العميقة للكلمة العربيّة المفردة ويغطي هذا المحلّل نطاق الكلمات العربيّة بالكامل الحديث منها والقديم، يقوم المحلّل بالتّعريف على جميع أشكال جذر

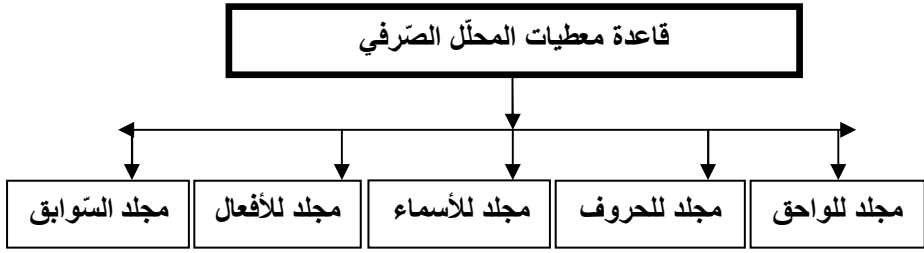
الكلمة بعد تجريدها من اللواصق ولا يتوقف عند هذا الحد بل يتخطى ذلك لاستخلاص البيانات الصرفية للكلمة مثل الجذر والميزان الصرفي لها وقسم الكلم الخاص بها⁽⁵⁾.

2-2- محلل باك ولتر للغة العربية (Buckwalter): برنامج باك ولتر للتحليل الصرفي يستخدم من قبل الاتحاد الألماني للبيانات اللغوية لتدوين النصوص العربية، ويحتوي على 77800 جذر، ويستخدم هذا المحلل لأغراض الترجمة لكنه يعاني من خلط العربية بالرومانية ولا يتعرف على علامات الترقيم بالعربية، كتب محلل باك ولتر بلغة البرمجة برل ويقوم البرنامج بأخذ الكلمة باللغة العربية وتحويلها للمقابل اللاتيني ويجزئها للسوابق واللواحق والجذع والتحقق منها في قاموسه الخاص وإذا وجدوا في القواميس يطبع النتائج في ملف المخرجات ومشكلة هذه المخرجات أنها باللغة اللاتينية وقواميس باك ولتر عبارة عن ثلاث معاجم سوابق ولواحق وجذوع⁽⁶⁾.

2-3- منتج شركة إكسوركس (محلل ومولد ببسليز): طورت شركة إكسوركس مولد ومحلل صرفي لاستخدامه كمساعد في التعليم وكجزء من معالجة اللغات الطبيعية وقد تم بناؤه على أساس تقنية (finite state) هذا المحلل يحلل الكلمات العربية الفصحى صرفيا بالإضافة إلى تقديم تفسير لها بالإنجليزية، وهو متاح على الشبكة وهو محلل صرفي من مستويين الأول للجذور والقوالب والثاني الزوائد والحروف وأدوات التعريف وأدوات الربط التي ترتبط بالكلمة ويستخدم قاموس يحتوي على 4930 جذر بينما تكون سوابق ولواحق الجذر 77800 صورة، هذا المحلل للكلمات المشكلة تشكيلا كاملا أو تشكيلا جزئيا أو غير مشكلة، وهو يعطي جميع الاحتمالات بالتشكيل، فمثلا كلمة "درس" تعطي 10 صور و"كتب" تعطي 15 صورة، ولكن يعاب عليه أن ترتيب الصور لم يأخذ في الاعتبار التكرار الإحصائي، أي أنه لا يأخذ في الاعتبار عدم تكرار بعض المعلومات الصرفية في إيراد احتمالات الكلمة⁽⁷⁾.

3- محلّل الخليل الصّرفي نموذج ودوره في المعالجة الآليّة للصّرف العربي:

3-1- التعريف بالبرنامج: لقد أصدرت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنيّة وجامعة محمد الأول بالمغرب "برنامج الخليل الصّرفي" وهو برنامج حاسوبي مفتوح المصدر يقوم بتحليل الكلمات العربيّة إلى مكوناتها الأساسيّة كالجزر والسّاق والسّوابق واللّواحق وتعريف كل منها بطريقة خوارزمية، النّظام يعدّ الأوّل من نوعه من حيث كونه مفتوح المصدر بعد النّظام الشّهير "باك والتّر" الواسع الاستخدام في المراكز البحثيّة لكونه مفتوح المصدر إلّا أنّ النّظام الحالي يزيد عليه في كونه قادر على إضافة مستو أعمق من التّحليل وذلك باستخراج الجذر والوزن من ساق الكلمة، ومحلّل الخليل الصّرفي "مطور باستعمال لغة الجافا، واختيار هذه اللّغة كان لأسباب مختلفة كونها مجانيّة ومحمول للغايّة ويعمل على جميع الأنظمة (windows, unix, linux, etc) والأكثر من ذلك أنّ البرمجة والتّفسير الذي تستخدمه الجافا يتيح إنجاز العمل مباشرة على النّصوص العربيّة دون اللّجوء إلى التّرجمة كما تجدر الإشارة إلى أنّ النّظام يحتوي على واجهة رسوميّة لتسهيل استخدامه"⁽⁸⁾، "ويرمي هذا النّظام إلى تمكين الحاسوب من اشتقاق (توليد) الأفعال والأسماء المشتقة والمصادر وتصريفها، انطلاقاً من جذورها الثلاثيّة أو الرّباعيّة بالاعتماد على قوانين النّحو والصّرف وعلى المعجم الحاسوبي لهذا النّظام وعلى مرور قواعد معطيات خاصّة ومن أهمّ مزاياه أنّه مفتوح المصدر، فبرنامجهم وخوارزميتهم وقواعد معطياتهم ووثائقهم جميعاً والخوارزميات يمكن التّعديل فيها إضافة وحذفاً وتحديثاً"⁽⁹⁾ وقواعد المعطيات التي يحويها البرنامج ويستند إليها في التّحليل وتضمّ قواعد خاصّة بالجذور وقواعد خاصّة بالسّوابق وبالسّوابق وهذه القواعد يمثّلها الشّكل الآتي:



مخطط رقم (1) يمثل مكونات قاعدة معطيات المحلل الصرفي

3-2- الهدف من برنامج الخليل الصرفي ومزاياه: الغرض من نظام الخليل الصرفي هو تحليل الكلمة لتحديد المعارف الصرفية المتعلقة بها كجذرها وسابقتها ولاحقتها ونوعها ووزنها⁽¹⁰⁾، فمثلا كلمة يكتبون: نوعها فعل وجذرها "كتب"، وسابقتها ياء المضارعة واللاحقة هي الواو والنون.

ويعد هذا النظام من الأدوات الرئيسية المفتوحة المصدر في معالجة الآلية للغة العربية لذا فإنه يدخل في بنية الأنظمة الأخرى لمعالجة اللغة العربية، نذكر منها المعجم العربي الحاسوبي التفاعلي، ودخل نظام التحليل الصرفي في كلمة مفردة أو مجموعة كلمات تؤلف جملة (أو نصاً) فإن كان الدّخل جملة (أو نصاً) عالج النظام كلماته تباعاً وأعطى تحليل كل منها على حدة مستقلة عن سياق النصّ يمتاز دخل النظام بأنه يقبل الكلمة مشكولة كلياً أو جزئياً غير مشكولة البتة⁽¹¹⁾.

ومن مزاياه أيضاً أنّ نظام التحليل الصرفي أنّه يراعي الوجوه المختلفة للكلمة في حالتين:

- الأولى: إذا كانت غير مشكولة (نحو: وهم : وهم...)
- الثانية: إذا كانت مستقلة عن سياقها في النصّ نحو: فرمت: ف+رمت (من الفعل رمى يرمي)، وفرم من الفعل فرم يفرم⁽¹²⁾.

فالكلمات متشابهتان لفظاً ونطقاً لكنهما مختلفتان معنى والمحلّ يعطي كل الأوجه الممكنة للكلمة، ولاختلاف وجوه الكلمة ومعانيها تبعاً لاستعمالاتها ولما كان نظام التحليل الصّرفي يعالج الكلمة مستقلة عن سياقها في النصّ فإن نتيجة تحليله تكون مدخلاً للمحلّ النحوي الذي يختار من بين هذه الوجوه يوافق سياق النصّ بدقة.

- ومن خصائص الكلمة في اللغة العربيّة أيضاً أنها لا تعدو أن تكون فعلاً أو اسماً أو حرفاً وقد استوعب المحلّ هذا التصنيف بتقسيماته فأما الفعل، فيستوعب جميع الأفعال الثلاثية والرّباعيّة المجردة والمزيد (نحو: رفع، نقب، كبكب، تسربل) وأما الاسم فيشمل على جميع الأسماء والمصادر والصّقات والظّروف (نحو: كتاب عالم، كبير، وراثه، أمس...) وأما الحرف فيتضمّن جميع حروف الجر والنّصب والجزم والعطف (نحو: من، أن، لا، وغيرها)⁽¹³⁾.

مثال: إذا كانت كلمة الدّخل هي (سلم، فإن المحلّ الصّرفي سيعطي في خرجه الوجوه الآتيّة:⁽¹⁴⁾

- سلم: (فعل ثلاثي مجرد على وزن فعل)

- سلم: (فعل ثلاثي مجرد على وزن فعل)

- سلم: (فعل ثلاثي مزيد على وزن فعل)

- سلم: (مصدر على وزن فعل)

- سلم: (اسم على وزن فعل)

- سلم: (اسم على وزن فعل).

- سلم: (اسم على وزن فعل).

- سلم: (اسم على وزن فعل)

فإذا كانت الكلمة فعلاً، أعطى المحلّ المعلومات الآتيّة:⁽¹⁵⁾

- صيغة الفعل (ماض، مضارع، أمر).
- وزنه (فعل، أفعل، فعل، تفاعل، استفعل)
- سابقته (و، ف، س)
- لاحقته (ضمائر الرفع المتصلة، ضمائر النصب المتصلة)
- جذره.
- الضمير المسند إليه (أنت، هو نحن...).
- بناؤه للمعلوم أو للمجهول.
- تجرده أو زيادته.
- ضبطه بالشكل التام (بالحركات).
- وإذا كانت الكلمة اسماً، أعطى المحلل في خرجه: ⁽¹⁶⁾
- سابقته (و، أل، ب...)
- لاحقته (ضمير الجر المتصل).
- وزنه (إفعال، فعيل، تفعل..)
- نوع الاسم (مصدر صفة، ظرف، اسم علم)
- جذره.
- نوعه من جهة الجمود والاشتقاق (اسم جامد، اسم مشتق، اسم فاعل، اسم مفعول...)
- نوعه من جهة التصرف (ممنوع من الصرف، مصروف)
- نوعه من جهة التذكير والتأنيث (مذكر، مؤنث)
- نوعه من جهة الأفراد والتثنية والجمع (مثنى، جمع مذكر سالم، مع تكسير...)
- نوعه من جهة النسبة.

- نوعه من جهة التّصغير.

الحرف من ناحية:

وظيفته (جر، نصب جزم عطف شرط ناسخ تحقيق نداء استفهام استثناء وغير ذلك)

3-3-خطوات التحليل فيه:

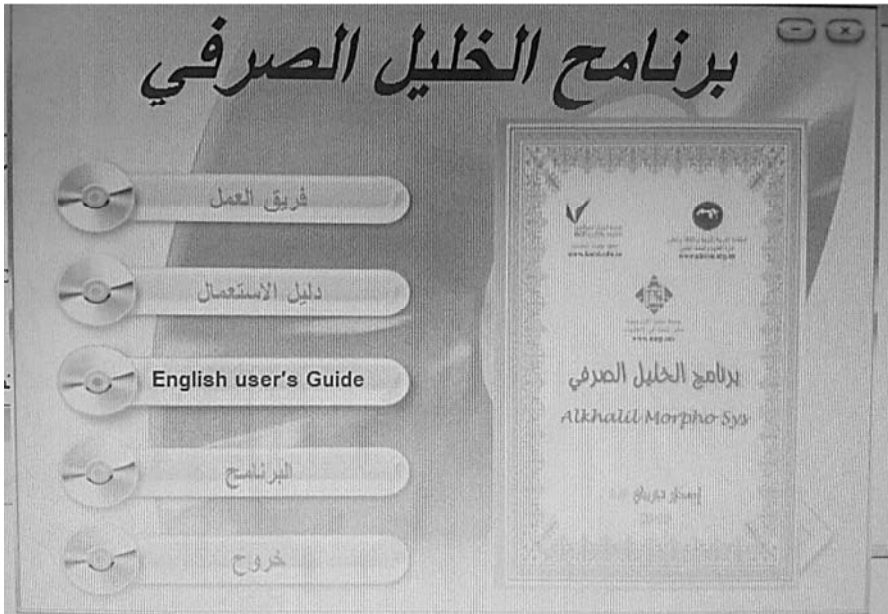
أولاً: يجب تثبيت آلة الجافا الافتراضية ابتداء من النسخة 1.4 والتي يمكن

تحميلها من موقع sun microsystemems من خلال العنوان التالي

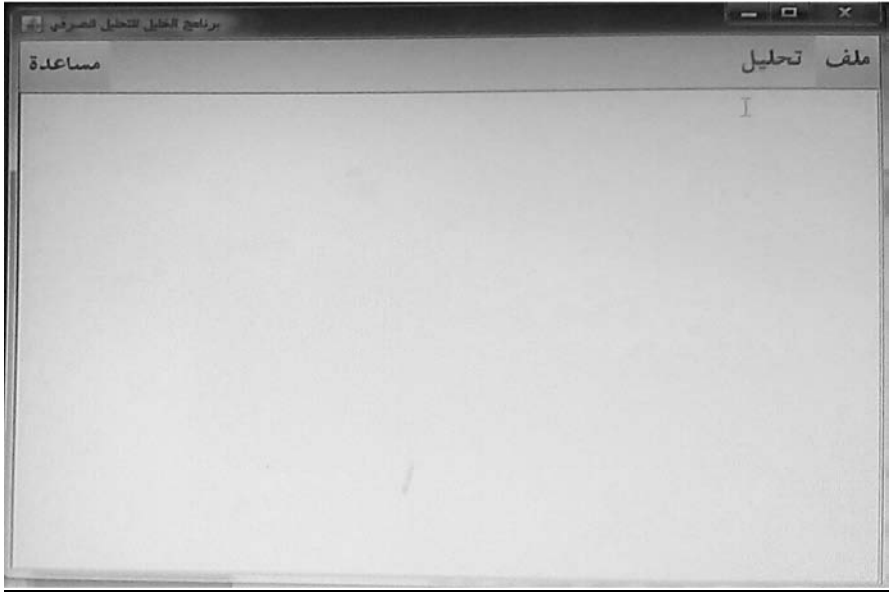
<http://java.sun.com>

ثانياً: يجب تثبيت برنامج الخليل الصّرفي في جهاز الحاسوب والذي عند

تشغيله تظهر لوحة إدخال الكلمات الآتية:



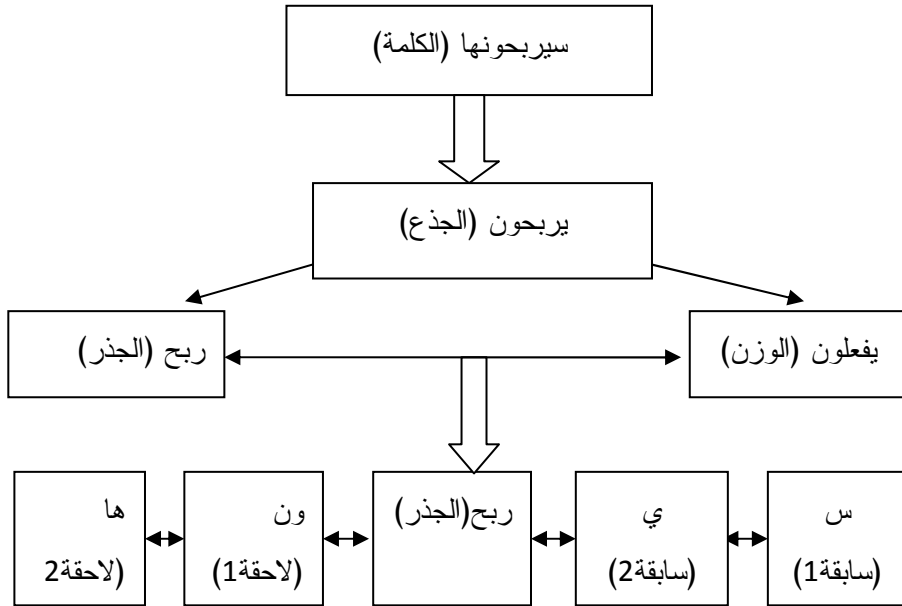
صورة رقم (1) تبين واجهة برنامج الخليل الصّرفي



صورة رقم (2) تبين لوحة إدخال الكلمات في البرنامج

ثالثاً: تجهيز النصّ أو الكلمات المراد تحليلها وتحديدّها ثم كتابتها في مجال النصّ على لوحة برنامج المحلّ الصرفي، وبعد كتابتها ينقر على زر "تحليل" في قائمة الأدوات كما تبين الصّورة السّابقة.

- يقوم البرنامج أثناء عمليّة التحليل بتقطيع وتجزئة الكلمة الهجائيّة، فيقطعها تقطيعاً دقيقاً إلى مختلف مكوناتها التي تتركّب منها وصولاً إلى أصغر وحدة ضمن هذه الكلمة، فمثلاً في تقطيعه لكلمة "سيكتبونها" يكون على الشّكل الآتي:



المخطط رقم (2) يمثل تقطيع المحلل السرفي لكلمة فيسكتبونها

فكلمة فيسكتبونها لفظة مركبة من:

س:سابقة أولى(حرف تسويق تفيد المستقبل)

ي:سابقة ثانية(ياء المضارعة)

ربح: الجذر(وهو الفعل)

ون: لاحقة(واو ونون الجمع)

ها: لاحقة ثانية(ضمير متصل)

-وهكذا يتم التحليل المبدئي لكل كلمات النص بتقطيعها وبعد هذه المرحلة يتم الوصول إلى طبيعة الجذر إذا كان فعلاً أو اسماً أو حرفاً ويقوم المحلل بعرض النتائج النهائية التفصيلية من خلال تقديم كل المعلومات النهائية لكل وحدة لغوية في الكلمة، فإن كانت فعلاً كما هو الحال في كلمة يسكتبونها والذي فعله "يكتب"، يقوم

المحلّ بإبراز وزنه وأصله وزمنه وصيغته وتحديد وطبيعته (إن كان مبنيا للمعلوم أو المجهول) وكذلك تجرده أو لزومه، هذا إن كان فعلا أما الاسم فسيُعطي نوعه نوع الاسم إن كان مصدرا أو صفة، ظرف.. إلخ، ونوعه من حيث هو مؤنث أو مذكر مفرد أو مثني أو جمع، جامد أو مشتق وإن كان حرفا: نوعه (للمربط أو للملكية أو للإضافة) وهكذا

مثال1: صورة تبين كيفية تحليل الفعل "سيربحون" في محلّ الخليل الصّرفي:

الاسم		نوع الكلمة		وزن الكلمة		الصفة الإعرابية		الاجز	
من	فعل مضارع مبني للمعلوم	يَفْعُلُون	رَبِحَ	ثلاثي مجرد مرفوع مسند إلى الفاعلين (هم) متبد ولازم					
من	فعل مضارع مبني للمجهول	يَفْعُلُون	رَبِحَ	ثلاثي مجرد مرفوع مسند إلى الفاعلين (هم) متبد					

صورة رقم(3) تبين تحليل الفعل "سيربحون"في البرنامج

مثال 2: صورة تبين كيفية تحليل الاسم "المتعلّمون" في المحلّ الخليل الصّرفي:

الكلمة المشكّلة	السابق	نوع الكلمة	وزن الكلمة	حذر الكلمة	الحالة الإعرابية	اللاحق
الْمُتَعَلِّمُونَ	ال	اسم مفعول	مُتَعَلِّمُونَ	علم	جمع مذكر مرفوع نكرة	#
الْمُتَعَلِّمُونَ	ال	اسم فاعل	مُتَعَلِّمُونَ	علم	جمع مذكر مرفوع نكرة	#

صورة رقم (4) تبين تحليل الاسم "المتعلّمون" في محلّ الخليل الصّرفي

مثال 3: صورة تبين كيفية تحليل الحرف "بل" في المحلّ الخليل الصّرفي:

الكلمة	نوع الكلمة	الكلمة المشكّلة	السابق	وزن الكلمة	حذر الكلمة	الحالة الإعرابية	اللاحق
حرف عطف	بَلْ	#	#	#	#	#	#
مصدر أصلي	بَلْ	#	فَعَّ	يَلْ	مفرد مذكر مرفوع نكرة	#	#
مصدر أصلي	بَلْ	#	فَعَّ	يَلْ	مفرد مذكر منصوب في حالة الإضافة	#	#
مصدر أصلي	بَلْ	#	فَعَّ	يَلْ	مفرد مذكر مرفوع في حالة الإضافة	#	#
فعل أمر	بَلْ	#	عَلْ	وَيْلْ	ثلاثي مجرد مسند إلى المخاطبة (ثت) متعد	#	#
فعل أمر	بَلْ	#	عَلْ	وَيْلْ	ثلاثي مجرد مسند إلى المخاطبات (ثتن) متعد	#	#
فعل أمر	بَلْ	#	عَلْ	وَيْلْ	ثلاثي مجرد مسند إلى المخاطب ثت متعد	#	#
فعل أمر	بَلْ	#	فَعَّ	يَلْ	ثلاثي مجرد مسند إلى المخاطب ثت متعد ولازم	#	#
فعل أمر	بَلْ	#	فَعَّ	يَلْ	ثلاثي مجرد مسند إلى المخاطب ثت متعد	#	#
فعل ماضٍ مبني للمعلوم	بَلْ	#	فَعَّ	يَلْ	ثلاثي مجرد مسند إلى الغائب (فر) متعد ولازم	#	#

صورة رقم (5) تبين تحليل الحرف "بل" من طرف البرنامج

وبعد ظهور نتائج التحليل للنص المدخل نشير هنا كذلك إلى إمكانية حفظها من طرف المحلل الصّرفي في ملف HTML وذلك بالنّقر على أيقونة "حفظ النّتايج" الموجودة في التّعليمة "ملف" ويمكن الاطلاع عليها لاحقا.

خاتمة:

في خاتمة هذه الدّراسة نخلص إلى أنّ للمعالجة الصّرفيّة أهميّة كبيرة في تفعيل حوسبة اللّغة العربيّة، وهو المرتكز في إنشاء برامج وتطبيقات حاسوبية يمكن الاستفادة منها لاحقا وكما رأينا فقد برزت في السّاحة المعلوماتيّة عديد البرامج أو المحلّلات الصّرفيّة من طرف عدة شركات قام باحثون بتطويرها لتتناسب اللّغات المختلفة ومنها اللّغة العربيّة ومن أبرز هذه النّماذج محلّ باك والتّر ومحلّ صخر ومحلّ إكسبروكس والتي عرفت بفعاليتها وهي مشهورة ومتواجدة على الشّبكة ويمكن تحميلها، وقد عرضنا في الدّراسة لمحلّ عربي آخر تم تصميمه من طرف باحثين في مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التّقنيّة وجامعة محمد الأوّل وهو يعتمد لغة الجافا ويتميّز بعمق تحليله فيحدّد بكلّ المعارف الصّرفيّة المتعلّقة بالكلمة أو النّص المدخل كما يتميّز هذا المحلّ بكونه مفتوح المصدر بمعنى بالإمكان التّعديل فيه إضافة أو حذف حسب التّطور التّكنولوجي وكذلك بظهور مفردات جديدة في المعجم اللّغوي وإن كان هذا المحلّ حديث النّشأة ((2010) صدرت النّسخة الأوّل في سنة (2012) صدرت النّسخة الثّانية منه) فإنّه يصعب تقييمه حاليا ومع ذلك فقد تمّ اختياره من بين الأنظمة المورفولوجيّة الفعّالة من طرف منظمة الاسكو ليصبح بعدها نظام الخليل الصّرفي تطبيقا مفتوحا يسمح للمجتمع العلمي بالاستفادة منه.

الهوامش:

- (1) ينظر: نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، دار تعريب، الكويت، ط1 1988، ص247
- (2) المرجع نفسه، ص248
- (3) أمين درقاوي، نحو معجم إلكتروني للمعالجة الآلية للغة العربية، ماجستير جامعة تلمسان، الجزائر، 2010، ص163
- (4) سلوى السيد حمادة، المحللات الصرفية، تقرير مقدم إلى منظمة العلوم والثقافة، دت، ص14
- (5) المرجع نفسه، ص15
- (6) ينظر: المرجع نفسه، ص16
- (7) المرجع نفسه، ص16
- (8) Boudalal et autres, Alkhalil morphosys1, University Mohamed oujda, Morocco,p3
- (9) ينظر: أمين القلق وآخرون، تقرير مفصل حول برنامج التحليل الصرفي في اللغة العربية-برنامج الخليل الصرفي-، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة، 2011، ص1
- (10) المرجع نفسه، ص1
- (11) المرجع نفسه، ص1
- (12) المرجع نفسه، ص1
- (13) ينظر: المرجع نفسه، ص1
- (14) المرجع نفسه، ص2
- (15) المرجع نفسه، ص2
- (16) المرجع نفسه، ص3

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

انعقدت أشغال الورشة العلمية الثانية من فعاليات الملتقى الوطني حول:
اللغة العربية بين اللسانيات الرتابية الحاسوبية واللسانيات العرفانية في
الجامعات الجزائرية، بتاريخ الخامس والعشرين سبتمبر 2019 في الساعة
التاسعة وعشرون دقيقة ودامت الى غاية منتصف النهار بالمكتبة الوطنية
الحامة.

برئاسة الأستاذة: حنيسة كاسحي والمقررة الناطقة: الآنسة أمال روابح.

ضمت الورشة الأساتذة الآتية أسماؤهم:

-الدكتور هشام فروم/ الدكتور محمّ رضا بركاني

-الأستاذة روضة جديوي

-الدكتور عبد القادر حمراني

-الأستاذة فاسخ فضيلة

-الأستاذة الدكتورة مباركة خمقاني

-الأستاذ حسين ميهوبي

-الأستاذة نصيرة قياصة

-الدكتورة زوليخة بلعباس

-الأستاذة لامية قداش

-الأستاذة أحلام سعيدي/ الأستاذ فتحي بوقفطان

-الدكتورة نادية سعدوني

*ناقش الأستاذة الحضور عدة جوانب ذات علاقة بموضوع الملتقى نذكر

من بينها:

- مقارنة المعنى في علم الدلالة العرفانيّ

- الاستعارة التّصوريّة في الخطاب العلميّ للنصوص التّعليميّة

- الاستعارة من البلاغة العربيّة الى اللّسانيّات العرفانيّة

- علم الدلالة العرفانيّ

- قضايا الدلالة في المنظور اللّساني العرفاني

- الاستعارة المفهوميّة تمثّلاتها الفكرية وقدراتها الانجازيّة

- نظريّة الاستعارة المفهوميّة في الخطاب السّياسي الاعلاميّ

-exploring the cognitive mechanisms in acquiring english
lexicon among algerian EFL learners.

في الأخير خلص الأستاذة الى مجموعة من التّوصيات نذكر منها:

-التّسيق في الجامعات الجزائريّة من خلال تعيين فرق بحث في مجال

اللّسانيّات العرفانيّة ويكون لأعضاء هذه الفرق زيارات لهذه الجامعات

وتنظيم ملتقيات في ذات السياق لتمكين الطلبة من الاطلاع على هذا التخصص.

- العمل على نقل المفاهيم والتصورات المصاحبة للنظريات اللسانية في حقل علم الدلالة العرفاني الى الدرس الدلالي العربي.

- اللسانيات العرفانية في الجامعات العربية تستدعي الاهتمام، وادراجها في الجامعات الجزائرية فأغلبها تفتقر الى هذا المقياس.

- تكثيف الترجمة في مجال اللسانيات العرفانية.

- فتح تخصصات ماستر ومشاريع دكتوراه في اللسانيات العرفانية.

- ضرورة إيجاد جهاز مفاهيمي تتوحد فيه المصطلحات العرفانية.